

توماس ماساريك
Thomas Masaryk



المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد السادس والثمانين

٢٥ ذو القعدة سنة ١٣٥٣

١ مارس سنة ١٩٣٥

السيارات : اجواؤها

ومسألة الحياة على سطوحها

المشتري وزحل والزهرة والمريخ في ضوء الارصاد الحديثة

من عهد طويل ، يقاس بألوف الألوف من السنين ، اقتربت شمس عظيمة من شمسنا ، فاشتد جذب الضيفة لمضيفتها ، فانزعت من سطحها قدراً كبيراً من كتلتها امتدت في شكل ذراع بين الشمسين ، فلما أبعدت الشمس الزائرة ، ماضية في طريقها الكوني المرسوم ، تكثلت مادة الذراع كرات من المادة هي السيارات التي تدور حول الشمس ومنها الأرض . هذا هو أصل النظام الشمسي بحسب الرأي السائد في دوائر العلم

على ان العلامة ادنعتن أستاذ علم الفلك في اكسفر د ، يرى ان احتمال اجتماع شمس بأخرى ، على النحو المتقدم ، بعيد جداً ، لا يزيد على واحد في مائة مليون . ولذلك يذهب هو وطائفة غيره من علماء العصر ، الى ان النظام الشمسي ليس نموذجاً للسبيل التي تسير فيه الشمس في تطورها . بل ليس ضرباً مألوفاً في قبة الفلك . وانه فلتة من الفلتات لا أكثر ولا أقل (It is a freak)

وثمة بواعث كثيرة تحمل الباحث على الاعتقاد في أن نظامنا الشمسي تكون بالطريقة التي تقدم ذكرها . ولقد أشار السر جيمز جينز في ما كتبه عن أصل النظام الشمسي ، الى أن قواعد التجاذب تقتضي أن تكون الذراع المؤلفة من المادة المنطلقة من شمسنا بفعل جاذبية الشمس الاخرى ، على اكنفها وانحنها عند منتصفها ثم تستدق رويداً رويداً حتى تبلغ طرفيها . فاذا أخذنا السيارات

ورتبناها بحسب بُعدها عن الشمس محتفظين ببُعدها النسبي أحدها عن الآخر ، ثم رسمنا خطاً حولها يمسُّ النقط العليا والنقط السفلى في كراتها ، كان الرسم الذي نحصل عليه أشبه ما يكون « بالسيجار » . وهذا يؤيد رأي جينز ، فالمشتري وزحل في الوسط وهما أكبر السيارات ، ثم تصغر السيارات حجماً كلما بعدت عن الشمس أو اقتربت منها ، فالسيارات تتدرج صغراً من المريح الى الارض الى الزهرة الى عطارد في ناحية الشمس ، ومن أورانوس الى نبتون الى بلوطوفي الناحية المقابلة فاذا مضينا في البحث ، متأثرين نظرة الاستاذ ادلغتن وجدنا أن كل سيار من السيارات فلته على حدة . فليس بينها اثنان متساويان حجماً أو كتلةً أو متماثلان في طول يوميهما أو حالة جويهما أو انحرافهما على مستوى دائرة البروج . ومع ان جميع السيارات تمت الى أصل واحد ، إلا أن الاختلاف بينها أعظم من الاختلاف بين الاولاد المتحدرين من أب واحد وأم واحدة

فالصفات التي تفردت بها الارض بين السيارات جعلت الحياة على سطحها فلته كذلك أو اقرب الى الفلته منها الى الحالة السوية . انها في الواقع معقدة بخيط اوهي من نسيج العنكبوت كما يقول الشاعر العربي . زد انحراف مدار الارض على مستوى دائرة البروج ، او قصر يوم الارض بضع ساعات او زده بضع ساعات ، او ازل من جوها الاكسجين وبخار الماء ، او غير مقدار قوتها الجاذبة بتغيير كتلتها ، او انقص بعدها عن الشمس — افعل ايّاً شئت من هذا تقص على كل نبات وحيوان على سطحها ان تألب طائفة من الاحوال المعروفة وغير المعروفة على سطح الارض مهتدت لظهور قطعة البروتوبلازمة الاولى ، وتطورها من اسفنج ، الى سمك ، الى زحافات ، الى طير ، الى ثدييات ، الى بوذا وليوناردو وبيتوفن . بيد ان بعد الاحتمال في تأليفها يحمل المتأمل على الظن بأن قصد الطبيعة ، هو تجربة التجارب بالشموس العديدة ، للحصول على كرة صغيرة ، تصلح لظهور البروتوبلازمة القادرة على التطور والتحول والظهور في الوف من الاشكال المتباينة من نبات وحيوان

هذا نوع من التأمل ، يدفعنا اليه ، الاطلاع على البحوث الحديثة في اجواء السيارات الكبرى . فعلماء الفلك الطبيعي ، ينتقلون بوساطة المطياف (السبكتروسكوب) ، الى عوالم تبعد عنا الوف الاميال وملايينها . في هذا الميدان نجد الدكتور سلايفر Slipher والدكتور آدل Adel والدكتور وِلْت Wildt في انحاء مختلفة من اميركا واوروبا يكتشفون حقائق جديدة عن المشتري وزحل واورانوس . والدكتور ادمز Adams والدكتور دُنْهام Dunham في مرصد جبل ولسن بكاليفورنيا يحملون ما غمض من امور الزهرة ، والدكتور كوبلنتر والاستاذ رسل ما خفي من شؤون المريح

وقد يقول معترض ان المطياف كان معروفاً عند العلماء من خمسين سنة تقريباً ، فلماذا لم يستعمل قبل الآن في الكشف عن الحقائق التي تقولون انها كشفت حديثاً ؟ والردُّ على هذا السؤال هو ان العلماء كانوا في حاجة الى استنباط الطرق والاساليب لاستعمال هذه الآلة ، وهذا لم يأت الا بالزوال وبالاعتماد على مكتشفات مختلفة في العلوم الاخرى . ذلك أننا اذا نظرنا الى ضوء الشمس او ضوء أحد

النجوم ، تعذر علينا ان نتيين العناصر التي تولده من مجرد النظر اليه . فنحن نحتاج الى مصفاة ، تمكننا من التفريق بين الاشعة المختلفة التي يتألف منها ذلك الضوء . فاذا استطعنا ان ندرس كل ضرب من الاشعة على حدة فقد نتمكن من معرفة المصادر التي تنطلق منها

والمصفاة التي تمكن الفلكي او الطبيعي من هذا هي المطياف . فالضوء اذا اخترق موشوراً من الزجاج فرقه الى عناصره التي يتألف منها . ولا يخفى ان قوس قزح ، ليس الا ضوء الشمس وقد تفرق الى عناصره بعد اختراقه لقطيرات المطر . وسواء اُحُلَّ ضوء الشمس بموشور من زجاج ام بقطيرات من الماء ، فالالوان التي تظهر عند حله هي — الاحمر فالبرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي . على أن المكرسكوب الحديث يمكن الباحث من أن يحل كل لون من هذه الالوان ، الى مناطق أو خطوط تظهر في أماكن معينة محدودة ، ودراسة هذه الخطوط تقضي به الى معرفة العناصر المتوجهة في الشمس التي صدر منها النور المحلول ، وفهم شيء غير يسير عن حالتها الطبيعية . فاذا رأى الفلكي الطبيعي خطاً معيناً في منطقة اللون الاصفر في طيف نور صادر من شمس ما ، عرف ان في هذه الشمس صوديوم ، واذا رأى خطاً معيناً في منطقة اللون الاحمر ، عرف ان هناك ايدروجيناً . وما يصح على هذين العنصرين يصح على الاكسجين والنيتروجين وغيرها من العناصر ويظهر من البحوث الحديثة في أجواء السيارات ان هذه الخطوط الطيفية المنبثقة بما وراءها ، توجد في الغالب في منطقة اللون الاحمر ومنطقة الاشعة التي تحت الاحمر ، وهي حقيقة جديدة في دراسة السيارات من الوجهة الطيفية . لذلك كان البحث في منطقة الاشعة التي تحت الاحمر ، متعذراً الى عهد قريب ، لما استنبط الكيمائيون مستحلباً غروبياً فوتوغرافياً يتأثر بالاشعة التي تحت الأحمر ، ففتحت به عيون الفلكيين ، على أمور كانت خافية عنهم ، أو كأنهم كانوا يحقدون في جسم يحيط به ستار كثيف فازيح الستار وظهر الجسم . ولكن هذا لا يعني ان البحث في طيوف السيارات من الهبات ، فالسيارات بعيدة ، ولا يظهر أعظمها حجماً ، في أقوى التلسكوبات ، الا كقطعة صغيرة من النقد . ثم ان الخطوط ومناطق الألوان المختلفة ، مبهمة غير جلية ، ولعل بعضها لا يزال خفياً لان المستحلبات الفوتوغرافية لم تبلغ بعد درجة وافية من الاتقان

بيد ان العلماء لاحظوا بعيد اكتشاف المطياف مناطق برتقالية اللون في طيفي المشتري وزحل . وفي سنة ١٩٠٥ لاحظ الدكتور سلايفر — وكان يشتغل في مرصد فلاغستاف باريزونا مع الاستاذ برسيغال لول الذي تنبأ بوجود السيار بلوطو — ان المناطق البرتقالية في طيفي اورانوس ونبتون كانت اجلى وأوضح مما يقابلها في المشتري وزحل ، وان في طيفي المشتري وزحل مناطق اخرى ضئيلة جداً لم يرها أحد قبله . فلما درس الاستاذ ولت Wildt (جامعة غوتنغن) الصور الفوتوغرافية التي صورها سلايفر نشر رسالة في سنة ١٩٣٢ قال فيها أن المناطق البرتقالية هذه ، ناجمة من غازي الامونيا والميثين methane (ك يد) ، ولكن قوله لم يكن قاطعاً . فما السبيل الى القول الفصل ؟

يعتمد الطبيعي في هذه الحالة ، الى الامتحان في معمله الضيق الجوانب . ولكن اذا دخلت قدس هذا المعمل لم تجد فيه السيارات مصغرة ، بل تجد آنية من الصلب تحتوي على الامونيا او الميثين او الايدروجين ، ثم تجد أنبوباً طويلاً من الزجاج يحتوي على خليط منها يمثل جو السيارة التي تُرام دراسته ، بمقادير عناصره ودرجة الضغط عليها . ثم تجد أمام الأنبوب مطيافاً وأمام المطياف لوحة خاصة . وعند الامتحان تبعث شعاعاً من النور من مصدر وراء الأنبوب فتتخرب خليط الغاز الذي فيه ، ثم تحل بالمطياف ، فترسم على اللوحة التي أمامه مناطقها الملونة المختلفة . هنا تتضح الخطوط المهمة في طيوف السيارات . وتظهر الخطوط الخفيفة . وخاصة ما كان منها في منطقة الاشعة التي تحت الاحمر . وقد اعتمد الدكتور دُنْهام Dunham احد علماء مرصد جبل ولسن على هذه الطريقة في دراسة جوي المشتري وزحل ، فنبت له ان في جويهما عنصر الايدروجين ومركب الامونيا . وبالاعتماد على الطريقة نفسها اثبت الدكتور سلايفر والدكتور آدل ان المناطق التي تبدو على سطح المشتري وزحل سببها غاز الميثين او الغاز الطبيعي

وقد تلتفت الى محدثك في المرصد وتقول له اذ يشير الى المشتري او يريك في عدسة التلسكوب : اذاً هذا هو المشتري ؟ فيرد عليك في الغالب : كلا ليس هذا الا جوه اذ لم يفر احد حتى الآن برؤية المشتري او زحل . وما شوهدهما ليس الا غيومهما هذا النوع من البحث ، يبذل الوهم السائد بأن المشتري لا يزال حمراً — لشدة حماوته — فقد انفصل عن الشمس من نحو ٥٠٠٠ بليون سنة ولا يخفى ان الحمارة الى درجة الحمرة تعني حرارة كافية لحل غازي الامونيا والميثين . فلو صح ان المشتري حار الى درجة الحمرة لما استطعنا ان نرى المناطق التي اثبت البحث الحديث ، انها هناك وان سببها وجود الامونيا والميثين في جو المشتري واذاً يجب ان نتصور كلا من هذين السيارين — المشتري وزحل — مؤلفاً من جسمين مختلفين او من جسم صلب وغلاف غازي . فالجسم الصلب مؤلف من مادة جامدة كثيفة لعلها صخر او حديد نيكلي . ثم خارج هذه الكرة غطاء كثيف من الجمد مضغوطاً ضغطاً شديداً سببه قوة جاذبية السيار نفسه الناجمة عن عظم كتلته . ويحيط بهذا كله جو غازي مضغوط ضغطاً شديداً كذلك ، فيه قدر كبير من الايدروجين والامونيا والميثين . وقد يسأل القارئ ما الباعث على الضغط الشديد في الجو وطبيعة الجمد ؟ والرد على ذلك في المقاييس المعروفة عن كتلتي هذين السيارين . فهما اكبر السيارات واذاً ففوق جاذبيةهما للاشياء التي على سطحهما كبيرة لانهما تزيد زيادة الكتلة . فاذا انتقل رجل من ابناء الارض الى سطح المشتري تعذر عليه رفع ذراعه لحك رأسه وسبب ذلك ان شدة جذب المشتري لذراعه تجعلها اقل من ان يسهل عليه رفعها . ولا يخفى ان الارض قد خسرت معظم الايدروجين في جوها لصغر كتلتها . ولكن المشتري وزحل لا يزالان محتفظين به لكبر كتلتهما ولا بد للباحث من قياس درجات الحرارة في اجواء السيارات لاستيفاء ما يعرفه عنها . هذا الفرع

من البحث اختتم^٣ به الدكتور پُتي Pettit والدكتور نيكولسن Nicholson من علماء مرصد جبل ولسن . فانهما استنبطا وسيلة لقياس الحرارة تدعى الثرموكبل Thermo-couple وهما يستطيعان لشدة احسامها ان يقيسا بها فرقاً في الحرارة يبلغ ثلاثة اجزاء من مائة الف جزء من الدرجة المئوية $\frac{3}{100000}$. وكل ما فيها ان ضوء نجم بعيد يجمع على قطع دقيقة جداً من البزموت وخليط القصدير فيولد فيها تياراً دقيقاً من الكهرباء . وقياس هذا التيار يمكن الباحثين من تعيين درجة الحرارة . ولا يزيد وزن الجزء الخاص بهذا القياس على رأس دبوس صغير

والنتائج التي وصل اليها الدكتور پتي ونيكولسن تدل على ان البرد شديد على سطحي المشتري وزحل ، حتى تتجمد الامونيا التي في الجو . ان درجة البرد تبلغ ٢٢٠ درجة تحت الصفر بميزان فارنهایت على سطح المشتري (١٤٠ تحت الصفر بميزان سنغراد) و ٢٨٠ درجة تحت الصفر بميزان فارنهایت (١٧٤ تحت الصفر بميزان سنغراد) على سطح زحل . اما العلماء ذهان وسلايفر وولت فقد انتهوا — على حدة — الى ان السيارات الكبيرين مغطيان بغيوم من بلورات الامونيا . وان هذه الغيوم قد بلغت من الكثافة درجة تحول دون رؤية ما تحتها حيث يجب ان يكون غاز الميثين كثيراً . ولو كان هناك اكسجين ، واشعل عود ثقاب لالتهب جو السيارات ، بل لحصلت فيه انفجارات عظيمة

وتزلق غيوم الامونيا على سطحي السيارات محدثة عواصف وأعاصير سرعتها من ٤٠٠ ميل الى ٦٠٠ ميل في الساعة على سطح زحل و ٢٥٠ ميلاً على سطح المشتري . ما سبب هذه الاعاصير ؟ اننا لانعلم حتى الآن . فالرياح تهب على سطح الارض لان حرارة الشمس تحدث اختلافاً في حرارة الهواء في مناطق مختلفة . ولكن الشمس ابعد من ان تؤثر حرارتها في ايدروجين المشتري وزحل او في بلورات الامونيا في جويهما . هنا يجد القائلون بأن المشتري وزحل لا يزالان حامين الى درجة الحمرة ، حجتهما الكبرى . وقد اعتمد الباحثان ادمز وذهنام على طرق البحث التي تقدم ذكرها ، فتبين لهما ان جو الزهرة مؤلف في الغالب من ثاني اكسيد الكربون . ولا يخفى ان هذا الغاز لا ندحه عنه لحفظ الحياة على سطح الارض . فان ضوء الشمس يفعل فيه فيولدان معاً في الاوراق الخضر في النبات ، مواد نشوية وسكرية . فاذا سلمنا بوجود نبات اخضر وجب ان نسلم بوجود الماء والاملاح المعدنية اللازمة لحياته ، وبوجود الاكسجين الذي يفره النبات في خلال عملياته الحيوية . ولكن ثاني اكسيد الكربون وحده لا يكفي للحياة

فاذا التفتنا الى المريخ ، تذكرنا ان علماء الطبيعة كانوا الى عهد قريب ، مختلفين في درجة الحرارة على سطحه . ولكن الدكتور كوبلتنز الاميركي ، قد جلا كل ريب يحيط بالموضوع . فانه استعمل جهاز « الثرمو كبل » لقياس حرارة الاشعة الواصلة اليها من مواقع مختلفة على سطحه ، فثبت له ان حرارة الصيف عند قطبه الجنوبي تتباين من ١٠ درجات مئوية تحت درجة الجمد الى عشر درجات فوق درجة الجمد وان حرارة المنطقة المعتدلة الجنوبية في الفصل نفسه تتباين من نحو ١٨ درجة مئوية الى

نحو ٢٤ درجة مئوية . واما حرارة المنطقة الاستوائية فتختلف من ١٨ درجة مئوية الى نحو ٣٠ درجة مئوية . وتختلف حرارة المنطقة المعتدلة الشمالية في الشتاء من ثلث درجة تحت الصفر الى ١٥ درجة فوق الصفر . وعلى ذلك ظهر ان حرارة سطح المريخ اعلى مما كان يُظن . والراجح ان برد الليل في منطقته الاستوائية شديد جداً ولكنه قد لا يفوق برد مدن عظيمة مأهولة اشهرت ببرد شتائها مثل مدينة نيويورك

ولكن ماذا يقال في جو المريخ ؟ ان فيه اكسجيناً وبخاراً مائياً وكلاهما من العناصر اللازمة للحياة كما نعهدها . وقد كان بعض البعثات الفلكيين يعتقدون ان البقعتين البيضاون على قطبي المريخ ليستا ثلجاً بل ثاني اكسيد الكربون متجمداً ، فثبت الآن ان البقعتين ثلج او جمد يذوب في الربيع والصيف وان ذوبانه مصدر البخار المائي في الجو . وقد صور الدكتور ريب بمركب جبل ولسن جو المريخ بالوان مختلفة فاكتشف غيوماً مائية صفراً ساطحة على ارتفاع ١٥ الف قدم فوق سطحه على ان الاستاذ رسل — استاذ علم الفلك في جامعة برنستن — يرى ان المناطق الحمراء على سطح المريخ لها تعليل آخر . فهو يقول : تأملوا الاكسجين في جو الارض فهو ليس كل نصيبها من الاكسجين الاصلي في مادتها . ومعظم ما تبدد منه يبدو في المواد التي تدخل اكسيد الحديد في تركيبها . وهي حمراء في الغالب . فالاكسجين شديد الالفة للحديد . ولا بد في النهاية من ان يزول الباقي من اكسجين الهواء بهذا التفاعل الكيميائي . فاذا اردنا ان لا يموت الانسان اختناقاً لشدة حاجته الى الاكسجين ، وجب علينا ان نبتدع طريقة لطلق بها الاكسجين الداخل في تركيب الصخور والمعادن وما اليها . والاستاذ رسل يرى ان المريخ في حالة تشبه حالة الارض من هذا القبيل . ويرجح ان معظم اكسجينه قد اتحد بصخوره . وما نراه من البقع الحمراء على سطحه قد يكون مناطق تكثر فيها المواد التي دخل الحديد والاكسجين في تركيبها وهي حمراء مثل المغرة والحجر الرملي والصدأ الحديدي وغيرها اما وقد اجتمعت هذه الادلة لدى العلماء ، فليس ثمة شك في ان احوال المريخ الجوية تصلح للحياة كما نعهدها ، في ابسط مظاهرها فقط . واذن يجب ان ننزع من اذهاننا صور الاحياء العاقلين الذين يبنون الاقنية المستقيمة للري ، وهم الاحياء الذين تصوّرهم الاستاذ لول يقطنون سطح المريخ . فاذا شهبنا المريخ برجل قلنا انه اخذ ينحدر من دور الفتوة الى دور الهرم

ثم اذا التفقنا الى السيارات الاخرى وجدنا ان عطارد قريب جداً من الشمس حتى ان حرارة سطحه تكفي لصهر الرصاص . اما اورانوس ونبتون وبلوطو ، فبعيدة كل البعد عنها ، حتي لا تبدو الشمس في نظر مشاهد على سطح أحدها الا نجماً كبيراً كما تبدو لنا الشمس في فلكها . فبها لا يفوق شفقنا اشراقاً ، وطول الفصل من فصولها يقاس بسنوات من سنواتنا ، ودرجة البرد على سطوحها تفوق درجة البرد الشديد على سطحي المشتري واورانوس . فسطوحها قاحلة مجذبة لا تصلح مئوى لشكل من أشكال الحياة التي عهدناها

حركة الرواد

تجربة اجتماعية خطيرة في مصر

كانت المحاضرات التي أقيمت في المؤتمر السنوي السادس الذي عقده المجمع المصري للثقافة العلمية (٧ — ١٤ فبراير) مثابة نخبة مختارة من فضلاء القوم وكبارهم وشبابهم المثقف . فقد ألقى فيه الدكتور علي باشا إبراهيم خطبة علمية تاريخية في « السجاد » والدكتور مشرفة خطبة « في الجسيمات المكتشفة حديثاً في علم الطبيعة » والدكتور شخاشيري في « التأمين على الجنين » ورئيس تحرير المقتطف في « الأشعة الكونية » والدكتور جورج صبحي في « اللهجات العربية العامية في مصر ونشوتها »

وكان مسك الختام خطبة لصاحب العزة احمد محمد حسنين بك موضوعها « اتجاهات جديدة في الإصلاح الاجتماعي في مصر » وصف فيها حركة اجتماعية خطيرة الشأن بالغة النفع تعرف بحركة الرواد . فرأينا ان ثبت هنا ما قاله في وصف هذه الحركة المباركة

من منا لم يغش حياءً بلدياً من أحياء القاهرة . ماذا اذن في مثل هذا الحي نرى . انا لنقع على حياة رخيصة زرية . مظلمة منحطة . نرى طرقات ضيقة قدرة . أزقة مبتلة متسخة . فضلات ملقاة على الجانبين . مساكن كالكهوف ضيقة ضئيلة منكشة . ما و متداخلة بعضها في بعض كأنها أعدت لطائفة من الاشباح ، ليس فيها منفذ لشمس أو مسرب لهواء . رجال خائرون كأنما يستبطنون مقدم الموت . العاطل فيهم أداة سقيمة صماء . لا رأي له في شيء ولا يفكر الا في أفق أولي غاية في الضيق . والمعطل منهم لائذ بالمقهى . يقضي يومه بين أن يسمع شرّاً أو يأتي شرّاً أو يفكر في شر . رجال قنّع خاملون نهشت الخدورات في هياكلهم نهشاً . نامت فيهم كرامتهم . وضاعت منهم كبرياؤهم وانتفى فيهم كل معنى من معاني القومية . لا نخوة لهم ولا خلاق . يضع حقهم فيستقيمون . يفلّ من عزتهم فلا يشعرون . ما أيسر أن يضيعهم مضيم وما أسهل ان يستهين بهم مستهين . لا يدركون انهم شيء يجب ان يحسب له حساب . ولا يقدرّون لانفسهم وزناً في نظر الناس . لانهم لا يقيمون لاشخاصهم هذا الوزن في نظر أنفسهم . اوائك هم رجال الحي . أما نسأوه فقد طمس عليهم الجهل . فشاعت القذارة في أنفسهم . وبيوهم . وأولادهم . في هذا المحيط المظلم . وفي تلك البيئة التي أفسدها الجهل والامية . ينشأ الطفل مهملاً متأثراً باخلاق هذا الوسط . وتنشأ البنت محملة تراث هذا العرف الاجتماعي السيء . والاطفال الذين تتولى أمرهم وهم صغار . هم الذين يتولون أمر أبنائهم وهم كبار . وبنت اليوم هي أم الغد . والام هي الامة

أتمننا جولتنا في جوانب الحي . ورأينا في ما رأينا سوءاً في السيرة وضعة في المعاملات . اسفاف في كل مرفق من مرافق الحياة

تلك جولة قصيرة في حي من أحياءنا البلدية . وهذا رسم اولي عام لناحية من حياته العادية والذهنية والنفسية . ولئن فرضنا أن حال القرية ليست بأسوأ من هذا الحي حالاً ، وإن مآلها ليس بشر منه مآلاً . استطعنا أن نرسم رسماً مكبراً لافق المجتمع المصري ، وإن ندرك في ضوء هذا الرسم المتسع مدى ما ينتهي إليه هذا المجتمع من فساد وضعف . فما صدق ذلك كله في أنفسنا نحن المتعلمين . دعاة الإصلاح . نمضي ننتقد ونعيب ونعدد المساوي . وقد تقسو في النقد . ونسرف في التنديد . وكأنا بهذا قد أدبنا واجبنا ، فلا نصنع من بعده شيئاً . بل أنا لنشتط في تصوير الامر ، فنوهم أنفسنا ، وبلد الوهم ، بأننا قد أصلحنا ، وإن ما سقنا من نقد وسرد معائب . وقدمنا من نعي وتنديد . وكلنا من قدح وتشهير . منة كبرى يجب أن يشكرها لنا أولئك البؤساء المساكين ، وخدمة جللى يجب أن يقدرها لنا أبناء هذا المجتمع الوضع . ولقد لجوان نتحزن ونتفجع ، ونندب حظنا ونتوجع ، أن نكون طليعة شعب هذا بعض أمره . وإن نكون نحن ، المتخرجين في المدارس العليا والجامعات ، الطبقة الراقية لناس هذا شيء من سيرتهم . ولقد راقنا أن نضع الامر هذا الوضع ، ونصور صلتنا بالمجتمع ، هذه الصورة النظرية . أما الواقع ، فإن هذا الافق المتأخر المنحط إنما هو الافق الطبيعي الذي يجب أن نعد نحن المتعلمين من أرقى طبقاته . وإذا كنا نحن المغرقين في نقد لم نعمل عملاً في سبيل رفع مستواه . فما عليه إذن من حرج في أن يهبط بنفسه وبنا الى أدنى ما يسف فيه

نعود نتساءل من منا يرضيه أن يتهم بأنه لا يجب أن يخدم بلده . من منا يرضيه أن يتهم بأن الوطن آخر ما يصح أن يفكر فيه . مع ذلك فن منا بسط في سبيل النهوض بهذا المجتمع يداً . من منا من بذل شيئاً من وقته أو ماله أو متاعه من أجل نقر مهمل منسي من أبناء هذا البلد . من منا من وقف من حي بلدي من أحياء القاهرة موقف المصلح العامل . قد يده النظيفة اللينة الى يد من تلك الايدي المتسخة الجافة . ومست بدلتة اللينة الفاخرة جلباباً قذراً بغض النظر . من منا من لقن هذا الخامل المستهين بنفسه محاسن الخلال . لقنه الصدق وشجاعة النفس . والاعتماد على الذات ، واشعره أن هذه الصفات الفطرية هي التي تخلق منه رجلاً جديداً ذا كرامة

نبتت فكرة الرواد في الايام الاخيرة من عام ١٩٢٩ ، وبدأت تعمل في حيز شخصي محدود ، اساسه الرياضة ، وسبيله القيام بالرحلات وانشاء المعسكرات ، وذايته ترويض النفس على أن تألف حياة الخشونة والتعسف ، فقد نالت منها مناعم المدنية الحديثة ، وأثرت فيها تأثيراً سلبياً ، هو بعض ما يشيع في نفوس أبناء هذا الجيل من ضعف وتراخ ، وطراوة ولين . غير أن الفكرة ما

لبثت ان اتسعت اذ ادرك الرواد ان هذا السبيل الذي اخذوا انفسهم به ، وحرصوا على ان يصاحوا من شأنهم على هديه ، ان هو الا نوع من الآثرة الممقوتة . فهم يذكرون انفسهم وينسون سواهم ، وهم احق منهم بالاصلاح ، وهم يخدمون اشخاصهم ويهملون الغير وهم اولى منهم بالخدمة . على ضوء هذه الفكرة الجديدة سجلوا دستورهم ، وضمنوه مبدأ العمل على رفع مستوى الاخلاق والحياة الاجتماعية في مصر . ولقد تفرّع لهم في هذا الصدد سبيلان ، ورأوا انهم مطالبون بنوعين من الجهود ، يفرقان في منحيهما ويلتقيان في الغاية منهما جميعاً . اما الاتجاه الاول فيقتضي جهوداً تبذل في الطبقات غير المتعلمة طبقات العمال والفلاحين ومن اليهم . واما الاتجاه الناشئ فيقتضي جهوداً تبذل في الاوساط المتعلمة المتعلمة اوساط الطلبة وشباب الموظفين المستنيرين . هذا ايها السادة بعض الاتجاهات الجديدة التي يبغي فيها الرواد ابتغاء الاصلاح الاجتماعي . ولئن بدأ الرواد بالنوع الاول من الخدمة العامة ، فلا أنهم رأوا ان حاجة الطبقات غير المتعلمة الى الاصلاح اشدّ مساساً من الطبقات التي تهيات لها وسائل التهذيب ، وتفتحت ابواب التنقيف

ولما كانت مذاهب الاصلاح في تلك الطبقات الفقيرة كثيرة متشعبة ، رأينا ان نحصر تفكيرنا في دائرة محدودة ، وان نوجه جهودنا وجهة مضمونة الثمر ، وانتهينا الى ان اصلح نواة نبدأ بفرسها في حقل الاصلاح الاجتماعي هي المحلات . فهي ملتقى نشاط الرواد ، يجد فيها اولئك الغلمان الذين لم نهوهم الاحوال الى ان يرقوا الى المستوى الاجتماعي المنشود ، جواً مشبعاً بروح الاخاء والود ، ووسطاً مهنياً يحرص على رفع مستواهم الاجتماعي . يجدون رجالاً ينظمون لهم اوقات الفراغ ، فمنها ما يتصل برياضة الجسم ، ومنها ما يتصل بتلقي المعرفة ومنها ما يتصل بتهذيب النفس . رجال يأخذونهم باللين ، يعالجون امراضهم الخلقية بالمعروف . ييسرون لهم سبل المعرفة العامة . يغرسون في اذهانهم انهم ناس عليهم واجبات ولهم كرامة . وهذه احدى سبل التضامن الاجتماعي التي لم تسبق مصر ان عرفتها

صحّ الحلم اذن . وافتتح الرواد في العشرين من نوفمبر سنة ١٩٣١ اول محلة بحري الطيبي ، وهو ناحية من حي السيدة زينب ، وفي تلك المحلة ، يلتقي في مساء كل يوم نفر من ابناء هذا الحي ، بعد ان يفرغوا من عملهم اليومي . وهناك يجتمعهم بالرواد جمع واحد ، وهم رجال مثقفون فمنهم اساتذة الجامعات والمدارس العليا . ومنهم اطباء ومهندسون . ومنهم محامون وطلبة من الجامعة . شباب نزاع الى الخدمة العامة . مؤمن بقدرسية هذا الواجب . فيتصلون بهم اتصالاً يشعرونهم فيه بأنهم قدوة يجب ان يأخذوا بها ، وانهم اجمعين بنو وطن واحد لا يسمو أحد عن اخيه الا بسمو نفسه . ولا يميز عن صاحبه الا بقوة الاخلاق

واحب هنا ان اصرح في صوت مسموع ان رسالتنا الادبية التي نعتمد عليها في هذه الخدمة العامة ليست في حشو الرأس بألوان العلوم ، بل في بث اصول الفضائل في نفوس هذا النشء . ذلك

لانا نعتقد اعتقاداً ثابتاً ان التعليم قبل التهذيب غرس في غير منبته . وان حاجة هذا المجتمع الى تهذيب النفوس ، امس من حاجته الى تثقيف العقول . الا ان العلم مناهله سهلة والثقافة سبلها ميسورة ، اما الخلق اذا اعوج فكالعود اذا اعوج ، يظل ابداً معوجاً ، يصعب ان يقوم
اثمرت التجربة ايها السادة ، وافلح المسعى فتأثر هذا النشء الذي نتعهد بالتربية الخلقية والرياضة الجسمية ، واستطعننا حيناً بعد حين ان نصل الى قلوبهم ونملك عليهم مشاعرهم حتى لقد غدوا يرون انهم قطع منا ، وانا لهم آباء ، أو اخوة كبار أعزاء ، واذا قابلنا بين حال هؤلاء الغلمان اليوم ، وحالهم بالامس حين شرعنا في هذا الجهاد الاجتماعي ، وجدنا في الحق فارقاً كبيراً . فلقد جاهدوا بالامس بأخلاقيهم الاولى ، وطباعهم النزاعة الى الشر والعيب والفوضى . وكان تعهد عنصر من هذا النوع أمراً معنتاً مجهداً . أما اليوم فقد تقوّم عوجهم وصفت سرائرهم ، وأصبحنا نلمس في أعمالهم ظاهرة خلقية نبيلة . قد لا نراها في بعض من أوساط المتعلمين

لقد جاء احد ابناء المحلة اول ما جاء متأثراً بالشيء الكثير من الخلق السيء فلما يتسنا منه ، وابتعدته المحلة عن ابوابها ، امطرها وفريق من صببة الحارة مقداراً وفيراً من الطوب والحجارة . ولقد يأخذنكم عجب اذا سقت اليكم من امره انه اليوم فتى من خير فنية المحلة ، حسناً وسلوكاً وادباً كان غلمان المحلة من قبل ، اذا تفوق احدكم على زميله في لعبة من الالعب الرياضية كال المغلوب للغالب من الشتائم ، وابتلى ان يبسط يده الى يد خصمه يصاحفه مهما أريد على ذلك ، وأفهم نبل الروح الرياضي . اما اليوم فان هذا المغلوب ليقبل على غالبه يصاحفه ويحييه ، ويهنئه بتفوقه شاعراً انه قد بذل جهده وأدّى واجبه وان خصمه ليس غريباً ولكنه أخ
لقد كانوا يرون في المحلة من قبل رأياً غريباً يرون ان كل ما فيها من ادوات يصح ان يتناولوه بالتلف وان كل ما غنم من هذه الادوات انما هو ربح حلال لهم . اما اليوم فانهم يرون انهم قوم على كل ما تحتوي المحلة ، وانهم مسئولون ادبياً عما يفقد منها فاذا وقع شيء من ذلك فانهم يبادرون بالاتيان بمثله او بخير منه

توفي احدكم فاشتركوا جميعاً في التعبير عن شعورهم الاسيف ، وتعاونوا بكل ما يملكون من قروشهم القليلة ، على زيارة قبر اخيهم ، ومعهم ما يحملون من الصدقات المعروفة في مثل هذه الاحوال كسنا نعطيتهم من مكتبة المحلة مجلات يطالعونها فاذا ما انتهوا منها ردوها اليها ، فكان بعض هذه المجلات لا يعاد ، وكان بعضها الآخر يعاد مشوهاً مبتورة منه صحائف ، او منزوعة منه صورة . اما اليوم فقد استقام امرهم ، ولم يعد شيء من ذلك يقع . بل لقد بلغت بهم دقة الحس ان اصبحوا يمدون المحلة بمجلات ، ويرقبون بانفسهم صيانتها في ايدي اخوانهم القارئین
كان عسيراً ان يدعنوا لمن يقوم عليهم . اما اليوم . فاذا اتفق ان تغيب القائم بسكرتارية شئون

الحلة عن دارهم ، فانهم يختارون من بينهم عليهم ولياً ، ويبذلون في سبيل طاعته ما يبذل أخ اصغر في سبيل طاعة اخيه الا كبر المحبوب

وانما نضرب في هذا الشأن الامثال لنرى كيف أفلح الرواد في تهيئة هذا التطور النفسي ، وكيف أثمرت رسالتهم الخلقية ثمرتها المرجوة . وكيف انا لم نكن مسرفين في الظن حين قطعنا بان غراز هؤلاء الغلمان لم تكن تخلو من عناصر الخير وان في مستقر انفسهم حساً لطيفاً ووجداناً عامراً ، وانهم انما كانوا مفتقرين الى تلك اليد الخيرة البيضاء تمسهم برفق فتوقظ فيهم فضيلة نائمة وتخرجهم الى النور من ظلام المجتمع . ولقد زادنا ذلك يقيناً بان نظام المحلات اوفق ما يكون نظاماً يبدأ به في سبيل تهذيب البيئة وأصلح ما يكون نواة يستهل بغرسها من اجل الاصلاح الاجتماعي

تبدأ سن غلمان المحلة من الثانية عشرة وتنتهي في العشرين . وليس معنى ذلك ان مبدء المحلة في صدد الخدمة العامة لا يسمح بتجاوز هذه السن ، او بقصر الجهود على امثال هؤلاء الغلمان . ان نظام المحلة ومبدء الخدمة العامة فيها يتسعان لغير ذلك . يتسعان للشيوخ كما يتسعان للصبية ، يتسعان للنساء كما يتسعان للرجال . جمهورنا المصري في حاجة الى الاصلاح . لا فرق بين عنصر وعنصر او جنس وجنس . لكن صعوبة التأثير في كبار السن وضعف الامل في اخضاعهم لنظريات التربية العلمية الحديثة — لكن مجابهة هذه الظاهرة من جانب ، ومجابهة الظروف الاجتماعية في مصر من جانب آخر ، وضرورة الحرص والحذر في بدء مثل هذه الحركة ، لكن ذلك كله الجأنا الى ان نبدأ بهذه السن . فالتسعت الخطوة . واثمرت الجهود . وانتجت آخر الامر ما سميناه بالاخوة الكبار

فلقد قسمنا ابناء المحلة اقساماً راعينا فيها التجانس الخلقي . وأوثقنا بينها عرى التواصل . وأقمنا على كل قسم رائداً . يتعهد شئون اخوته الصغار ويسعى ما يستطيع في سبيل حل مشكلاتهم وتسوية امورهم . وقد راق ابناء المحلة هذا النوع من الصلة . فشغفوا بهؤلاء الاخوة الكبار واخذوا يبتونهم ما في صدورهم . حتى انه ليصرحون باشيء ما كانوا ليصرحوا بها لولا هذه الصلة الروحية . وما اثمرت في النفوس من ثقة بهم واطمئنان اليهم ولقد بلغ من نجاح فكرة الاخوة الكبار ان تعدى النشاط جوانب المحلة الى بيوت هؤلاء الغلمان انفسهم . فهم يختلفون اليهم بين حين وحين . ويتصلون في ذلك باهلهم وذوي قرباهم . ويوفقون من ذلك الى دراسة عملية حققة لهذه البيئة تمكن لهم ان يلعبوا مكامن الداء فيها . وتمكن لهم من بعد ان يشقوا في سبيل الاصلاح طرقاً واضحة النهج . قائمة على اساس مشاهد ملموس

على ضوء هذه التجربة العملية ايها السادة . وامام هذا الاثر الذي اثمرته جهود المحلة في تلك المدة القصيرة ، زانا اليوم اعمق ايماناً بوجود تعميم المحلات في سائر نواحي القطر . ولو ان موارد الرواد تنسع لذلك لكان لهم اليوم محلات عدة . ولكن جهادهم ارحب افقاً مما هو عليه اليوم . لكن

الموارد ضيقة محدودة . ورأس مال الرواد يعتمد حتى الآن على ما يبذلون منه في سبيل مثلهم العليا من ملهم الخاص . وهم في هذا يقفون عند حد طاقتهم . وهي طاقة ضعيفة لا تحتل الارهاق تلك جهود المحلة في الطبقات الفقيرة غير المتعلمة . ولما كان الرواد يرون ان اجدى سبيل يستكملون به رجولتهم سبيل الرحلات والمعسكرات . واستغلال اوقات الفراغ . فقد قاموا برحلات والشاؤا معسكرات ودعوا الى الاشتراك في هذا العمل الطلبة وشباب الموظفين المثقفين وتقسم اوقات هذه المعسكرات الى اقسام ثلاثة

القسم الاول منها : يحتوي على دراسات منظمة لنواحي المجتمع المصري . يتكلم فيها فريق يعرفون بتعمقهم في الشؤون الاجتماعية

والقسم الثاني منها : يخصص لرياضة الجسم والاخذ بسبب من اللهو البريء

والقسم الثالث منها : يمس حياة المعسكر . اذ يعتمد المشتركون فيه على انفسهم فهم الذين ينظمون مضاجعهم ويعدون ما كلهم ومشربرهم

هذه هي الاسس التي توزع عليها اوقات المعسكرات التي تقيمها ولعلكم تلمسون ان الرواد لم يدعوا جانباً من الجوانب التي تتطلبها الكمال الانساني الا حاولوا ان يأخذوا بسبب منه . فهم يحاولون ان يكسبوا الجسم سلامة وقوة . والنفس صفاءً وسمواً . والعقل ثقافة ومعرفة . والخلق استقامة وصلابة زبد ان روض الشباب المتعلم على التخشن والتكشف وممارسة المصاعب والاستهداف للمخاطر . زبد ان نعري الشباب المتعلم قليلاً عن التأنيق في هندامه والاستسلام الى اللين والطراوة . فاللين والطراوة ليسا من شيمه الرجال . زبد ان نعري الشباب المتعلم بتذوق المشاق في سبيل المثل العليا . هذا بعض ما زعمي اليه من اقامة الرحلات وانشاء المعسكرات . ولعل معسكر القناطر الخيرية الذي انشأناه في منتصف الشهر الماضي والاسس التي قام عليها فاتحة طيبة لتحقيق هذا الحلم الذي نعمل له : تكوين جيل من الشباب . قوي في جسمه . صلب في خلقه . نزاع لكل فضيلة : جيل يصح ان يسمى جيل الاشبال

ايها السادة : لدينا في المحلة الآن ثمانون صبياً او نحو ذلك . هم ثمرة مجهود الرواد منذ انشأوا محلتهم حتى اليوم ولقد يستضئ بعضكم هذه الثمرة . ويرى ان مجهود الرواد بطيء او انه متماقل بليد . اما نحن فلا نرى في تلك الثمرة هذا الرأي . فهي من جانب ثمرة طبيعية فضجت في اوانها . وهي من جانب آخر ليست برهاناً على كل الرواد ولكنها آية على شدة يقينهم في هذا الشأن . القياس عندنا بالعمل في حد ذاته وليس بكثرة الثمر كائناً ما يكون . وان عملاً يؤدَّى على مهل ويسير على اسس ثابتة وينتج نتاجاً ناضجاً قليلاً خير من عمل سريع يؤتي نتاجاً كثيراً غير ناضج . لم يضرنا اذن على غنت المسمى وطول الزمن ان نحني مثل هذا القطف اليسير . فالبحر الفياض في اصله قطرة . والبناء الشاهق في اصله لبنة

ألف ليلة وليلة

للكنور احمد صيف

هذا الكتاب هو أشهر الكتب القصصية في لغة العرب بل في جميع اللغات . فلقد قال بعض الباحثين من الاوربيين أنه لم يفقه في شهرته غير « التوراة » لأنه أكثر الكتب قراءة وأوسعها خيالاً وأعظمها غرابة وأحفلها اسطورة وخرافة . لذلك ذاع امره في عالم الادب في الشرق والغرب فهو المثال الذي سار على نهجه كتاب العرب في قصصهم وشغف به الفرنجة فحاكوه في بعض حكاياته الأدبية ولكن أدباء العرب ومؤرخيهم وصفوه بأنه كتاب « غث بارد » كما ذكر ذلك « ابن النديم » في « الفهرس » و « المسعودي » في « مروج الذهب » . ذلك لأنهم نظروا إلى عبارته واسلوبه فوجدوا فيهما كثيراً من الخطأ اللغوي والبياني فلم يرقهم ذلك . ثم رأوا ما فيه من مجون وأساطير مما لا يتفق مع التهذيب العقلي والنفسي فلم يعن أحد منهم بالبحث عما فيه من مسائل فنية أدبية او صور نفسية او اجتماعية منبثة في كل ناحية من نواحيه ولا بما يظهر خلال اساطيره ومجونه من الحقائق الانسانية وسجاياء الانسان وأخلاقه . فانصرفوا عن دراسته انصرافاً كلياً

ولم يكشف لنا عن غوامضه غير المستشرقين من الاوربيين فقد كتبوا فيه الكتب الكثيرة والرسائل القصيرة والطويلة . وترجمه الادباء منهم الى لغاتهم . وقد ذكر كل ما كتب عنه وترجم منه الباحث البلجيكي فيكتور شوفان Victor Chauvin في كتابه فهرس الكتب العربية Bibliographie des Ouvrages Arabes فلما من ذلك أكثر من مجلد من هذا الكتاب . والمباحث التي كتبت في « ألف ليلة وليلة » كثيرة مذكور كلها في « دائرة المعارف الاسلامية » عند الكلام عليها . وقد كتب هذا البحث العالم الدانمركي « أوستروپ — Oestrup » الذي عني عناية عظيمة بدراسة هذا الكتاب وكتب فيه رسالة تقدم بها لامتحان الدكتوراه في « كوبنهاج » وطبعها باللغة الدانمركية عام ١٨٩١ . وهذه الرسالة تحسب من المباحث الجليلة . فقد ناقش فيها المؤلف الباحثين قبله في آرائهم . وقد ترجم ملخص ما فيها الى اللغة الفرنسية وطبع في مذكرات المجمع الفرنسي الشرقي للمباحث الاثرية بالقاهرة ضمن الجزء السابع والعشرين عام ١٩١٢

Memoires publiés par les Membres de l'Institut Français d'archeologie Orientale du Caire, Tome vingt-septieme ومن المباحث الجليلة ايضاً رسالة « فيكتور شوفان » المسماة

La Récension Egyptienne des Mille et une nuits المطبوعة في مدينة بروكسل سنة ١٨٩٩ ومنها البحث الممتع الذي كتب في «دائرة المعارف الاسلامية» و«دائرة المعارف البريطانية» وهناك مباحث كثيرة لبعض العلماء من الانكليز والالمان والفرنسيين والروسيين وغيرهم مما لا يسع المقام ذكره فقد كتب بعضها في مجلات وبعضها في رسائل صغيرة وكلها او جلها مذكور «في دائرة المعارف الاسلامية». وقد كان للمجادلات التي دارت بين «شوفان — واستروپ» فضل عظيم في الكشف عما تحتويه «ألف ليلة وليلة» من مسائل تاريخية وفنية دونت في الكتابين السابقين أصل الكتاب وآراء الباحثين فيه * عند ما ذاع ألف ليلة وليلة في اوربا اقبل على دراسته علماء الادب والتاريخ من المستشرقين وغيرهم واول بحث ظهر في ذلك كان للمستشرق الفرنسي الشهير «سلفستري دي سامي» Sylvestre-de-Sacy في سنة ١٨١٧ وقد استمر في بحثه الى سنة ١٨٣٣ فكتب كثيراً من المباحث في موضوع هذا الكتاب واصله وسار على أثره في ذلك غيره من المستشرقين وقد استرشد الباحثون في مباحثهم بعبارة المسعودي الواردة في كتابه «مروج الذهب» اثناء كلامه على «ارم ذات العباد» اذ قال: «وسبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية». وسبيل تأليفها ما ذكرنا مثل كتاب «هزار افسانه» وتفسير ذلك من الفارسية الى العربية الفخرافة. والفخرافة بالفارسية يقال لها افسانه. والناس يسمون هذا الكتاب «ألف ليلة وليلة» وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتيهما. وهما «شيرا زاد ودينار زاد». ومثل كتاب «مرزة وشيما» وما فيها من اخبار ملوك الهند والوزراء. ومثل كتاب السندباد وغيرها من الكتب في هذا المعنى»

واعتمد الباحثون ايضاً على عبارة «ابن النديم» التي قال فيها: «اول من صنّف الخرافات وجعل لها كتباً وادوعها الخزان وجعل بعض ذلك على السنة الحيوان الفرس الأول ثم اغرق في ذلك ملوك الاشعانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس. ثم زاد ذلك واتسع في ايام ملوك الساسانية ونقلته العرب الى اللغة العربية وتناوله العلماء والبلغاء فهذبوه وتمتقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه واول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب «هزار افسانه». وكان السبب في ذلك ان ملكاً من ملوكهم اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من اولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها «شهر زاد» فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها ألف ليلة والى ان رزقت منه ولداً أظهرته وأوقفته على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها»

هكذا يروون السبب في أصل هذا الكتاب. ولكن الباحثين اختلفوا في ذلك لعدم وجود برهان قاطع على ما في كتابي «المسعودي» و«ابن النديم». ولقد اضطربت أقوالهم في ذلك حتى لقد كان يرى أحدهم الرأي ثم يرجع عنه كما فعل (دي ساسي) في مباحثه فقد ظن أولاً أن

هذا الكتاب كتب بقلم كاتب واحد في العصر العباسي الاول ثم رجع عن هذا الرأي وقال انه كتب بعد ذلك . ثم زيدت عليه حكايات وأنه عربي صميم ليس فيه شيء هندي ولا فارسي ورأى المستشرق الالماني « همر von Hammer » غير ما رأى « دي ساسي » واعتمد قول « المسعودي » من ان أصل الكتاب فارسي ثم ضمت اليه حكايات هندية ويونانية وعربية وان الحكايات العربية دخلت ضمن القصص الاخرى حول اسم « هارون الرشيد » ومن عاصره وان البدء في تأليف هذا الكتاب كان في زمن الخليفة « المنصور » ورأى بعضهم أنه كتب زمن العباسيين على أثر انتشار أخبار الفرس وحكاياتهم على السنة العامة ثم زيدت عليه قصص اخرى في أماكن وأزمان مختلفة وقد بلغ الاضطراب في آراء هؤلاء الباحثين ان نفى بعضهم كل أثر فارسي أو هندي في هذه القصص كما رأى ذلك العالم الانكليزي « لين Lane » الذي قال أنه كتب بقلم كاتب واحد بين سنة ١٤٧٥ - سنة ١٥٢٥ ميلادية . بل رأى بعضهم أن بعض قصصه مأخوذ من « الأوديسي » لهوميروس الشاعر اليوناني القديم وضرب لذلك مثلاً بقصة « السندباد البحري » (راجع :

Homère et les Mille et une nuits, par Victor Chauvin, extrait du Musée belge.

Revue de philologie classique.

وقسم « مولر Müller » الألماني الكتاب أقساماً : قسماً منه كتب في بغداد والقسم الاكبر كتب في مصر . وتوسع في هذا التقسيم « نولدك Noldeke » وحدد كل قسم منها وجاء البجاة استروب فجعل أقسام الكتاب ثلاثة : الاول يحتوي على القصص التي أخذت عن الاصل الفارسي « هزار افسانه » . والثاني قصص كتبت في بغداد . والثالث قصص اضيفت الى ذلك وكتبت في مصر . وقال ان هناك حكايات أخرى عربية أدخلت في الكتاب مثل حكاية « عمر بن النعمان وأولاده » وقد بحث هذا التقسيم وتوسع فيه المستشرق البلجيكي شوفان الذي سبق ذكره في كتابه السابق . وقال : « ان ما كتب في مصر كتب قسماً منه جماعة من الاسرائيليين الذين اعتنقوا الاسلام ؟ وقسم كتبه مسلمون »

ولا يسعنا ان نذكر كل آراء الباحثين ذكراً مفصلاً لكثرتها وتشعبها . ولا شك في أن لهذا الكتاب أصلاً فارسياً وهندياً نقل الى اللغة العربية في القرن الثالث الهجري كما يقول الباحثون فقد لاحظوا عند مقابلة الكتاب العربي بالكتاب الفارسي « هزار افسانه » أو ببعض القصص الهندية المعروفة أن كثيراً من القصص العربية هي عينها تلك القصص الاصلية مع تغيير ضئيل اقتضاه النقل وعبت الرواة والكتاب والناقلين من العامة والخاصة . وان ما حصل من اختلاف كان في بعض الصور والاسماء القديمة التي استبدل بها غيرها من الصور والاسماء العربية . هذا فيما عدا ما كتب في مصر وبغداد

فن علامات القصص الفارسية أو الهندية التي ترجمت الى العربية احتواؤها على اسماء فارسية مثل « شهر زاد » و « شاه زمان » وغيرها ، ومثل الكلام على النساء وخيانتهم لأزواجهم وما في ذلك من المكر والخداع والحيل الغريبة والاساطير الكثيرة والاخلية العجيبة التي تحسب من صور العقل الفارسي أو الهندي . مثل ما جاء في حكاية قمر الزمان : « ثم دقت بكفها الارض فطلع منها عفريت أعور أحذب أجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفي رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى كعبيه ويداه مثل المداري ورجلاه مثل الصواري وله أظفار مثل أظفار الاسد وحوافر مثل حوافر الحمار الوحشي » ص ١٨٨ طبعة بيروت ج ٢ ومثل هذا كثير في هذه القصص . ويظهر أنها لم تنقل الى العربية بنصها الاصيل بل أدركها تغيير وتبديل وزيادة وحذف فدخلت فيها عبارات إسلامية وآراء دينية كما جاء في قصة الملك شهرمان وابنه من مثل العبارات الآتية : « فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . فتوكل على الله أيها الملك وابتهل إليه . فقام الملك وتوضاً وصلى ركعتين ودعى الله تعالى بنية صادقة » . وكما جاء في هذه القصة : « ثم قام وتوضاً وصلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمان وتبارك الملك والاخلاص والمعوذتين وختم بالدعاء » (حكاية قمر الزمان والعفريته الميمونة الجزء الثاني طبع بيروت) وفي هذه الحكايات ما يشبه ما في القصص الهندية في أسلوبها وموضوعاتها مثل حكاية التاجر العارف بلغة الحيوان ومثل قصة الوزراء السبعة والتاجر والجني وقصة الصائغ والجني . قالوا ومن أساليب القصص الهندية تسلسل الحكايات ودخول بعضها في بعض وذكر القصة لالهاء السامع ومنعه من الوصول الى غرضه وذكر العبارات الآتية : « يلزمك ألا تفعل هذا حتى لا يحصل لك مثل ما حصل لفلان » . وكالعبارة المكررة كثيراً في هذه القصص وهي سؤال رجل لآخر « فكيف كان ذلك ؟ » فهذه أساليب هندية يقولون أنها في القصص المنتشرة بين العامة . ويستدلون على ذلك بأن أصل هذه القصص المنقولة الى العربية هندي أو فارسي زيدت عليه صور أخرى من الحياة العربية الإسلامية

❖ القصص المصرية ❖ قد يجد القارئ المصري لبعض قصص « ألف ليلة وليلة » تشابهاً بينها وبين ما هو مؤلف من أسلوب احاديث العامة أو الخاصة وما هو معروف من اخلاق وعادات مصرية : سواء كان ذلك في الاحوال الاجتماعية ، أو النفسية . ولقد تكون هذه القصص مكتوبة بأسلوب عربي مصري ، أو لهجة مصرية ، وهذا ما يحمل على التصديق بأن هذا الكتاب قد احتوى على قصص مصرية ، كتبت في مصر ، بأقلام كتّاب مصريين وتمتاز هذه القصص بصفات منها ان موضوعاتها ليست خيالية مجتة ، بل مأخوذة من الحياة العامة المصرية وان ليس الغرض منها جذب القراء اليها بما فيها من الغرائب والعجائب التي لا يصدقها إنسان عاقل كما في القصص الفارسية أو الهندية المملوءة بالاساطير والخرافات

ومنها ان الكاتب يعتمد فيها على ما في نفسه من أثر الحوادث التي شاهدها في حياته ورسم الاشخاص الذين عرفهم ورآهم وانه اذا وجد شيء من الاساطير فإنه يكون بقدر الحاجة ومن صفات هذه القصص ان الاشخاص الذين فيها هم جميعاً ممن يعيشون بكدهم ولا تكاد تجد بينهم من ساعدتهم الحظ فأصبحوا من الاغنياء او نكبتهم الايام فصاروا من الاشقياء لأنهم يعتمدون على المصادفات. لهذا تجد الكاتب كثيراً ما يتكلم عن الصناعات . ويذكر رجالاً من التجار يتكلم عن تجارتهم وسلعهم كما في قصة «الاحدب» وكما في الكلام على «ابو قير» ومصبغته «وابو صير» وجمامه وغير ذلك. ومن هذه القصص قصة «معروف» الاسكافي المشهورة . وبمناسبة ذلك قال بعض الباحثين ان غير القصص المصرية مملوء بالخيال والمبالغة والأثرة او حب النفس وانها عبارة عن حلم شعب خمول يود ان يعثر في اثناء فسحه على المعادن والجواهر ليصبح من الاغنياء ومن صفات القصص المصرية ان شخصية الكاتب فيها ظاهرة تمثل نفسه وكأنه يدرس موضوعاً شاهده فهو يتوسع في شرحه

ومنها ان اكثر هذه القصص قصيرة وان الصبغة المصرية ظاهرة فيها : من فكاهة ونقد حلو وخفة روح

ومن اعظم مميزاتها ان كاتبها عارف بالافتنان والاساليب القصصية عالم بكيفية سرد الحوادث كما قال العالم الالماني «كرامر» وكما يرى في قصة معروف الاسكافي وعلي الجوهرى وقصة التاجر علي المصري والتاجر حسن الجوهرى وقد لاحظ الباحثون ان القصص المصرية كثيراً ما تتشابه في الحوادث والموضوعات ووجدوا ان في بعضها اطراء للمرأة المصرية كما في الكلام على قر الزمان وهناك مميزات اخرى تظهر للقارئ في اثناء قراءته فيشعر بأنها كتبت بأقلام مصريين وعقول مصرية

﴿القصص الاسرائيلية المصرية﴾ تمتاز القصص الاسرائيلية التي كتبها اسرائيليون مصريون فديكون بعضهم اعتنق الاسلام بأشياء

منها: ذكر الاسماء والاماكن العبرية كسليمان وداود وآدم وبيت المقدس وذكر المسائل التاريخية العبرية كوصف الارض وارتكازها مما اخذ من كلام وهب بن منبه وكحجارة العفاريت بعضها بعضاً وتحول الانسان الى رماد وكحكاية الشرير الذي اختطف رجلاً وطار في الهواء فأصابته ضربة من حربة ملتهبة ارسلت اليه من الملائكة. وكالقصة التي ذكر فيها : ان اعرابياً زار هاروت وماروت اللذين كانا مسجونين في بئر في بابل . فلما رأى طولهما العظيم العجيب فزع من هذا المنظر فذكر الله تعالى فانطوى جسمهما وصار على شكل مربع وكان يرافق العربي في هذه الزيارة يهودي . وقد رأى بعض الباحثين ان الغرض من امثال هذه الحكايات التهمك بالمسلمين

ومن اشهر الحكايات الاسرائيلية : حكاية «بلوقيا» المذكورة ضمن قصة «حاسب كريم الدين

ابن دنيال الحكيم» اذ يظهر ان كاتبها وقف على قسط وافر من الاساطير الاسرائيلية كذكر الحياة وأثرها والسعي في الحصول على خاتم سليمان وذكر الغرائب والعجائب . فمن امثال ذلك ان الله خلق جبلاً قدره مسيرة خمسمائة عام وهو من الثلج والبرد وهو الذي رد حر جهنم عن الدنيا : ولولا ذلك الجبل لأحترقت الدنيا من حر جهنم وان الارض سبع طبقات يحملها ملك وتحت الملك صخرة وتحت الصخرة ثور وتحت الثور حوت والحوت في بحر تحته هواء وتحت الهواء نار وتحت النار حية عظيمة ولولا خوف الحية من الله تعالى لا ابتلعت جميع ما فوقها وان الحية فتحت فاهها فأدخلت جهنم في بطنها وقيل لها احفظي جهنم الى يوم القيامة . فاذا جاء يوم القيامة امر الله الملائكة ان يأثوا معهم سلاسل يقيدون بها جهنم الى المحشر (راجع القصة في الجزء الثالث من ألف ليلة وليلة صفحة ١٢٠ من طبعة بيروت)

ومن اساطير هذه القصص الاسرائيلية انه لما توفي سليمان عليه السلام وضعوه في تابوت وعدوا به سبعين بحراً وكان الخاتم في اصبعه ولا يقدر احد من الانس ولا من الجن ان يأخذ هذا الخاتم... وانه وجد في بعض الكتب ان بين الاعشاب عشباً كل من اخذ منه شيئاً وعصره واخذ ماء ودهن به قدميه فانه يمشي على اي بحر خلقه الله تعالى ولا تبطل قدماه ولا يقدر ان يحصل انسان على هذا العشب الا اذا كانت معه ملكة الحيات وثمة كثير من هذه الاساطير الاسرائيلية . ومن الادلة على انها اسرائيلية وان كاتبها اسرائيلي مصري انه جاء في هذه القصة ان « بلوقيا » عند ما دخل بيت المقدس كان يقرأ في التوراة وقد سئل عن اسمه فقال « بلوقيا » وانه من مدينة مصر هذا ورغم كل هذه الجهود التي بذلها العلماء في البحث في هذا الكتاب لا يزال اصله مجهولاً ومؤلفه مجهولاً والزمن الذي كتب فيه مجهولاً ايضاً

ولقد يلتمس الانسان عذراً لبعض الباحثين الذين قالوا ان الكتاب حديث العهد بالتأليف فان حكاياته على اختلافها في الموضوعات متشابهة الاسلوب في جملتها حافلة بروح العامة من الكتاب المسلمين خاصة بلهجاتهم . وقد يكون اكثر هذا الروح انتشاراً هو الروح المصري والغالب على ظننا ان « هزار افسانه » الذي يقولون انه اصل هذا الكتاب ذاع امره بين الخاصة في العصر العباسي ولم تنشر النسخة الاصلية منه كما نشرت « كيلة ودمنة » وغيره ثم اعجب الناس بما نشر من تلك الاحاديث لغرابتها وانتشرت في المجالس والمحافل وزاد عليها الفرس وابناؤهم من التجار وغيرهم فجمعها بعض العامة او الخاصة كما فعل الجهشيارى الذي كتب كتاباً « اختار فيه الف سمر من اسماء العرب والعجم والروم وغيرهم . واحضر السامرين فأخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون »

ولعل الكتاب كتب اولاً بعبارة صحيحة ثم تناوله الناس وغيروا وبدلوا فيه و اضافوا اليه كثيراً من احاديثهم وحكاياتهم العامة ليكون اوقع في نفس العامة فظهر على ما هو عليه الآن

ليون دوديه

LÉON DAUDET

للمرئسة « مى »

جزنا بالموضوع السابق حدود اسبانيا الى هاندي فسار بنا السبيل السوي والجوار الجغرافي الى أدباء فرنسا . وكنت في شغل من التخيير بين ذوي الشأن الأدبي الخاص عندما رأيت برقية بتاريخ ٢٦ يناير تنبيء بأن المحاكم الفرنسية العليا أبدت الحكم الابتدائي بتغريم ليون دوديه خمسين ألف فرنك تعويضاً للجنرال ديالنج والكونت كولومبو اللذين كان اتهمهما بقتل ولده فيليب

أليست هذه الشخصية تفرض نفسها في هذا الظرف على نوع ما ؟ وهي وان لم تكن ذات زعة متفردة في الادب الا انها من اغرب الشخصيات وأغناها ومن اوفرها تنوعاً وانتاجاً ، ولصاحبها موقف خاص بين كتّاب فرنسا من الوجهة السياسية ، وصبغته السياسية كثيراً ما تتسرب الى مختلف كتاباته ولكنها بوجه عام لا تتحد من حريته الفكرية وزغاته الانسانية . فكان السياسة كلما تحاشيتها تعمدت النكاية بي فامتزجت بالشخصية التي أفلحها . كذلك اغرتني المفارقات بين اونا مونو ودوديه الذي هو ، عدا العقيدة السياسية ، اقرب الى ايقانيث . ولئن كان دوديه ايضاً في سن السبعين او يزيد قليلاً فهو مع ذلك في تطور مستمر وعلى مرونة عقلية وعاطفية دونها مرونة الشباب احياناً : « كلما تقدمت في السن زدت ابتعاداً عن الاساليب المألوفة وأمعنت في الاستعداد لتقبل الصيغ الجريئة وتعرف المواهب الصادقة مع العطف على الذين يبحثون فلا يجدون ... »

هو زعيم حزب الملكيين بفرنسا . وهذا الحزب ضئيل العدد الا انه كثير الجلبة وصيحات « مريجة الملك » (Les Camelots du Roi) وهو الاسم الذي يطلق على انصاره من طبقة العمال والفقراء والباعة المتجولين) تدوي عالية ويتناقل البرق انباء صولاتهم ومغامراتهم ومظاهراتهم في كل ظرف سياسي مؤات . وأهمية الحزب في افلام زعمائه وبينهم ، مع دوديه ، نقر من امهر الكتاب . وليون دوديه هو صاحب جريدة « لأكسيون فرانسيز » ، لسان حال الحزب ، ومناصرة

الدين الكاثوليكي لأنه دين ملوك فرنسا . فهي تحمل الحملات العنيفة على سياسة الجمهورية عموماً وبخاصة لأنها تفصل بين الدولة والدين ، وقد اضطهدت المدارس الدينية ورجال الدين في وقتها . فكان المنتظر ان تكون الكنيسة ذات عطف خاص على تلك الجريدة التي تخدم مصلحتها في زاهة واخلاص وتجرد من المنفعة . ولكن لا ، وذلك بعض الوقائع الغريبة في شؤون دوديه ! لان الكنيسة التي تجامل حتى مضطهدي رجالها ، تناهض جريدة « لا كسيون فرانسيز » وترشقها بالحرم الاكبر وتحظر على الكاثوليك مطالعتها والّا كانوا خارجين عن حظيرة المؤمنين !

لا يتسع المجال لذكر الاسباب الداعية الى هذه المقاطعة . والذي يهمنا من الامر هو قول دوديه : « تلك الاضطهادات لم تؤثر في لحظة ولم تزعزع من ايماني . بل بالعكس تبدو لي كنتيجة من العناية الالهية تعدنا للظفر النهائي بعودة الملك الى عرشه ... يجب ان لا نحنق . فقد قال موراس ان الحنق والغضب والازدراء ليست من اللباقة السياسية في شيء »

وشارل موراس رئيس تحرير « لا كسيون فرانسيز » من ابرع الكتّاب ومن القليلين الذين يعجب بهم دوديه ويتعصب لكرامتهم . فمن تحدّاه او اساء اليه فقد أثار سخط دوديه عليه وبه بداهة السخرية والهجو التي لا تحتاج عند دوديه الى تنبيه . من ذلك ما يتصل باعلان رأيه في الاكادمية الفرنسية مع اعترافه اولاً بأنه كأبيه (الكاتب القدير الرشيق المرحوم الفونس دوديه) لا يطمع في عضوية الاكادمية ولن يكون يوماً في عداد متسولي المناصب والوظائف والالوسمة . ولئن قبل عضوية الاكادمية جونكور فلصدقة صميمة بينه وبين مؤسسيها ولأن أحد الاخوين جونكور جعله قيساً على تنفيذ وصيته بعد وفاته

« الاكادمية الفرنسية لا تقبل إلا كل مدكوك من متقني المعص والاحس حيال أولي الامر . لم يكن لها بذاك ، ولا بودلير ، ولا پرودون ، ولا ميشليه ، ولا ألفونس دوديه ، ولا فلوير ، ولا جونكور ، ولا ميسترال كيلا نذكر غير اولئك الثمانية . الا أنها حوت أمثال إيكار ، واميل لوليشيه ، وبوانكاره ، وبارتو ، وهانوتو — وما هم الا مرقعة غزُر مأوها جديرون بغسيل أواني الصفيح ، عصابة الشعراء الملفقين ، ديدان (larves) المحابر وساسة أغبياء من الذين يُريتلون ... وقد أثرت الاكادمية أخيراً خردة من خردوات باخرة « السويس » ، سليستان جوفار الذي لم يكن له ذكر في لغة من اللغات ، على شارل موراس صاحب العبقرية العالمية ... انها لا تقوم بخدمة ولا تمثل شيئاً وبعض ذوي الحيتية الذين جسدوا في مقاعدها لا يعوضون عن فناء الآخرين وانتفاخهم ، هؤلاء حطام الصالونات والجمعيات والسكرستيات والمحاكم ومجالس الادارة ... غبار المحابر والحصر والدهاليز ...

« والاكادمية تغض من الشخصيات ... فاذا رغب فيها رجل فلا تردّه عنها حقارة وصارت عنده

فكرة ملازمة وهو ساء . وقد تملت من أميل زولا عند ما كان فريسة ذاك الداء الغريب
 نلت عن والدي عدم الاكتراث بما يسمونه «مجداً» وأنا في سعة من العيش نلتها بكدي فأتاح
 لي ذلك الاعراب بحرية عن عقائدي وآرائي وعما أشعر به من ميل أو تقور فلا يهمني أأرضيت
 هذا أم أغضبت ذاك . فكرة التوصل لنيل غرض ما بغية الي . احترم الاشخاص او احتقرهم
 وفقاً لمقياسهم (الادبي) لا لهندامهم او وظيفتهم او ثروتهم » (١) ...

وهذا موقفه حيال الأموات ايضاً . فمبوليت تين مثلاً الذي هو عند الكثيرين إمام في
 دراسات النقد ذي الصبغة الفلسفية والعلمية في الادب والفن والاجتماع ، ليس في نظر دوديه سوى
 «مؤرخ حاذق وكاتب في الدرجة الثانية واستاذ ولكنه ليس بفنان ، فهو لم يفهم شيئاً من الأدب
 الانجليزي وكتابه في هذا الموضوع عجز فاضح» . أما الامة الانكليزية وبلادها وآدابها واخلاقها
 وجمال نسائها واصناف المآكل في مطاعمها فتثير كلها تطلعه واهجابه . فيفسر عادات الانجليز
 والبريطانيين عموماً وميلهم الى المكآبة والسآمة (Spleen) وجههم للنكتة تفسيراً علمياً . على نقض
 الالمان الذين يرى فيهم جيراناً لا يركن اليهم . وفي الرسالة التي نشرها ابان الحرب (٢) دعا الى مقاطعة
 الروح الالمانى واللغة الالمانية والفلسفة الالمانية التي انتشرت في الشبيبة الفرنسية بعد حرب السبعين
 والتي لا تتفق في نظره والنفسية الفرنسية

وقد كتب في منفاه ببلجيكا قبل سبعة اعوام : « لا اريد بعد اليوم ان ارى المانيّاً ولا ان
 اتحدث مع الماني ، وان كنت احب الشعر الالمانى والعلم الالمانى واللغة الالمانية وكنت احفظ عن
 ظهر قلب من قصائد جوته وليناو وهايته بقدر ما احفظ من قصائد بودلير وميستراو واوبانيل
 وهوجو » . والداعي الى ذلك النفور هو استنكاره لما اقترفه الالمان ابان الحرب . كأن الحرب
 ليست كلها آثاماً وكأن الالمان وحدهم يأتون فيها بالفظائع ! وقد نسي دوديه ان الشعوب جميعاً في
 ذلك سواء تكشف عن الهمجية المرعبة في الانسان وتفاخر بأعمال الوحشية متغنية بالكلمة المأثورة
 « كل شيء مباح في الحب والحرب » ...

أما ما يهمة هو فصلحة فرنسا أولاً . وبيت بضرورة الحرب وينفي مكان السلام : « قرأت
 في جريدة «الطان» التي لديها ورق تنفقه ، كلاماً عن خيرات العلم الباهرة .. ان العلم لا يبالي بالخير
 ولا بالشر . هو بصير في تجاربه وظنونه ولو الى وقت ما ولوسط فكري ما . ولكنه كيف عن

فنتأججه التي قد تجيء أحسنه وقد تجيء سيئة . تلك المدمرات البشرية القنابل ، والمناطيد الحربية ، والغازات المهلكة تكون جميعاً جزءاً من العلم العالي شأنها شأن الكرسي الكهربائي ... في منطقة الاختراع الميكانيكي كما في منطقة الكيمياء العضوية ، كل سم يمكن تحويله الى دواء . ان الانسان ليخجله التذكير بهذه الحقائق الاولى... عندما المساكين المتحدثون عن نزع السلاح يذهبون الى جنيف او لندن او غيرها لعرض هذا الوهم العتيق كالعلم على الجمهور الطائش ، هم لا يفكرون ان نزع السلاح يفرض نسيان مختلف العلوم المستخدمة لتسليح الشعوب ويفرض اهمال جميع الصناعات الثقيلة التي تدعم الحركة المالية خصوصاً في المانيا . التخلي عن التسليح الفتاك يعني اغفال صناعة الغازات والقنابل والطائرات والسيارات والقطارات وكل ما يعتبر مظهراً للتقدم خلال المائة الاخيرة من الاعوام

«وفي هذا الكفاية للدلالة على سخافة هذا الرجا . وتبقى بعد ذلك الانصل والحرب والسهم المسمومة وغير المسمومة والبنادق القديمة والحصى وأسقاط (brie-à-brac) أرخبيس التي اصطنعتها الشعوب في القتال منذ أكثر من عشرين قرناً . حقاً ان الطفل الذي يشيد قصرأ على الرمل لرد اقتحام الامواج ، ليمائل ادراكاً عصابة جامعي شعل «اليوتوبيات» من اهل الشذوذ الذين خرجوا من الحرب خروج الحلزون من صدفته بعد المطر . . . ويبقى شيء اكيد ، وهو ان الذي يبدأ بنزع السلاح يسارع جاره الى الدخول عنده كما في السمن . فيضطر عندئذ الى التسليح بعد المجازفة بخسارة نصف قومه وثلاثة ارباع اراضيه ... (١)»

لم اذكر الى الآن ان دوديه طبيب وله خطير الابحاث في العلوم الطبية ، لا شك ان الموهبة الادبية اوسعتها دقة وحذقاً . وقد اسهب في الكتابة عن ايام دراسته ووصف اساتذته وزملائه واصحابه بطريقته الموفورة الحياة فأغدق على هؤلاء الثناء ونال من غيرهم بالسخرية والهجو . ومن هؤلاء الطبيب العالم « شاركو » الذي اشتهر بأبحاثه في الأمراض العصبية ، ابحاث لم تسفر في نظر دوديه الا عن « خرائب مذهبة » . وذكر حوادث انتحل فيها المرضى الاعراض العصبية لتضليل شاركو ، فكان ذلك افكوهة الاطباء والمرضات وطلبة الطب . وتقرأ في مذكراته في المنفى :

« لا أصدق ان العمل غاية الانسان ، غاية الانسان هي بذل النفس لذويه ولوطنه في مستوى النشاط الارضي ، أما في مستوى النشاط الروحي فبذل النفس لله . غير أن العمل منفذ ضروري لمختلف الغموم التي تنتابنا في هذه الدنيا . وفريضة كسب الخبز بعرق الجبين خير ممهد لذلك المنفذ ...

عندما نشأ سخطي يفور عمدت الى النشاط العقلي أصرفه في النقد العام وفي الادب الوجداني وفي الطب. لأنني منذ اربعين عاماً أبحث أولاً عن علاقة الامراض بعضها ببعض. ثانياً عن طبيعة الاورام الخبيثة الحديثة التكوّن ووسائل معالجتها... وفي مطالعاتي وتأملاي واجهت داء السرطان على ضوء جديد وبخاصة من حيث علاقته بداء السل... وقد تلقيت عديد الردود على مقالاتي عن السرطان منها الموافق ومنها المعارض ومن كثيرين من الاختصاصيين. وهذا ما كنت أتوقعه، لأن في الطب كما في الفن لا بدّ من التدرب على الممارسة لذلك الاصنام وقلب القيمات، كما كان يقول نيتشه. وبديهي في مغامرات كهذه حدوث فترات نشاط وفترات إهمال... معركة حامية مستمرة حيث الباحثون والمغامرون يلاقون النكبات ويقاسونها على غير استحقاق: نظرية جذابة تنهار فجأة. اختبار ذو شأن يفضي الى نتائج سلبية... إن ذلك الداء المفجع قد روقب وحوصر ولكنه لم يفتقر بعد...»

أو ليس الطبيب الصالح منه هو الذي يكتب: «بقي لي في الحياة مسرة، وهي مساعدة زميل شيخ أو شاب لم ينل المكافأة الواجبة على جهوده ومواهبه، وقد أغفله النقاد الرسميون وشبه الرسميين بفعل العبادة أو بقصد الأذى. رجال الأدب مفكّهون. فكل مقال نوهت فيه بكتاب من هذا النوع وردت عليّ بعده الرسائل تقول: كيف تشني على من يبغضك، أو من هو يهودي، أو من هو جمهوري أو غير ذلك. كثيراً ما فكّنت هذا القسم من بريدي قبل ان يطرح في سلة المهملات...»

وهذا الرجل الرحيب القلب بعينه هو الذي اتهم مالفى وزير الداخلية بفرنسا مدة ثلاثة اعوام خلال الحرب، بتهمة الخيانة في خطاب وجهه إلى مسيو بوانكاره في ٣٠ سبتمبر ١٩١٧. «وقد حكم على المتهم بالخيانة وجاءت اكثر حيثيات الحكم تؤيد ما ورد في خطابي» على قول دوديه

وانتخب في تلك الآونة نائباً عن باريس تحت راية الحزب الملكي فأثار عنفه وقوة حجته في مجلس النواب عديد المشكلات والمناقشات. وها هوذا يتحدث في ذلك:

«مجلس النواب! دار لجميع الدور يجب ان تسكنها لتعرفها. وقد سكنتها أربعة أعوام ونصف عام من ديسمبر ١٩١٩ إلى ١١ مايو ١٩٢٤ فاحتفظت منها بذكرى مفكّنة قلقة: مفكّنة لان المجلس «كلوب» تتحاذى فيه وتتلامس شتى الآراء والعقائد، وقلقة نظراً لعجز الجهود ومستقبل البلاد... أدركت ولمست الفناء (néant) التام والغرور الاساسي في هذا النظام... في المجالس النيابية رجل موهوب لا يستطيع إظهار كل قيمته إلا في ظروف استثنائية ليست ميسورة التحقيق. مناورات الاحزاب والشيع، والاطماع الحقيرة والدسائس من كل صنف ولون تسدّ الطريق على الارادة الصالحة والعاطفة الوطنية والمصلحة العامة. أجل، أذكر قول كافور انه يفضل المجالس النيابية على قاعات الانتظار في بلاط الملوك. وأذكر كزازة بسمارك في آخر عمره من جراء وشايات

البطانة والاعوان في القصور . ولكن نظام الملكية الفرنسية بجميع عيوبه البشرية والأرضية ، أثبت على العصور قدرته في التكوين القومي بفضل جده المتواصل واجتهاده وفطنته وفنائه »

هكذا زعيم الحزب الملكي يتحين الفرص للإشادة بمحاسن الملكية . وعند ما تقبض على قلبه وحشة المنفى يذكر المنفيين من امراء فرنسا : « لاشيء يوازي الاختبار الشخصي » ، قبل ان أفضي اسبوعين في السجن . لم اعرف ما هو السجن رغم عديد زياراتي للمسجونين . وقبل عامين ونصف عام في المنفى لم يكن لدي من المنفى سوى فكرة مشوشة ... مع اني اقتربت من الدوق دورليان الشهيم الذي ابت في المنفى ٤٠ عاماً

« وكلما غادرتُ ذاك الامير العظيم كنت أطلع في عينيه كآبة عميقة رحيمة مريرة كالأوقيانوس ... وحشة المنفى اضطراب في المزاج ولوعة ، فهي صنف من السُكْر الأدبي لا العقلي . لأن العقل يظل على صفاء تام ورؤى الاستقرار والاستنتاج فيه أشد جلاءً . ولكن في أعماق الوجدان شيء مترجرج غير مستقر ، شيء يستاء ويزبثر . وكان المنفى المبجل الدوق دورليان يعبر عن ذلك الشعور بطريقة مؤثرة في تكتم ملوكي خاص به ، وهو انه يحمل دائماً في جيبه كيساً صغيراً ملئاً من تربة الوطن ... أنا طبيب بطبيعتي ، ولكن ليس لوحشة المنفى من دواء ناجع ... »

وعلام السجن والمنفى ؟

ليس بين قراء الصحف في الاعوام الاخيرة من يجهل خجعة ليون دوديه بولده فيليب في أحوال مثيرة للشبهات ، فقيل ان الفتى انتحر في حين الوالد اتهم البوليس الفرنسي باغتياله . ثم حوكم الوالد بتلك التهمة وحكم عليه بالسجن خمسة أعوام ونصف عام ، فعمد أنصاره بعد اسبوعين إلى تديرات شيطانية فاخطفوه من السجن واخفوه خمسة اسابيع ثم هربوه إلى « منفاه » في بروكسل التي كتب فيها كثيراً وأحبها واحب أهلها والامة البلجيكية صموماً - كثيراً . وأبى الاصغاء إلى موضوع التوسط لاستصدار العفو عنه . غير ان جمعيات الكتاب وصحف فرنسا وبلجيكا وسويسرا والاصدقاء والانصار لم يكفوا عن السعي والمطالبة . فتوسط لدى مسيو دومرج نفر من كبار رجال السياسة وفي مقدمتهم مسيو هيريو الذي طلب ان يرَدَّ إلى وطنه ذاك الذي هو « خصم » ، لا عدو . فكتب دوديه :

« صدق هيريو . لا أعداء لي غير أعداء وطني من ابناء البلاد ومن الغرباء ، وغير قتلة ولدي والذين شاؤوا تبرئة ساحتهم . كنت في شبابي راديكالياً مثل دالدييه وهيريو وشببت في الوسط الراديكالي . وفي ١٩٠٤ فقط بتأثير موراس وفوجوا صرت من الخصوم في قضية دريفوس ووقفت

في صفوف الوطنيين وكان ذلك سبيلي الى حزب الملكيين . فقد نطق هيريو بالحق بقوله اني خصم لاعدو . هو أزرق وأنا أبيض ، وهذا كل ما في الامر

«... وفي اول يناير ١٩٣٠ وقد صدر العفو — سريحة الملك الذين اختطفوني واخفوني ثم هربوني ، حضروا الى بروكسل لتسلم طريدهم «ليون» ، وفي طليعتهم زعماء الحزب... فتوجهنا الى باريس في صباح الغد . كان قلبي يغمز في صدري فأقول له : رويدك يا هذا ، فالناس ينظرون الينا والمصورون حاضرون ... وجاء الاصدقاء الى محطة بروكسل يشيعونني بصورة مؤثرة ... وفي محطة أخرى مشيعون غيرهم يحملون طاقات الازهار وينشدون اناشيد النصر . فأزجر دموعي قدر المستطاع . وجاءني موظف يخبرني في تأدب بأن دومرج يخولني حق الدخول في وطني ان لم يكن حق مشاركته في طعامه ... ثم كان الوصول الايبكي الى محطة الشمال بباريس وزوجتي المحبوبة تنكئ على ذراعي فكأنني هبطت منطقة الأنواء في البحار بين عشرات الالوف من الملكيين والمواطنين وكانوا ينبجون نباحاً ، فتخيلت نفسي فلسطينة تتقاذفها رؤوس الامواج ... وبعد دقائق قليلة رأيت في مدفن «بير لاشيز» بعد كل تلك الشهور قبر فيليب مزداناً بالازهار فكان لي أن أصلي قرب ولدي ...»

لغة دوديه تستحيل ترجمتها ولا يتيسر فهمها كلها الا للمتشبع من روح الأدب الفرنسي والشعب الفرنسي . لان تعبيراته بديهية غير منتقاة . ومع جمال انشائه وضلوعته ، فهو لا يتورع عن استعمال الالفاظ الزقاقية وتعبيرات غلمان باريس ، ويكتب كثيراً من الكلمات مقلداً لفظ قائلها ، وفي هذا ما فيه لاثارة الضحك . على ان هذا الانشاء بمجملته من الحياة والحركة والتشويق ونشاط الذهن ووفرة المعلومات بحيث يسيطر عليك من جميع النواحي . ويحفز فيك شتى القوى النفسية من غضب وانفعال واستياء ورغبة في المقاومة — أو من حنين ولذة واعجاب ورغبة في الاستفادة . وهو في كل ما يكتب يرسم من شخصيته خطوطاً واضحة بألوان زاهية مشبعة و — مهاجمة عنيفة ...

كذلك هو في ما لا يحصى من مقالاته في الصحف والمجلات وفي كتبه السبعين أو تزيد : عشرون منها روايات ، والباقي أبحاث في النقد والأدب والاحتماع والتاريخ والفن ووصف رحلات وأسفار ودرس أخلاق الشعوب وعاداتها وتحليل ميولها ، وأبحاث علمية ولغوية وطبية . فهو في الواقع يجمع بين الضلالة العلمية والقدرة الخيالية . وذكرياته من أشهى وألذ ما يقرأ ، رغم أن — وربما بسبب طريقتة في النقد والمهاجمة والذع والهجو . وبعد فما أصفى مجالي الصفاء في بيانه !

ومع تدينه فهو مغرم بأحاديث الغرام ويتلذذ بمرأى العشاق متناثرين في امساء الربيع بين متنزهات بروكسل وميادينها « حيث لا ترى الا العناق ولا تسمع سوى الهمس والزفرات . لا تغضب ايها

الرقب القاسي ! إذا أنت أردت كثرة المواليد وجب التسليم بما يمتد لها ، والطبيعة تحسن صنع ما تصنع . في بروكسل كما في باريس ومرسيليا يتبادل العاشقون القبل علناً في الطريق ، وليس من نجد في ذلك ما يقال ... » .

وكما يفاخر بذكرى والده يفاخر بذكرى والدته (وهي اديبة ايضاً) وينوه بتأثيرها في مواهب والده ومواهبه . ويذكر فضل زوجته في مثل ذلك ومبلغ تأثيرها في حياته وما أنالته من السلوى والهناء . ويمكن إدماجه بين كبار أنصار المرأة وإن ضحك من فكرة « المساواة السياسية » وأبى للمرأة التزجل والتخشن في الاعمال الشاقة خارج البيت وفي غير الدوائر المناسبة وأنوثتها . إلا أنه يطالب بجميع حقوقها الادبية والاجتماعية لأن حياة المرأة في الحب وسحرها في الحب « والحب يرد المرأة الى جوهرها » . . . « الرجل هو العراك والمجازفة وانتزاع الغنيمه وهو احياناً التوازن اللفظ . والمرأة هي اللذاعة والعذوبة وانسياب القطعة وهي احياناً الحكمة والصفاء . . . عندما يصدر الرجل حكمه ، المرأة تتوسط وتتوسل . . . اللانهاية التي نبحت عنها في الله تمنلها المرأة على الارض . . . هي مدى لا حدود لها . . . هي قابلية رحيمة للحياة . . . ونحن الرجال نقيدها ونحدها . . . » (١)

منذا الذي يبت في الحكم على مزاعم المنجمين ؟

في حسابات المنجمين ان المريخيين اي الخاضعين لتأثير المريخ ، يكونون عادة بدنين اقوياء شريين شغوفين بالهيكل النسائي . وهم اهل عنف وشراسة مغرمون بالمهاجمة والتعدي وان كانوا على مقدرة عظيمة للانصاف . هم سريعو الغضب سريعو التأثر ، وان استطاعوا احياناً التغلب على النفس بقوة ، هم قساة وأريحيون في آن واحد . شجعان في الحرب وفي كل مغامرة واقتحام ، متطرفون في الصراحة وفي العناد ، لا يبالون بالمال ولا بالفخار في المعنى المألوف لأنهم يأخذون بالمثل العليا ويستنهضون الآخرين للاخذ بها . يحبون اللذة حبههم للتقدم . لهم ثقة بنفوسهم وتعنت لا راسهم ويتعمدون كل حركة يشتركون فيها او يكونون على الاقل بين الناهيين . موهوبون بسلطان الادراك والقلم والبيان ومنهم كبار رجال العلم والجراحة والطب . لا تندر الفواجع في حياتهم ، وقد تنجم بعض مصائبهم عن سحرهم وتهورهم واستهجانهم للملائنة والمدورة . . . في كل مجهول هم الرواد المغامرون . . .

انظر الى صورة ليون دوديه ، واقرا ولو في هذا البحث فقط نتفأ من كتاباته ، ثم قل لنفسك رأيك هلا توافق شخصية دوديه وشخصية المريخي كما يزعمها المنجمون ؟

مواطن النباتات الزراعية

للامير مصطفى الشرايبي

نشر المقتطف في عدد تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٣٤ بعنوان « الزراعة والحضارة : كيف نشأت زراعة الذرة وأين » مقالاً قال إنه لخصه عن بحث للاستاذ ايسن بجامعة هارفرد . والمقال ثمين طلي يستلذه هواة النباتات ولا سيما هواة ما كان منها عظيم الفائدة كالذرة الاميركية . هذا من حيث الموضوع أما من حيث نسبة البحث الى الاستاذ ايسن بجامعة هارفرد فليعذرني صديقي محرر المقتطف اذا ذكرت له انني لم أجد في مقاله كله فكرة واحدة لم ترد في كتاب « المواطن الاصلية للنباتات الزراعية » تأليف دو كندول A. de Candolle العالم النيباني السويسري المشهور الذي يعد واضع تاريخ النباتات الزراعية بلا مرأ . وقد ألف كتابه المذكور في أواخر القرن التاسع عشر فترجم الى معظم اللغات الحية . وفي خزانة كتيبي نسخة بالفرنسية من طبعته الخامسة طبعت سنة ١٩١٢ . وأظن ان الاستاذ ايسن نقل عنه بحثه أو زبده بجمته (١)

ولما كانت معرفة المهد الأصلي للنباتات الزراعية تفيد الزارع والنباتي والفيلسوف والمؤرخ وكل من يتجرى أصل المدنية وجر الإنسانية ، رأيت ان أخلص بهذه العجالة رأيي دو كندول في الوسائل التي تتبع لمعرفة المواطن الاصلية للنباتات الزراعية ولا سيما المهم من تلك النباتات كالحنطة والشعير وأنواع الذرة والتبغ والبطاطس وامثالها من المزروعات المفيدة

طرائق البحث * اذا أراد العالم معرفة منشأ النبات الزراعي وتاريخه عمد الى طرائق أربع يبلغ اتباعها غايته وهي : اولاً تحري البلاد التي ينبت فيها ذلك النبات الزراعي طبيعياً أي برياً دون ان يكون للانسان يد في زراعته . فوجود نوع زراعي نابت نباتاً طبيعياً في أرض ما دليل قوي على ان تلك الأرض هي مهده الأصلي . مثاله اننا اذا عثرنا على حنطة برية تنبت بالطبيعة في الشام والعراق رجحنا كون هذين القطرين هما مهد الحنطة الاصلية او أنهما في جملة البلاد التي تعد مهدها الاصلية وهكذا . لكن اتباع هذه الطريقة لا يخلو من صعوبة فقد تنقل الطيور أو الرياح مثلاً بزور نبات زراعي الى ارض بعيدة فتنبت فيها برية فيظن النباتي الذي يعثر على تلك النباتات أنها هنالك نابتة نباتاً طبيعياً منذ القديم فيخطئ ويضل سعيه

(١) المقتطف : اذا كان الغرض من البحث ذكر بسائط الموضوع - وهو ما نرجح - فلا ينتظر من الاستاذ ايسن أن يأتي بشيء جديد . والغالب انه ذكر اسم دو كندول عند السلام على طرائق البحث فلم نذكر نحن اليه في التلخيص . اما الجانب الاكبر من بحث الاستاذ ايسن فقد كان منصوباً على الذرة الصفراء وهو ما أوجزنا كثيراً في تلخيصه

وقد تختلط البزور ببضاعة المراكب التي تمخر البحار الى بلاد بعيدة فتمتبت وتتكاثر في تلك البلاد فيذهب النباتي الى ان ذلك النبات قديم فيها وهو ليس بقديم . فيتضح من هذا ان على النباتي ان يكون فطناً حاذقاً قادراً على تفريق النبات الوطني عن النبات المجلوب ، ولا شك انه لا يطلب منه في هذا الباب معرفة البلاد الاصلية للنبات الزراعي قبل ان بدأ الانسان يزرعه في فجر الانسانية، فذلك يذهب به بعيداً الى ما قبل التاريخ في الحقب الجيولوجية الخالية . وهنالك قواعد عامة لتطور الانواع في الاحياء لا يهمنا ذكرها

أما المهم فمعرفة مهد النبات منذ ما أخذ الانسان يزرعه . وفي هذا الصدد قواعد عامة يجب على النباتي والعشّاب معرفتها ، كأن يكون النوع النباتي كثيراً شائعاً في قطر من الاقطار وقليل متفرقاً في قطر آخر بعيد جداً عن الاول ، ففي هذه الحال يرجح ان المهد الاصلي لتلك النوع هو القطر الاول . وكذلك اذا كانت الانواع النباتية التي هي من جنس واحد متأصلة في قطر ما فان وجود أحد تلك الانواع متفرقاً في قطر آخر بعيد يدل على ان هذا النوع قد يكون مجلوباً الى هذا القطر البعيد لا أصلياً فيه . وتفيد الجغرافية النباتية كثيراً في هذا الموضوع ولا بد لمن يتحرى تاريخ النباتات من ان يراجعها . وعلى كل يظهر ان العدس والحمص زالا بتاتاً في الطبيعة أي كفت الطبيعة عن إنباتهما بريين . أما الحنطة والفل والقرطم وغيرها فقد قلّ إنباتها طبيعياً وصارت نباتاتها البرية على وشك الانقراض

والطريقة الثانية لمعرفة المهد الاصلي للنبات الزراعي تحريه او تحري صوره أو متحجراته في المصانع والهياكل والاضرحة القديمة او في الطبقات الجيولوجية ، وذلك كالثمار والحبوب وغيرها من اعضاء النباتات التي وجدت في المقابر المصرية القديمة ، وكصورها في جدران الاهرام وقبورها . ولا بد هنا ايضاً من الاحتراز لئلا تكون هذه الحبوب او الثمار وضعت حديثاً في اضرحة المخططات القديمة كالذرة الاميركية مثلاً فان وجود حبوبها في تلك المقابر لا يدل على انها قديمة . ولا شك ان من وضعوها هنالك (وربما كانوا افراد قبائل بدوية) يعيشون في القرون الأخيرة لا في ايام الفراعنة . وقد وجدوا في المساكن المائية القديمة في انحاء اوربا بقايا نباتات كانت تزرع في تلك العصور السحيقة . واستدلوا بوجودها فيها على منابت تلك النباتات . أما الطبقات الجيولوجية فعندها أقدم بكثير من عهد الزراعة ، ولم يعثروا فيها على متحجرات نبات من النباتات الزراعية التي تزرع في أيامنا هذه لكنهم عثروا على متحجرات نباتات غير زراعية كما هو معروف

والطريقة الثالثة مراجعة كتب التاريخ لمعرفة استعمال الاقوام القديمة لاحد النباتات الزراعية او لمعرفة انتقال ذلك النبات مع الفاتحين والمهاجرين في الموجات البشرية المختلفة . وهنا ايضاً ربما أخطأ المؤرخون في ذكر المهد الاصلي للنبات الزراعي . فالروم واليونان مثلاً كانوا يسمون الدراق (الخوخ في مصر) تفاح ايران لانهم رأوه يزرع في بلاد فارس على حين أن مهده الاصلي

في الصين . ونحن في الشام نسمي الذرة الاميركية ذرة صفراء . والمصريون يسمونها ذرة شامية ، والعراقيون ذرة مصرية واليمنيون ذرة رومية (انظر مقال العلامة أمين باشا المعلوف في عدد يناير ١٩٣٥ من المقتطف) . فيتضح من هذا الاختلاف في التسمية ومن هذه البلبلة أن النبات المذكور جديد ما كان يعرفه أجدادنا العرب الاقدمون ولم يضعوا له اسماً . والحقيقة ان مهده في أميركا كما اتفق عليه علماء النبات . والادلة على ذلك كثيرة حاسمة

ومن المعروف ان اقدم البلاد بحضارتها وباستعمالها للنباتات الزراعية الصين وغربي آسيا ومصر ثم الاقاليم الاستوائية في أميركا . فالصين ازدهرت فيها الزراعة من ألوف من السنين . وتدل بعض الوثائق التاريخية الصينية على ان بعثة المسمى شنغ كيان Chang-Kien نقلت من آسيا الغربية الى الصين في القرن الثاني قبل الميلاد الفول والقصفصة (برسيم حجازي) والخيار والسهم والاسباناخ والبسلة والجوز والقرطم وغيرها من النباتات التي كانت مجهولة في الصين . وعمل هذا السفير الصيني لا يستغرب فقد ذكروا ان أحد ملوك الصين كان يحتفل بزراعة بعض النباتات احتفالاً عظيماً قبل عهد المسيح بألفين وسبعمائة سنة . أما الدراق (الخوخ في مصر) والشمش فهدما الأصلي في الصين ومنها نقلتا الى غربي آسيا

هذا في الصين أما البلاد الواقعة غربي آسيا فقد حدث فيها موجات بشرية كثيرة بين الشعوب الطورانية والآرية والسامية . فتاريخ هذه الاقوام في بابل وآشور ثم أسفار الفينيقيين وحروب الفرس واليونان وغزوات الاسكندر الكبير واستعمار الرومانيين وانتشار الاسلام والحروب الصليبية كل ذلك جعل لمراجعة التاريخ قيمة لا تنكر في تحري انتقال النباتات الزراعية وانتشارها في غربي آسيا وفي اوربا وشمالى افريقية

ولما كشفت اميركا سنة ١٤٩٢ نقلت منها نباتاتها الزراعية الى أنحاء العالم كالبطاطس والذرة الصفراء والتبغ والصَّبَّار وغيرها كما نقل الى اميركا عدد كبير من زروع العالم القديم . ثم لما كشفت جزائر البحر المحيط الهادي في القرن الثامن عشر من الميلاد وسهلت سبيل المواصلات انتشرت النباتات القابلة للزراعة في جميع اقاليم الارض الزراعية

والطريقة الرابعة التي يرجع اليها النباتي تحري اسم النبات ووصفه في اللغات القديمة ، فيستدل بذلك على كون ذلك النبات معروفاً ومستعملاً عند الشعوب التي كانت تتكلم بتلك اللغات . وهذه الطريقة كالتى سبقتها لا تخلو من صعوبة ، لأن اسماء بعض النباتات قد تتبدل لدى الشعب الواحد في اللغة الواحدة ، ولأن وصف النبات ما كان شيئاً علمياً لدى كثير من الشعوب القديمة ولذلك ليس من الهين تعيين نوع النبات الذي كان يُسمى بكذا او كذا من الأسماء . هذا عدا ان اسماء بعض النباتات قد تكون واحدة لدى شعوب مختلفة فيكون من المتعذر معرفة الشعب الذي اقتبس تسمية النبات عن الثاني . ومهما يكن فالعالم النباتي لا يعول في هذا الصدد إلا على الاسماء

الواردة في كتب النبات القديمة ككتب دسقوريدس وتيوفرسطس في اليونانية وكاتون وبلينيوس في اللاتينية وابن البيطار وابن سينا في العربية . فهولاء وبعض الصينيين الأقدمين وصفوا الانواع النباتية وصفاً لا بأس به يتمكن به العالم النباتي من معرفة تلك الانواع والاستدلال على انهم كانوا يزرعونها في تلك الايام . وتأتي في الدرجة الثانية لغات قديمة ليس في كتبها علم ولكن فيها شعراً وأدباً واموراً دينية وردت في تضاعيفها اسماء بعض النباتات وصفاتها كالسنسكريتية والعبرانية والآرامية . وفي مصاف الدرجة الثالثة لغات لا آداب فيها ولا علوم كالطورانية والآرية القديمة والصقلبية القديمة واضربها . فهذه اللغات لا يعتد بألفاظها إلا باحتراز وعلى وجه التقريب . ويجب الاحتراز من اسماء النبات العامة فهي كثيراً ما تكون مغلوبة كتسمية الذرة الاميركية باسماء مختلفة في انحاء البلاد العربية وهو ما سبقت الإشارة إليه . وكتسمية النبات نفسه في الفرنسية *Blé de Turquie* اي حنطة تركيا على حين ان الذرة المذكورة ليست حنطة وان مهدها في اميركا لا في تركيا . ومن هذا القبيل شيء كثير في جميع اللغات الاوربية

﴿ الخلاصة ﴾ ليست طرائق البحث الاربع التي مر ذكرها على درجة واحدة . فأهمها واعظمها شأنًا الدلائل الاثرية اي العثور على النبات او على صورته او نقوشه في المصانع والهيكل الاثرية والقبور القديمة . فهذا دليل لا غبار عليه يدل على ان النبات المذكور كان يزرع في ايام الذين حفظوه او صوروه او نقشوه . ويليه الدليل النباتي اي العثور على افراد برية من النبات الزراعي . فهو دليل له شأنه . اما ورود ذكر للنبات في الكتب القديمة فدليل يأتي في الدرجة الثالثة . واما الاسماء العامة للنبات فدليل ضعيف الشأن لا يعول عليه الا نادراً . ولا شك أن كل دليل من هذه الادلة ناقص وحده . اما اذا اجتمعت الادلة وتضافرت اقترب بها العالم النباتي من حقيقة مهد النبات الاصلي او بلغ تلك الحقيقة . وتاريخ النباتات الزراعية هو بعد كتاريخ الشعوب فتؤرخ الشعوب النقية لا يدون فكرته ما لم يراجع ما كتبه الاقدمون في تواريخهم وما هو محفوظ في السجلات القديمة او مرقوم في الاحجار الاثرية او مدون في الجرائد والمجلات والمذكرات والكتب الخاصة . وبعد ان يزن كل ما يجده في هذه المراجع يحكم بما يراه صحيحاً . هكذا يفعل العالم النباتي الذي يتحرى مهد النباتات الزراعية فانه يرجع الى كل الطرائق التي تكلمنا عليها . وبهذه الطرائق تمكن دو كندول من كشف الغطاء عن مهد النباتات على وجه الضبط في بعضها وعلى وجه الترجيح في بعض آخر . وقد سهّل عمله توافر الادلة الاثرية والنباتية واللغوية مما خلفه العلماء منذ او اخر القرن الثامن عشر الى اليوم الذي الف فيه كتابه الخالد

﴿ موطن بعض النباتات الزراعية ﴾ اذا اردنا سرد الادلة التي تثبت موطن كل نبات من هذه

النباتات والتي ترينا تاريخ زراعتها لدى الشعوب القديمة والحديثة وجب تأليف كتاب برأسه . لذلك تقتصر على ذكر بعض النتائج التي حصل عليها دو كندول ودوتنها في كتابه المذكور . واهم النباتات الزراعية الحنطة فهي تزرع منذ فجر الانسانية وقد وجدت حباتها في اهرام مصر وفي بحيرات سويسرا . وورد ذكرها في كتب الصينيين والعبرانيين ولها اسم في كل اللغات القديمة والحديثة وموطنها الاصلي في العراق وفي الشام الجنوبية لانه عثر على نباتها البري قديماً في العراق وحديثاً في الشام والشعير قديم ايضاً . وقد وجد الشعير ذو الحرفين برّياً في آسيا الغربية ومنها جزيرة العرب وسيناء . اما الذرة اي الذرة البيضاء في الشام والبلدية في مصر فالارجح كون بلادها الاصلية مصر العليا وجزيرة العرب واما الذرة الصفراء في الشام والذرة الشامية في مصر فهي اميركية الاصل كما قلت وهي لم ترد في مفردات ابن البيطار وما كان اجدادنا يعرفونها . والرزاو الارز من اقدم النباتات الزراعية . فقد كان مبذولاً في الصين منذ نحو ٢٨٠٠ سنة قبل الميلاد . ومهدد الاصل في الهند على الأرجح . والعرب هم الذين نقلوه الى الاندلس . ومهد القطن العشي في الهند . وربما كان موطن القطن الشجري في مصر العليا . والى العرب يرجع فضل اذاعة القطن وزراعتها في الغرب . والاطريف السكندري اي البرسيم مهدد الاصل في الشام والاناضول . والشام ايضاً موطن الفستق والخروب والتين والزيتون . ومهد الكرم آسيا الغربية وشواطئ بحر الروم وكذا الساق . والشاي من الصين ومنشوريا ، والقهوة من افريقية الاستوائية ، والتوت الابيض من الهند وبلاد المغول اما التوت الاسود اي الشامي فمن ارمينيا ويران . والنخل الذي عُرف بنا وعرفنا به تمتد بلاده الاصلية من جزيرة العرب والعراق الى المغرب الأقصى وجزائر كناريا . ولاشك انه كان موجوداً في شمالي افريقية قبل عهد العرب والاسلام ببضعة الوف من السنين . ولم يعرف اين كان مهدد الاصل على الضبط قبل عهد الفراعنة اي هل كانت كل هذه البلاد موطناً له ام كان ينبت نباتاً طبيعياً ويزرع في قسم منها لا فيها كلها . ولعل العثور على متحجراته يكشف الغطاء عن ذلك في يوم من الايام

والهند موطن الكبش (أترج في مصر) والنارنج والآنسج (منجا) والقرفة والفلفل والخيار كما كان الصين موطن البرتقال والمندرين والدراق (خوخ في مصر) والمشمش . اما النباتات الزراعية التي منابتها الاصلية في اميركا فكثيرة منها الكينا والذرة الاميركية والاناس والفليفلة والبندوري (طماطم في مصر) والبطاطس والصبّار والجوافة والقشطة والتبغ الخ . وقد كنت بينت بأدلة ساطعة ان التبغ غير الطَّبَّاق (انظر عدد ابريل ١٩٣٠ ص ٤٥٥ من المقتطف) . وأقول ان الصَّبَّار اي التين الشوكي ما كان معروفاً قبل كشف اميركا . فلفظة الصَّبَّار (بالضم) إذن التي وردت في المعاجم العربية وفي مفردات ابن البيطار لا تدل على هذا النبات بل تدل على التمر الهندي فينبغي لعلنا ان يلتفتوا الى ذلك

الشعبية والشعوبية

العالم يهجر الاولى ومصيره الى الثانية

Internationalism Versus Nationalism

بقلم نقولا الحراد

من النكات المتكيات اننا نضطر أحياناً الى تفسير لفظ عربي بلفظ أعجمي مصطلح عليه لمعنى حديث ، لظننا ان الجانب الاوفر من القراء يعرفون إحدى اللغات الاوربية المشتركة بذلك الاصطلاح لفظاً ومعنى
فضلت لفظ شعب مرادفاً للفظ Nation لانه يعبر عن أهل وطن واحد يكثر فيهم اختلاف السلالات وامتزاجها ولا سيما في عصرنا حيث لا نجد أمة بقيت محافظة على عصبيتها أو سلم دمه من الامتزاج بدماء سلالات أخرى . فالأمة في عرفنا الحاضر تحد بحدود جغرافية أكثر مما تحد بحدود سلالية تاريخية (اثنولوجية) . ولذلك نستعمل لفظ « شعبي » مرادفاً للفظ National ولفظ شعوبتي مرادفاً للفظ International الى ان يقرر الجمع العلمي لفظين آخرين اذا لم يقر هذين اللفظين . وبهذا الاصطلاح نتخلص من اللبس في لفظة « أمة » نسبة الى أمة ، لان الشائع ان الامية تعني جهل القراءة والكتابة

متم الموضوع

العالم صار حتماً الى الشعبية Internationalism أي تألف الشعوب وتضامنها وتعاملها على قاعدة الخضوع لقوانين عمومية عادلة منصفة . ليس العالم صاراً الى هذا النظام الاجتماعي من تلقاء نفسه بل بحكم العوامل العمرانية والاجتماعية ، ولا باختياريه ولا بإرشاد « العقل الاجتماعي » الواعي بل بغريزة اجتماعية غير واعية . هذه العوامل محتمة على المجتمع ان يسير في هذا الطريق بالرغم من العقول الفردية الواعية — عقول الساسة والاداريين والاقتصاديين وجميع أهل السلطات — المقاومة لهذا المصير بكل ما أوتيت من قوة وحيلة . هذه العقول تقاوم مؤتمرة بأمر التقاليد المتحجرة التي تصر على بقاء القديم على قدمه . ولكن بالرغم من جهادها في سبيل الحرص على التقاليد يندفع نيار الغريزة الاجتماعية (غريزة التطور والتجديد الراضخة لاحكام العوامل العمرانية المتجددة) مجتاحاً أنظمة الشعبية وقاذفاً بها الى بحر النظام الشعبي

نظام الشعبية جعل كل شعب مستقلاً بنفسه مطلق الحرية . وهذان الاستقلال والحرية يفضيان الى احتكاك الشعوب فتصادمها فتنازع الحدود الجغرافية والاقتصادية . وأما نظام الشعوبية فيحاول

ان يدرك هذه الحدود والاستقلالات ويوحّد الامم في شبه أمة واحدة أو في تحالف واحد عام فيما بينها في هذا المتن الاجمالي نقط قليلة الوضوح . فلا مناص لا يوضحها من الشرح والتّمثيل بالأُمثلة التي يعلمها الجمهور . ولا بدّ ان يكون قد لاح لقارئ السطور الآتية ان يسأل الاسئلة الرئيسية التالية

- ١ - ماهي العوامل العمرانية القاضية حتّى بمصير العالم الى الشعبوية !
 - ٢ - ماهي الأدلة على ان العالم مهاجرٌ الشعبوية المتنازعة الى الشعبوية المتحالفة !
 - ٣ - لماذا تتحكم التقاليد بالمعقول الفردية الواعية وتضطرّها الى مقاومة العوامل العمرانية والاجتماعية المسيرة العالم في طريق الشعبوية ؟
 - ٤ - كيف تتغلب الغريزة الاجتماعية على العقل الفردي الواعي . وبعبارة أوضح : كيف تنهزم تدابير الساسة واضرابهم أمام تيار النظام الشعبي خائبة المسعى ؟
 - ٥ - واخيراً كيف يستقيم نظام الشعبوية وبأي شكل يتم ؟
- في الشرح التالي الاجوبة عن هذه الاسئلة

كيف استبكت الملائم الشعبية

لا بدّ من نظرة عامة الى النُظُم العمرانية المتقدمة العهود لكي نعلم كيف نشأت العوامل الاجتماعية المتنوعة التي تسيّر العالم في طريقه بالرغم من ارادة العقل الاجتماعي وحرية في العصور السابقة أيام كانت المعرفة سقيمة كانت اسباب تحصيل الرزق بسيطة جدّاً ، وبالتالي كانت الحياة ساذجة والمعيشة قشقة وانواع الترف قليلة جدّاً . وكذلك كانت الاقوام أو الأُمم محصورة في حدود جغرافية طبيعية . فقد يكون الفاصل بين أمة واخرى سلسلة جبال صعبة المرتقى أو صحراء شاسعة أو بحر خضم . ولذلك كان الاتصال بين الامم ضعيفاً جدّاً . كانت كل أمة تقتصر في أساليب معيشتها على ما تجود به أرضها من الرزق وما تستطيعه عقولها الساذجة وعضلاتها من اصطناع الادوات والسلع . كانت مستقلة في اقتصادياتها فلم يكن ينقصها نتاج أو متاع موجود عند غيرها لكي تقايض به نتاجاً عندها وهو ليس عند غيرها . ولهذا كان التعامل بين الامم حتى المتجاورة بطيئاً ويسيراً . فنذر جدّاً ان تحتاج الى عهود وقوانين (كالقوانين الدولية) بينها محفظ السلم . بل بالعكس كان يغلب الغزو بينها بسبب الحاجة قليلاً وبسبب الطمع كثيراً

والعقل البشري الذي برز من صميم الحياة هو انشط ظاهرات الحياة حركة . فما فتى منذ ظهوره يتفاعل مع حركة الطبيعة المادية ويستنبط منها نواميسها ليستغلها فنذ استتم العقل وعيه جعل يخترع وكان الاختراع الواحد يمهد السبيل الى اختراعات اخرى ، الى ان بلغت اختراعاته العجب العجائب الذي نراه الآن

مع تقدم العقل في طريق الاختراع كان بفضل اختراعاته انه : — ١ — توافرت أسباب

المعيشة ووسائل تحصيل الرزق وأنواع الترف والبذخ الى ان بلغت شأنها الحالي : ٢ - جعلت الصناعات تنوع . وبتنوعها صارت تتوزع مختصة بأفراد وفئات ، الامر الذي وسع دائرة المقايضة فالتجارة : ٣ - تقدمت وسائل الاتصال بين الأمم تقدماً عجيباً جعل الكرة الارضية كأنها « متمركرة » في أي نقطة في سطحها : ٤ - هذا الاتصال العجيب هدم كل ما كان يعتبر حداً فاصلاً بين الأمم . أصبحت الأمم جميعها كأنها تعيش في اقليم واحد صغير : ٥ - هذا الاتصال وسّع دائرة التعامل بين الامم على تباعدها الجغرافي بالسرعة العجيبة : ٦ - هذا التعامل الشامل السريع زاد أسباب تحصيل الرزق واساليب المعيشة وأنواع الترف والبذخ أضعاف الأضعاف : ٧ - هذا التنوع في أساليب المعيشة والترف وفي وسائل تحصيل الرزق ، جعل كل قطر من أقطار المعمورة مختصاً بانتاج انواع من النتاجين الزراعي والصناعي دون أنواع اخرى : ٨ - هذا الاختصاص جعل كل شعب محتاجاً حتماً الى مقايضة غيره من الشعوب الاخرى فلم يعد في طوق أمة اخرى ان تستقل اقتصادياً استقلالاً مطلقاً مهما بذلت من الجهد في ان تنتج كل ما تحتاج اليه بنفسها لنفسها : ٩ - و أخيراً ان اضطرار كل شعب الى استيراد شيء من نتاج غيره واصدار منتجاته الى غيره زاد حدة التنازع بين الشعوب الى حد شوب الحروب فتحاً واستعماراً والقارىء يعلم جيداً تفصيلات هذا البند التاسع

أليست هذه البنود التسعة عوامل عمرانية واجتماعية كانت قاضية حتماً ببلوغ المجتمع البشري الى اشتباك العلائق بين اممه كما نرى الآن ؟ وهل كان للعقل البشري حرية في اختيار مصير آخر غير هذا المصير ؟ اليس ان هذا التطور مقتضى غريزة اجتماعية هي من صميم طبيعة الحياة والعقل ؟ واذا كان لا بد للمجتمع البشري ان يسلك هذا الطريق الى هذا المصير فهل يبقى شك بانه مطلقاً نظام شعبية رويداً الى نظام الشعبية ؟

الدولة على مفهوم نظام الشعبية

الحقيقة ان النظام الاجتماعي الآن هو نظام شعوبي بحيث لا ينقصه الا ان يؤيد السلم فيه النظام الادبي Ethics . النظام شعوبي رغم انوف الشعوب . وانما الشعوب - او بالاحرى قادة الشعوب - ينتفضون ضمن هذا النظام انتفاضاً جنونياً كما تمتفض الاسماك المتراخمة المحصورة في شبكة ضيقة عليها . ولكن بالرغم من هذا الانتفاض هي مضطرة ان تستسلم لهذا النظام الشعوبي تفادياً لآلام الاصطدام العنيف . واليك الأدلة على استسلامها وفيها الاجابة عن السؤال الثاني بكل اختصار يمكنك ان تقول ان العالم طفق يدخل في نظام الشعبية منذ نشأت القوانين والمعاهدات الدولية . وكان انه كلما اشتبكت صلات الامم الاقتصادية اشتد احتكاكها بعضها ببعض وحمى وطيس تصادمها فاضطرت الى تلافي آلام الاصطدام بعقد المعاهدات والمحالفات . وكان احترام المعاهدات يتوقف على

توازن قوى المتعاهدات، حتى اذا اختلَّ هذا التوازن ورجحت قوة على اخرى ضعف ذلك الاحترام الى حد التلاشي لان قوة المجتمع الادبية — وبعبارة اصح — الضمير الاجتماعي ضعيف وعندنا ادلة تحملنا على الظن ان هذا الضمير الاجتماعي صار الآن اقوى منه قبلاً ولو قليلاً. لاننا نرى بعض الدول تحترم اليوم عهودها بعضها تجاه بعض حتى تجاه التي هي اضعف منها تحترمها الى ان يطرأ طارئ يجعل العهود خطراً على حيويتها فعندئذٍ تعدها قصاصة ورق. ولكن ليس احترام العهود هذا كل الدليل على استقواء الضمير الاجتماعي لان هذا الاحترام لا يكون دائماً ناتجاً عن فضيلة تقيه بل يكون احياناً كثيرة لاستدراك عواقب سيئة. وانما هناك ادلة اخرى عديدة على ان الضمير الصالح اخذ يفتتح حتى في وسط شياطين المطامع. ولا مجال في هذا المقال لشرح هذه الادلة. فيكفي هنا ان نوجه نظر القارئ الى المؤتمرات الدولية المتعددة — لا اعني المؤتمرات السياسية، لان هذه لا تزال تعقد في دار الشيطان — وانما اعني المؤتمرات الاجتماعية المتنوعة التي يقصدها الاصلاح والتفاهم والتعميم الخ. فمنها (المؤتمرات العلمية المختلفة المواضيع واهمها المؤتمرات الطبية والصحية. والمؤتمرات الاقتصادية العديدة الانواع من انتاجية زراعية وصناعية الخ. والمؤتمرات الاصلاحية — كمؤتمرات المخدرات والمسكرات الخ. والمؤتمرات الفنية العديدة الصنوف الى غير ذلك مما لا يستطيع احصاؤه — جميع هذه المؤتمرات تدل على ان الشعوب شعرت بضرورة التفاهم والاشتراك معاً في مهمات الاصلاحات وفي اجتناء ثمراتها. فهي اذاً قوى ادبية تعمل لتطابق نظام الشعبية والدخول في نظام الشعوبية

ليست هذه المؤتمرات التي سردنا رؤوسها كل الادلة على انتعاش الضمير الاجتماعي الذي يكبح جماح النزاع الاممي ويرشد الى محامد تحالف الشعوب ووثامها وسلامها. فهناك ايضاً جمعيات واتحادات شعبية (دولية) عديدة متنوعة تنتشر في الممالك المتعدنة انتشاراً دولياً ينتظم فيها فروع من ممالك مختلفة ولا محل لسردها. فهي ترمي الى نفس الغاية التي ترمي اليها المؤتمرات المار ذكرها اضع الى ما تقدم انتشار الثقافة الحديثة على سطح الكرة الارضية — ثقافة راقية تطبع عقول الامم المختلفة بطابع واحد تقريباً وتسبكها في قوالب متماثلة. فهي اهم عامل من عوامل تفاهم الامم وتخليقها باخلاق متشابهة تسهل تآلفها وتحالفها وتعاونها. وفيما تقدم كفاية للتدليل على ان العالم داخل الآن في دائرة النظام الشعبي. فلا موجب للتفصيل الذي لا يؤذن به المجال

تأثير التقاليد المتصلبة

نأتي الآن الى بيان العوامل التي كانت دائماً تقاوم تيار النظام الشعبي المسوق بحكم الطبيعة الاجتماعية ولا تزال

لم يبق اقل شك عند سواد الناس ان الوسيلة الوحيدة لتلافي الحروب وتأيد السلم العام هي

تأليف حكومة دولية تطرح الدول سلاحها لديها وتخضع لأحكامها وأوامرها. فقد أصبح إمكان تحقيق هذه النظرية بالفعل عقيدة عامة عند كل طبقة من طبقات الامم وكل فئة من فئاتها. فما هو الحائل دون تحقيقها؟

بتحليل المسألة نصل الى ثالث الاسئلة التي تصدّر بها هذا البحث — نصل الى شيطان التقاليد المتصلبة التي تعند لقاء كل تطور اجتماعي. فالتقليد العنيد الذي يحاول صد تيار الشعبوية مصدره الغريزة الحيوانية التي لم تزل قوية في الحياة الانسانية — غريزة الاثرة — الاثرة النفسية التي تبتغي التمتع بشمرة عمل الغير. نشأ من هذه الغريزة فرعان: نزعة الى الاستئثار بالمال الذي هو مبلور عرق العامل، ونزعة الى السؤدد والجاه. وكلتا النزعتين متعاونتان متضامنتان. ولا محل لتفصيل نشوئهما. بتحرير هاتين النزعتين كثر رؤوس القبائل والامم والشعوب يغزون بعضهم بعضاً. ولما كان المقاتلون يتوانون عن القتال حين يرون ان نصيبهم من الغنائم ضئيل وان النصيب الاوفر ذاهب الى الرؤوس صار هؤلاء يستفزون فيهم النعرة الدينية ويحرضونهم باسم الدين على الجهاد. والقارىء يعلم جيداً كم من الحروب اثيرت باسم الدين، ولم تكن الالهة راضية، لان الجهاد كان لاشباع شهوات الرؤوس لا لان الالهة جائعة للغنائم. وكان الله غاضباً لانه لا ينحاز الى جانب واحد من بنيهِ دون الآخر

اله الوطن

بقيت الحروب تثار باسم الدين والدين براءً منها، حتى العصر المنصرم حين بدأت العامة تفهم مخادعة الرؤوس هذه. فاستنبط الساسة من فئة الرؤوس اخيراً الهاً جديداً للبشر وهو «الوطن» وجعلوا يعبدونه ويعظمونه في نظر العامة حتى صار هؤلاء يرونه اعظم من الله (اللهم غفرانك) بل أصبح الله ثانوياً عنده اذ انطلقت ألسنتهم بالقول «الدين لله والوطن للجميع». وأصبح التعصب للوطن اضعاف ما كان للدين. وارتفعت رايات الوطن وتنكست رايات الاديان وصار الجهاد لأجل الوطن مبررة والتفاني في الجهاد له مفخرة وشرفاً وجزاؤه اكاليل توضع على قبر «الجندي المجهول». وفعل «اله الوطن» من فظائع الحروب ووبلائها اضعاف ما فعله «اسم الدين». والحقيقة الناصعة ان ابليس الرجيم لم ينجح في ما اخترعه لإفساد البشرية عشر نجاحه في اختراع «تأليه الوطن» و«عقيدة الوطنية». بهذا الاختراع الهائل صدّ ابليس تيار «الشعبوية» المتدفق اكثر مما يصد خزان اصوان تيار النيل

ألا تقول ان «اله الوطن» هذا سحر عامة الامم واسكرهم بخمرة حبه ولا يزالون حتى اليوم سكارى لأن شيطانه اخترع الرأسمالية الهاً للمفتونين بإدخار الذهب او ما يمثله، واخترع البروقراطية الهاً للمشغوفين بحب السيادة والجاه. وجعل ارباب الاموال يسكبون الخمرة في كؤوس في ايدي ارباب السؤدد وهؤلاء يديرونها على العوام كلما اوشك هؤلاء ان يستفيقوا من سكرتهم. والى هذه الساعة لا يزال سواد العامة سكارى بخمرة اله الوطن

منذ ظهر الـ الوطن جعل يسمّهم نفوس الناشئة الحديثة بحب الجندية وبالغرام بالثوب العسكري والحسام والبندقية، وبالحماسة للنضال وبالنخوة للقتال. حتى اذا اوشكت حمى الحماسة ان تهبط استنبط «الـ الوطن» طقساً جديداً لعبادته. فلما قاربت حرارة «الـ بترتوتزم» الفرنسية التي هبت على اوربا في القرن الماضي - لما قاربت تهبط استنبط الـ الوطن الفاشستية والنازية ونحوهما لتحل محل البترتوتزم. وكادت الفاشستية تحتاح كل اوربا. وما هي الا صنم من اصنام الوطن

ولكيلا تفتقر النخوة الجهادية او لكي تثار في صدور الاحداث الذين كان يجب ان يتربوا على المحبة والاخاء الانسانيين اخترع الـ الوطن نظام الكشفة شاملاً للجنسين. وهو شر نظام تسمم به نفوس الاحداث لاثارته روح العداء بين الجنسيات الوطنية بالرغم من الدعوى الكاذبة في انه يراد به تربية الشرف النفسي والنشاط القلبي الى غير ذلك من اساليب التربية العسكرية المصطنعة، ووراء هذه الدعوى المزيفة تحريض نغمة التعصب للوطن وحض النخوة للقتال لأجله. ووراء هذا التعصب الوطني ابليس يثير العداء بين وطن ووطن ليجعل نار القتال دأمة الاستعار بين الاوطان. وهو يستخدم لهذه الغاية الهي المال والسودد

لا ريب ان عقيدة «الوطنية» جاءت اعظم نكبة على الجنس البشري في تاريخه لانها ليست الا تحريضاً على الحروب وعداءً للسلم العام. لماذا؟ ولأجل من؟ - لاشباع شهوات ذوي الأثرة وذوي السودد. ردت نظام الشعبوية - تألف الامم وتضامنها الى الوراء شوطاً كبيراً. وكان من اهم نكباتها: أولاً الامعان في التسليح بالرغم من مؤتمرات الدول العقيمة لتخفيض السلاح، لتخوف الامم بعضها من بعض وإيجاسها من مكاييد بعضها للبعض. وثانياً تعليته الحواجز الجركية في كل مملكة انتقاماً وسوء مظنة. وثالثاً تسييج الممالك بسياج قوانين ضد المهاجرة. ورابعاً اهباط قيمة العملة تنافساً في الاحتيايل على اغتيال حقوق الغير. وخامساً اضعاف عصبية الامم سياسياً وأديبياً - هذه العصبية التي تعد الجرثومة الاولى لنظام الشعبوية

واخيراً ماذا كانت نتائج هذه المكاييد؟ - عرقلة النظام الاقتصادي الى حد الجمود. وكان من اهم مظاهر هذه العرقلة ويل، واي ويل، لجاني الرأسمالية والعمل على السواء. فدولاب العمل سكن وملايين العمال بتضورون جوعاً وصروح الاعمال انهارت. وانهارت معها صروح الثروات التي كانت مرتكزة على عواقب العمال حتى صار كبار الممولين يفتحرون هرباً من هذا الويل. هذه كانت آخره نتائج عقيدة الوطنية التي دسها ابليس في الحياة الانسانية

اتأسف ان المجال لا يتسع للجواب على السؤالين الاخيرين. ولا بد ان القارئ يستطيع استنتاج جوابيهما مما تقدم. وربما عدت اليهما في مقال آخر. ولا يخفى ان هذا الموضوع الخطير متشعب الاطراف جدير بكتاب او كتيب لا بمقالة او بمقالتين. فعسى ان يبدو من اهتمام القراء به ما يشجع اي الأكفاء على الخوض فيه

الى موبقية عجا

إلى عزافة حان ألفتيا

إذا ما طاف بالأرض شعاع الكوكب الفضّي
إذا ما أنتِ الرّيحُ وجاش البرقُ بالومض
إذا ما فتّح الفجر عيون النرجس الغضّ
بكيتُ لزهرة تبكي بدمع غير مرفض

زواها الدهر لم تسعد من الاشرار باللمح
على جفنين ظمآنين للأنداء والصباح
أهد الشور ما لليل قد لفك في جنح
أضى في خاطر الدنيا وصب النور في جرحي

أري الاقدار يا حسناء مشوى جرحك الدامي
أريها موضع السهم الذي سدده الرامي
أنيلي مشرق الأضواء هذا الكوكب الظامي
دعيه يرشف الأنوار من ينبوعها السامي

وخلي أدمع الفجر تقبل مغرب الشمس
ولا تبكي على يومك أو تأسي على الأمس
إليك الكون فاشتقي جمال الكون باللمس
خذي الازهار في كفيك فلاشواك في نفسي!

إذا ما أقبل الليل وشاع الصمت في الوادي
خذي القينار واستوحي شجون سحابه الغادي
وهزي النجم اشفاقاً لنجم غير وقاد
لعلّ اللحن يستدني شعاع الرحمة الهادي

إذا ما سقسق العصفور في اعشاشه الغنّ
وشقّ الروض بالألحان من غصن الى غصن
أنتك خواطري العزّاءة الرفافة اللحن
تغنّيك بأشعاري وترعى عالم الحسن
* * *

إذا ما ذابت الانسداد فوق الورق النضر
وصبّ العطر في الأكمام إريق من التبر
دعوت شوادي الاطيف من فردوسها السحري
تذيب اللحن في جفنيك والاشجان في صدري
* * *

عرفت الحب يا حوا أم ما زال مجهولا !
ألمّا تحملي قلباً على الأشواق مجهولا !
صفيه ، صفيه ، فرحاناً ومحزوناً ومخبولاً !
وكيف تعارف الروحان عند النظرة الأولى ؟
* * *

ومن آدمك المحبوب أو ما صورة الصب ؟
لقد أنهمت والألهم يا حواء بالقلب
هو القلب ، هو الحب ، وما الدنيا لدى الحب
سوى الجلاوة الأسرار والمهتوك الحجب
* * *

سلي القيثار بين يديك أيّ ملاحن غنّ
وأيّ صباية سالت على أوتار الحنا
حوى الآمال والآلام والفرحة والحزن
حوى الآباد والأكسوان في لفظ وفي معنى !
* * *

تعالى الحسن يا حسناء عن إطراق محسور
أيشكو الليل في كون من الأنوار مغمور !
وما جلاه من سواه غير الإلهة النور ؟
وما سمّاه إذ ناداه غير الأعين الحور !!

الطرائق المتبعة

في الإِشباب وإطالة الحياة

عمل الخصية في الانسان وأثرها في جسمه وعقله

للكنور شوكت موفى السطى

عمل الانسان على إطالة الحياة منذ تكامل ادراكه ورأى الموت امامه يفر فاه في كل يوم فيبتلع العدد العديد من ابناء هذه البشرية فكان يعتمد الى امور شتى لا يلبث المستقبل ان يبين فسادها واذا تصفحنا تاريخ هذه القضية التي نحن بصددھا واعني بها محاربة الشيخوخة رأينا ان عدداً من النوابغ استلّوا سيف الجهاد وتركوا أثراً لم تلبث ريح التحقيق ان عصفت عليه فعفته ولا يزال الناس يتساءلون هل ثمة من الوسائل ما يجعل أمد الحياة طويلاً وهل وجد العلماء لتجديد الشباب والتفتية^(١) سبيلاً؟

يصعب في حالة العلم الحاضرة ان يجاب عن هذين السؤالين لان كنه الحياة لم يحل بعد وامر الروح ما زال سرّاً غامضاً وسوف يبقى في اعتقادنا لغزاً ما دامت الحياة على وجه الكرة كما جاء في القرآن الكريم: «ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي»

على ان حل قضية الاشباب المعقدة وسبر غورها مرتبطان بجواهر الحياة والروح لذلك كان البحث في هذا الامر والتنقيب فيه والاجابة عن هذين السؤالين امراً معقداً. ولما لم يستطع الباحثون ايضاح ذلك وجّهوا ابحاثهم شطر الاسباب التي تحدد عمر الانسان وتؤجل ظهور امارات الهرم وقد اشرنا في المقالين السابقين عن الاشباب الى العوامل العاملة في تنظيم عمر الانسان وابناً ان منها ما كانت باطنية ومنها ما هي خارجية. اما العوامل الباطنية فلا سلطة لنا عليها اليوم وقد يكشف في الغد ما ليس في الحسبان على ان العلماء بعد ان عرفوا ما للغرويات من الشأن في حفظ قوة الانسان سعوا الى ايجاد وسائل تحدد الغرويات في الخلايا الشيخخة وقد توصلوا الى ان يهبوا الخلايا وسيلة تساعد على التكاثر وما ينشأ عنه من اكتساب النسيج والاعضاء الشيخخة قوة ونشاطاً يفتيانها وقد توصل العلماء الى تحقيق شطر من هذه الفكرة بطرائق خاصة يستند معظمها الى تضييع

(١) التفتية بمعنى الاشباب ولم ترد هذه الكلمة ايضاً في كتب اللغة غير ان قول ادهم بن محرز الباهلي دليل على صحة هذا المعنى والقصة ان عبد الملك عابه على بياض رأسه وكان كالثغامة وقال له لو غيرت هذا الشيب فذهب فاختضب بسواد ثم دخل عليه فقال له يا امير المؤمنين قد قلت بيتاً لم اقل بيتاً قبله والا اراني اقول بعده قال هات فأنشأ يقول
ولما رأيت الشيب شينا لاهله تفتيت وابتعت الشباب بدرهم

لجسم برسل (هورمونات) تفرزها الغدد التناسلية ومن هذه الطرائق طريقة براون سيكار وعمليات فورونوف وشتيناخ ودوبلر الجراحية

طريقة براون سيكار — أجرى العالم المذكور سنة ١٨٨٩ اختباراً على نفسه كان له دوي هائل في الاندية الطبية والصحف العلمية والجرائد اليومية فأسال المداد وسود كثيراً من الصفحات واصبح في حين من الزمن شغل العلماء الاحيائيين الشاغل . وخلاصة هذا الاختبار ان براون حقن نفسه لما كان له ٧٢ سنة من العمر بعصير الخصى فشعر اثر ذلك بنشاط في قواه وفي غريزته الجنسية وقد ذكر في محاضراته ما توصل اليه فأعقب ذلك ذبوع هذه الطريقة بين عدد كبير من الشيوخ ولجأ الى الاستشفاء بها رهط عظيم منهم غير انهم لم يجدوا فيها ما يسلي عزاءهم فأهمل شأنها وعادت نسباً منسياً . هذا وان كان اختبار براون سيكار لم يحقق الغاية ولم ينل الارب الا أنه نبه الفسيولوجيين والاطباء الى عمل الغدد الصم الحيوي فاتجهت الافكار الى الاستعضاء^(١) وبعثت من جديد هذه الوسيلة التي كان لها شأن كبير في القرون الوسطى ومقام في الطب القديم وقيل منذ ذلك الحين بالافراز الخصوي الداخلي . على اننا نرى ان فكرة تأثير الخصية في نشاط الجسم ومظهر الذكورة ليست حديثة العهد بل عرف الاطباء الاقدمون الشيء الكثير عن ذلك

ذكر هذا التأثير اطباء العرب وعلمائهم في كتبهم حتى ان الجاحظ بحث في كتابه الحيوان عن الخشاء وما يعتري الانسان وبعض الامم (اجناس الحيوان) بعده بحثاً مسهباً ننقل طرفاً منه كل ذي ربح منتنة وقيل ذي دفر^(٢) وصنان وكره المشمة كالنسر وما اشبهه فانه متى خصي نقص نتنه وذهب صنانه غير الانسان فان الخصي يكون اثنتي عشرة سنة بعد ان كان عضواً خصباً حتى لتوجد لأجسادهم رائحة لا تكون لغيرهم فهذا هذا وكل شيء من الحيوان يخصى فان عظمه يدق فاذا دق عظمه استرخى لحمه وتبرأ من عظمه وعاد رخصاً رطباً بعد ان كان عضلاً صلباً والانسان اذا خصي طال عظمه وعرض تخالف ايضاً جميع الحيوان من هذا الوجه وتعرض للخصيان ايضاً طول اقدام واعوجاج في أصابع اليد والتواء في اصابع الرجل وذلك من اول طعنهم في السن وتعرض لهم سرعة التعير والتبدل وانقلاب من حد الرطوبة والبضاضة وملاسة الجلد وصفاء اللون ورفقته وكثرة الماء وبريقه الى التكرش والكمود والى التقبض والتحدد والى الهزال وسوء الحال والخصي لا يصلح كما لا تصلح المرأة واذا قطع العضو الذي كان به خلاً تاماً أخرجه ذلك من اكثر معاني الفحول وصفاتهم واذا أخرجه من ذلك الكمال صيره كالبغل الذي ليس هو حماراً ولا فرساً تصير طباعه مقسومة على طباع الذكر والانثى وربما لم يخلص له الخلق ولم يصف حتى يصير كالخلق من اخلاق الرجال ويلحق بمثلهم من اخلاق النساء ولكنه يقع ممزوجاً مركباً فيخرج الى ان يكون مذبذباً لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

(١) تأويل opothérapie عملية العلاج بمفرزات اعضاء الجسم (٢) الدفر من دفر الشيء دفرأ اتنت ربحه والدفر على وزن قلس اسم منه

ثم قال وللانسان قوى معروفة المقدار وشهوات مصروفة في وجوه حاجات النفوس مقسومة عليها لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها ما كانت النفوس قائمة بطبائعها ومزاجاتها وحاجاتها وباب المنكح من اكبرها واقواها وأعمها ويدخل في باب المنكح ما في طبائعهم من طلب الولد لما طبع الله تعالى بني آدم عليه من حب الذرية وكثرة النسل

وعامة اكتساب الرجال وإنفاقهم وهمهم وتصنعهم وتحسينهم لما يملكون إنما هو مصروف الى النساء والاسباب المتعلقة بالنساء^(١) ولو لم يكن إلا التمتع^(٢) والتطيب والتطرز والتخضب والذي يعدلها من الطيب والصبغ والحلي والكساء والفرش والآنية لكان في ذلك ما كفى ولو لم يكن له الاهتمام بحفظها وحرصها وخوف العار من جنائنها والجناية عليها لكان في ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة فاذا بطل العضو الذي من أجله يكون اشتغال النفس بالأصناف الكثيرة من اللذة والألم فباضطراب ان تعلم ان تلك القوى لم تبطل من التركيب فاذا صرفت من وجه فاضت من وجه ولا سيما اذا جت ونازعت ولا بد اذا زحرت وغزرت وطغت وطمت من ان تفيض او تفتح لنفسها باباً وليس بعد المنكح باب له موقع كموقع المطعم فاجتمعت تلك القوى التي كانت للمنكح وما يشتمل عليه باب المنكح الى القوة التي عنده للمطعم فاذا اجتمعت القوتان في باب واحد كان ابلغ في حكمه وابعداً في سبيله ولذلك صار الخصى آكل من اخيه لأمه وابيه وعلى قدر الاستمراء يكون هضمه وعلى قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة يكون الاستمراء لأن الشهوة من اثنتين ابواب الاستمراء والحركة من اعظم الحرارة ودوام الأكل في الاناث اعم منه في الذكور وكذلك النساء في البيوت دون الرجال وما اشك ان الرجل يأكل في المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتربى عليه مقطوعاً غير منظوم وهي بدوام ذلك منها يكون حاصل طعامها اكثر وهن يناسبن الصبيان في هذا الوجه لأن طبع الصبي سريع الهضم سريع الكلب قصير مدة الأكل قليل مقدار الطعام فللمرأة كثرة معاودتها ثم تبين بكثرة مقدار الماء كونه فيصير الخصى نصيبان نصيبه من شبه النساء ثم اجتماع قوى شهواته في باب واحد اعني شهوة المنكح التي تحولت وشهوة المطعم ويعرض للانسان عند قطع ذلك العضو تغير الصوت حتى لا يخفى على من سمعه من غير ان يرى صاحبه أنه خصى وان كان الذي يخاطبه ويناقله الكلام اخاه او ابن عمه او بعض آرائه من خولة جنسه. ومتى خصى قبل الانبات لم ينبت واذا خصى بعد استحكام نبات الشعر في مواضعه تساقط كله الا شعر العانة فإنه وان نقص من غلظه ومقدار عدده فإن الباقي كثير ولا يعرض ذلك لشعر الرأس فإن شعر الرأس والحاجبين واشفار العينين يكون مع الولادة وانما يعرض لما يتولد من فضول البدن وتكون مقاطع شعر رأسه ومنتهى حدود قصاصه كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قصاصها. ثم يقول والخصيان مع جودة آلائهم ووقارة طبائعهم في معرفة ابواب الخدمة وفي استواء حالهم في باب

(١) اليس في ذلك ما يشير الى مذهب فرويد (٢) التمتع تنف الشعر في سبيل الزينة على ما تفعل النساء الآن بحواجبين

المعاطة لم ترَ احداً منهم قط نفذ في صناعة تنسب الى بعض المشقة وتضاف الى شيء من الحكمة مما يعرف ببعد الروية والغوص بادامة الفكرة الا ان الخصي من صباه يحسن صنعة الدبوق ويجيد دماء الحمام الضواري وما شئت من صغار الصناعات. ورأيت ان الخصاء جذب الخصي الى حب الحمام وعمل التكاك والهراش بالديوك وهذا شيء لم يمر منه على عرق وانما قاده اليه قطع ذلك العضو وتعرض للخصي سرعة الدمة وذلك من عادة طبائع الصبيان ثم النساء فانه ليس بعد الصبيان اغزر دمة من النساء وكفالك بالشيوخ الهرمين ويعرض للخصي العبث واللعب بالطير وما اشبه ذلك من اخلاق النساء وهو من اخلاق الصبيان أيضاً ويعرض له الشره عند الطعام والبخل عليه والشح العام في كل شيء وذلك من اخلاق الصبيان قال الشاعر

كأن ابا رومان قيساً اذا غدا خصي برازين يقاد رهيص
له معدة لا يشتكي الدهر ضعفها وحنجرة بالدورقين فحوص

ويعرض للخصي سرعة الغضب والرضا وذلك من اخلاق الصبيان والنساء. ومن العجب انهم مع خروجهن من شطر طبائع الرجال الى طبائع النساء لا يعرض لهن التخثت وقد رأيت غير واحد من الاعراب مخنثاً متفككاً ومؤثماً يسيل سيلاً ولم ار خصياً قط مخنثاً ولا سمعت به ولا ادري كيف ذلك ولا اعرف المانع منه ولكن كان الامر في ذلك الى ظاهر الرأي ولقد كان ينبغي ان يكون ذلك فيهم عامساً وما اكثر ما يعرض للخصيان البول في الفراش وغير ذلك ولا سيما اذا بات أحدهم ممتلئاً من النبيذ ويعرض لهم ايضاً حب الشراب والافراط في شهوته وشدة النهم ويعرض للخصي شدة الاستخفاف بمن لم يكن في سلطان عظيم او مال كثير أو جاه عريض

لقد اكثرنا من أقوال الجاحظ أمام الاديب والعالم ولنا في ذلك عدة غايات : أولها لنثبت أن علماء العرب وادباءهم وصفوا ما يعتري الانسان بعد الخصاء من اضطراب حالته الروحية والجسدية وصفاً مسهباً لا نجد في الكتب المتداولة بين أيدينا ما يماثله ولو اكتفينا بالتلميح الى ذلك تلميحاً بسيطاً لشك الكثيرون في هذه الدعوى ولكن من يناهضها لا من المؤلفين الاجانب فحسب بل من الكتاب الوطنيين ايضاً. ثانياً لنظهر ان الطريقة المستحدثة في الكتابة العلمية التي وسموها بعناق العلم والادب هي طريقة قديمة جرى عليها الجاحظ وغيره من علماء العرب وذلك لانهم تذوقوا الادب والعلم معاً. على ان اكثر أدبائنا كما يقول العالم والاديب اسماعيل مظهر لم يتذوقوا العلم ومعظم علمائنا لم يتذوقوا الأدب في الغالب. ثالثاً لنبين ان مذهب فرويد ليس من مبتكرات المؤلف المذكور بل قال به الجاحظ من قبل كما أشرنا الى ذلك في هذا المقال

فلو تبصرت أيها القارئ الكريم بعد ذلك في كتب الجاحظ وفي بعض ما نقلته لك من كلامه ونقبت عنه تنقيباً لرأيت انه قد استهل بعضه بقوله زعموا فذكر اموراً غريبة رغبت في نقلها ليجبيء

كتابته جامعاً بين الادب والعلم والرواية لم يفرط في شيء مما قيل في عهده وانه استهلَّ البعض الآخر بقوله قالوا وكأني به يقصد أموراً لا يبعد وقوعها ويقول لك تارة ورأينا ويعني به ما اختبره بنفسه أرجع بك الآن أيها القارئ الكريم بعد ان بينت لك أقوال هذا الامام ونقلت لك ما ذكره عن صلة الخصية بالنشاط والصفات الجنسية الى بعض الطرائق الحديثة وهي تستند كما بينت لك في صدر هذا المقال الى عمل الخصية وأثره في الجسم

✽ طريقة شتيناخ ✽ : بحث النسل وبوان منذ ربع قرن عن بناء الخصية النسيجي فوجد في باطنها خلايا مفرزة خاصة سموها الخلايا الخلالية وقد عرف ان هذا الافراز يحفز الصفات الشقية الثانوية والغريزة الجنسية على الظهور ثم بحث شتيناخ عن هذا الافراز وأثره في الوجود فانضحت له حقيقته واطلق اثر اقتناعه بوجود هذا الافراز على الغدة الخلالية اسم غدة البلوغ . ثم نقَّب هذا الاستاذ عن اختبار براون سيكار فلم يجد عارياً عن الصحة . ففكر حينئذ في إيجاد وسيلة لا يقاط الغدة المذكورة وتأجيل فسادها الشيعي فوجد ان خير وسيلة لذلك هي قطع الأسهرين^(١) لأن قطعهما يثبته العناصر الخلالية ذات الشأن في هذا الافراز ثم جرب هذه الطريقة في الكلاب الهرمة فكانت نتائجها حسنة ثم حقق اختباره كثير من الفسيولوجيين وذكر كنود ساند Knud Sand من كوبنهاغن ما طرأ على كلب اجريت له هذه العملية فقال : اخذت كلب حرس عمره اثنتا عشرة سنة وكان نشيطاً قوياً حتى سنته العاشرة ثم اخذت علائم الهرم تدب فيه فصار ضعيفاً هالزلاً مغمض العينين كسولاً ، متناثر الشعر ، جاف الجلد ، مجمده وعادت حركاته صعبة لا يمسك بوله وبرازه . ولم يكن لضعف الحيوان من سبب آخر غير هرمه لانه كان سليماً من جميع الأمراض العضوية فكان بذلك خير حيوان للاختبار . اجريت العملية لهذا الحيوان وقطع اسهره فتحسنت حالته بعد اربعة اسابيع وطادت اليه قواه الخائرة وشهوته للاستمرار . وكان قد راقب الاستاذ هنسن Hansen هذا الكلب وفحصه قبل العملية ورأى عجزه فكتب عنه ما يأتي : لقد تبدل طرف (اسم الكلب) بدلاً عظيماً فصارت نظرته حادة وعينه يقظتين ونما شعره وعاد دهنيّاً لامعاً وزالت البقع المرء من جسده واصبح جلده ليناً وصار اغتذاؤه طبيعياً كأن الحياة قد دبَّ ديبها فيه

وذكر أيضاً فالديمر برغاور (Valdimir Bergauer) نتائج اختباراته في الكلاب الهرمة فكانت مطابقة للاختبار المار الذكر . وكان الكلب المخبور مصاباً بساد^(٢) مركزي في عينه اليسرى فشفي منه . وقد شاهد هذه الحادثة هارمس (Harms) وشتيناخ (Steinach) ثم اختبر العلماء تأثير هذه العملية في الجرذ . فجاءت النتائج مؤيدة لما تم في الكلاب . ولما تحقق العلماء اثر هذه الطريقة الطيب في الحيوان جربوها في الانسان ولكنهم لم يحصلوا على نتائج مشجعة . وقد شاهد ليختنشتين Licktenstein بعض اثار التفتية في ثلاثة من مبزوعيه

[للبحث تمة]

الفارابي

احوال العصر العامة - حياته وأخلاقه -

كتبه ، اسلوبه ، قيمة كتاباته

لاديب عباسي

أحوال العصر

عاش الفارابي في القرن الرابع الهجري ، وهو عصرٌ لا تميّزه من الوجهة السياسية مائزٌ ، فهو حلقة من تلك السلسلة الواهنة من تاريخ الاسلام التي يمسك طرفها الواحد الخليفة المتوكل وطرفها الآخر هولاكو . غير انه لا بد من الإشارة الى ان هذا الوهن كان على اشدّه في هذه الفترة من تاريخ الاسلام . وقد تألّبت شتى العناصر على إحداث هذا الوهن والاضطراب . فالخليفة امسى ولا شأن له في الخلافة الاّ شرف الانتساب اليها ، ونيط به بدل شؤون الخلافة الخطيرة يديرها ، تصدر الاحتفالات والقيام بالصلوات وخلافها من الشؤون الثانوية . ولم تأت سنة ثلاثمائة واربع وثلاثين حتى كان ضعف الخلفاء قد بلغ مداه الأبعد ، فتم لآل بويه ان يؤسسوا في بغداد ملكاً لهم منه جسمه وللخليفة رسمه فقط . ثم لقد كان القرن الرابع الهجري قرن ظفر للروم بينما كانت الدول الاسلامية تزقها مطامع الأمراء والقوادر فكان هذا - مضافاً الى ضعف الخلفاء - من أدعى الاسباب في توليخ بنيان الامبراطورية الاسلامية . وما يزيد الباحث شعوراً بفساد الحياة السياسية اذذاك هذه الجمعيات الهدامة التي امتدّ شرّها الى أكثر انحاء العالم الاسلامي ، كالاسماعيلية والحشاشين والقرامطة ، خصوصاً هؤلاء الأخيرين الذين ظلوا زهاء قرن ينشرون الرعب والتدمير اينما حلّوا وحيثما توجهوا وفي الناحية الاقتصادية يلحظ المتتبع لاحوال العصر مثل ما يلحظه في الناحية السياسية ، وهناً على وهن وسوءاً الى سوء . ولا عجب ان تكون هذه حال العصر ، فالامن غدا والعدم سواء لذهاب هيبة الحكومة وانصراف اولى الشأن الى قمع الفتن ومشاغلة شتى الخصوم في الداخل . والسلم لم يكن اسعد حالاً ، فان هذا العصر - كما اسلفنا - كان عصر ظفر للروم ، كثرت فيه مغازي الافرنج وغاراتهم على البلاد الاسلامية مما لم يدع للسلم سبيلاً . والعدل كذلك آل الى اسوأ الدرك لاستبداد الأمراء بالأمر دون الخلفاء واسرافهم في تحميل العامة ما لا قبل لهم به . كل هذا وخلافه فسّم المجتمع الاسلامي الى قسمين : قسم تكاد تقتله التخمة وقسم تكاد تفنيه المجاعات . وما زاد

الشؤون الاقتصادية سوءاً ما حدث من انسلاخ كثير من الولايات من جسم الامبراطورية الاسلامية فقلّت بذلك موارد الخزينة واضطراً الخلفاء والامراء ، سدّاً للعجز، الى فرض الضرائب الباهظة على الفلاحين مما اثقل كاهلهم ودفع بالكثيرين منهم الى احضان الثورة على الحاكمين . وفي رأي كثيرين من المؤرخين ان ثورة القرامطة كانت ثورة اقتصادية قبل ان تكون شيئاً آخر . ويؤيد هذا الرأي ان السواد الاعظم من القرامطة كانوا من فلاحي العراق الذين ارهقهم عسف الحكم واضطرم الى الثورة وامتناق الحسام

وامتدّ الفساد في نواح اخرى من شؤون الاجتماع، ولم يسلم على هذا الفساد الا الناحية العقلية، على الرغم مما كان من اغراء شديد بالفلاسفة والمفكرين ، وظلّ درس الفلسفة في بغداد والبصرة وخلافهما من الحواضر الاسلامية حياً نامياً يؤتي اكله الشهي الحين بعد الحين

واهم مصادر الفكر الاسلامي في هذا العصر كانت الافلاطونية الحديثة والفلسفة الفيثاغورية ومذهب وحدة الكون (الپانثيزم) وفلسفة افلاطون وارسطو والزرداشدية واليهودية والمسيحية وغيرها من المذاهب الشرقية . واشهر من تأثر بهذه المذاهب الفلسفية والدينية هم الشيعة ومن جرى مجراهم كالاسماعيلية والفاطميين والقرامطة والحشاشين واخوان الصفا . فنظرية الحلول عند الشيعة ومن ذهب مذهبهم مقتبسة من الافلاطونية الحديثة لتفسير نظرية الامام المنتظر، وفلسفة فيثاغورس تشغل القسم الاول من رسائل اخوان الصفا ، وارسطو يشغل قسماً آخر منها ، والمدينة الفاضلة للفارابي تأثر بها مؤلفها بعض الشيء جمهورية افلاطون ، ومذهب وحدة الكون يظهر في آثار الفارابي اجمالاً وفي شطر كبير من رسائل اخوان الصفا وفي مذاهب الاسماعيلية والفاطميين والحشاشين وقد اماز هذا العصر عن غيره ظاهرتان عامتان كل العموم، وهما شيوع الجمعيات السرية الفلسفية وذبوع النزعة « الانسكلوبيدية » بين المفكرين . فؤلقات الفارابي وابن سينا واخوان الصفا والجمعيات الفلسفية والفلسفية السياسية كجمعيات اخوان الصفا والاسماعيلية والحشاشين هي اوضح دلائل على تفشّي هاتين النزعتين وتمكّنهما من نفوس القوم يومئذ . وذلك - في رأينا - ناشئ من التضييق على الفلسفة اشدّ الضيق حتى اضحت كتبها من الندرة بحيث لا تقو لها ايدي جميع الراغبين فيها ، فقام الفارابي وابن سينا واخوان الصفا وامثالهم وجمعوا للناس اشتات العلوم والمعارف على نحو قريب من دوائر المعارف والموسوعات الحديثة ، فسدّوا بذلك حاجة العصر وسهّلوا على الدارسين دراسة الفلسفة والعلوم والفنون . ولم يستطع الفلاسفة والجامعون ان يقوموا باعمالهم من دراسة وجمع وتأليف الا بالتكتّم الشديد ، فنشأت هذه الجمعيات السرية التي تقرأ اخبارها معجبين بما كانت تصرفه من جهد وتبذله من اخلاص في دراسة الفلسفة وتيسيرها للدارسين

في مثل هذه البيئة الاجتماعية والفكرية نشأ الفارابي . وسوف نرى عند تحليل فلسفة الفارابي ان قد كان لعناصر هذه البيئة آثار ملحوظة في فلسفته وفي نسق تفكيره

حياة الفارابي و اخلاقه

هو ابو نصر محمد بن اوزلغ بن طرخان من مدينة فاراب . ولد في عائلة تركية او اخر القرن التاسع الميلادي في بلدة واصدي من اعمال فاراب ، وهي ولاية تركية في خراسان . ويقال ان والده كان قائداً من قواد الجيش . والراجح انه من عائلة تركية مع ان كثيراً من المؤرخين يلحقونه بالامة الفارسية

والفارابي — ككثير من العصاميين — لا يعرف تاريخ ولادته بالضبط ولا الاحوال التي مرت عليه في طفولته وشبابه . وقد توفي عن ثمانين سنة او ما هو دونها (سنة ٩٥٠ ميلادية) وبذلك على انه بلغ هذا العمر او ما يقاربه ان تلميذه ابا زكريا يحيى توفي عام ٩٧١ ميلادية عن ٨١ سنة اي ان الفارابي حينما توفي كان عمر تلميذه نحو ستين سنة . وهذا يعني — في الراجح — ان الفارابي كان اكبر منه بعشرين سنة . وهي نسبة معقولة بين سن المعلم وتلميذه . على ان هذا لا يعدو باب الترجيح والاحتمال ، اذ ليس بعيداً ان يكون الفارابي وتلميذه من سن واحدة

والذي يعلم علم اليقين من حياة الفارابي انه رحل في صباه عن مسقط رأسه الى بغداد ، مدينة العلم والنور اذ ذاك ، ودرس فيها على الطبيب يوحنا بن حيلان . واشتمل تعليمه هناك على الادب والرياضيات واللغات . وقد نسب اليه اهل زمانه الألمام بجميع لغات العالم ، على انه لم يقم على هذا الزعم دليل . بيد انه يتضح من كتبه انه كان يعرف التركية جيداً ويعرف اليونانية بعض المعرفة . وقبل ان يدرس الفارابي على يوحنا بن حيلان كان قد تتلمذ لابن بشر يونس الحكيم المشهور ، وهو شيخ كبير . وكان الناس يقرأون على هذا الاخير كتب ارسطو في المنطق ويستملونه شروحه عليها . ذلك انه كان يستعمل في تصانيفه وطريقة شرحه ، البسط والتدليل حتى قال بعض علماء هذا الفن : « ما أرى ابا نصر الفارابي اخذ طريق تفهيم المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة الا من ابني بشر » . وكان الفارابي يجتمع ايضاً بأبي بكر السراج في بغداد ، فيقرأ عليه المنطق . ويقال ان كتاب النفس لأرسطو وجد عليه بخط الفارابي « افي قرأت هذا الكتاب مائة مرة » . ونقل عن الفارابي ايضاً قوله : « قرأت السماع الطبيعي لأرسطو الحكيم اربعين مرة وارى اني محتاج الى معاودة قراءته » ويروي عنه انه سئل : من اعلم انت ام ارسطو ؟ فأجاب : لو ادركنت لكنت اكبر تلاميذه . يريد انه كان لا يفارقه ولا يرى انه يستطيع الاستغناء عنه مهما تقدمت به سنه وسما علمه

ولم يزل ابو نصر في بغداد مكباً على الدرس والتحصيل الى ان برز في جميع العلوم . وفي بغداد ألف معظم كتبه ، واكثرها شرح لكتب ارسطو . ومن هنا دماه العرب المعلم الثاني ثم انتقل الفارابي من بغداد الى حلب لفتنة حدث هناك ، والحقه سيف الدولة برهط الادباء والفلاسفة الذين كانوا ينوون بلاطه ويكسون مجتمعات القصر حلاًلاً زاهية من مختار القول ومصطفى

الفكر ، وظلَّ يعيش هناك عيشة الزهد والتقشف الى ان وافاه اجله المحتوم في دمشق . وقد مكث الفارابي بقية حياته في حلب مكرِّماً معزَّزاً . وذلك ان سيف الدولة كان الى اجلاله للعلم وحده على الأَدب شيعياً كالفارابي الذي كان شيعياً ايضاً . ويدلُّك على مكانة الفارابي عند الامير انه لما توفي قام سيف الدولة في مسوح الصوف خطيباً على منبره

ويؤثر عن الفارابي الهدوء والانصراف الشديد الى العلم دون غيره من شهوات النفس . ويذكر المؤرخون انه لم يكن يتناول من سيف الدولة الا اربعة دراهم في اليوم ، وهذا لم يكن شحاً من سيف الدولة انما كان استجابة لرغبة الفارابي نفسه عن اعراض الدنيا . ولم يكن الفارابي يعتني بهيئته ، وكان لباسه لباس الصوفية الخشن . ويدلُّك على عفة الفارابي عما يتهالك عليه الناس من حطام الدنيا واعراضها أبيات أثبتها له ابن أصيبعة قال فيها :

لما رأيت الزمان نكساً وليس في الصحبة انتفاع
لُزمت بيتي وصنت عرضاً له من العزّة اقتناع
اشرب مما اقتنيت راحاً لها على راحتي شعاع
واجتني من حديث قوم قد افقرت منهم البقاع

وقد اورد له المؤرخون غير هذا المقطع من الشعر ، وكلها على العموم ، لا تنطوي على كبير شاعرية الا انها في معظم الاحوال ناطقة بمثانة خلقه وسمو نفسه وروي عن الفارابي اخبار كثيرة أحقُّ بالخرافة منها بالواقع : منها انه حضر ذات يوم مجلساً لسيف الدولة ولعب على آلة موسيقية معه ، فبكى كل الحاضرين . ثم فكها ولعب عليها لحناً آخر فضحك جميع الحاضرين . ثم فكها وركبها من جديد ولعب عليها لحناً ثالث ، فقام عليه الجميع

كتب الفارابي

﴿ أسلوبه — قيمة كتاباته ﴾ الكتب التي ألفها الفارابي تربي على المائة كتاب . والترتيب التاريخي الذي تماقت عليه هذه الكتب غير معروف تماماً . ولكن الراجح ان كتبه التي كتبها وهو تحت تأثير المتكلمين « Dialectics » والطبيعيين « Naturalists » من الفلاسفة كانت اسبق كتبه الى الظهور . أما كتبه التي يظهر فيها نضوج الفكر فيرجح انها كتبت في زمن متأخر ، وهي الكتب التي لُقِّب من أجلها بالمعلم الثاني ، وجلها شروح لمنطق ارسطو وفلسفته في السياسة وما وراء الطبيعة . وكتبه ، على العموم ، تقع في ثلاثة أقسام : الكتب المنطقية ، وكتب ما وراء الطبيعة ، وكتب الفلسفة العملية — أي فلسفة الأخلاق والسياسة . واكثرها محفوظ في المكتبات الاوربية . ومن هذه الكتب المطبوع باللغات الافرنجية ومنها المطبوع باللغة العربية ، ومنها

لا يزال مخطوطاً . ومن أشهر كتبه ما يلي :

- ١ - التوفيق بين رأيي الحكيمين ، افلاطون وارسطو
 - ٢ - فيما ينبغي الاطلاع عليه قيل قراءة فلسفة ارسطو
 - ٣ - رسالة في ماهية الروح
 - ٤ - آراء أهل المدينة الفاضلة
 - ٥ - رسالة في المنطق (خطية) في اوربا
 - ٦ - رسالة في القياس
 - ٧ - احصاء العلوم (خطية)
 - ٨ - السياسة المدنية
 - ٩ - مجموعات كتب في موضوعات متفرقة
- ومن أهم ما صنفه الفارابي ويذكر له مع الشكر والتقدير كتابه في احصاء العلوم والتعريف باغراضها وقد قسم الفارابي العلوم في هذا الكتاب المختصر الى ستة فروع : ١ - علوم اللغة : ٢ - علم المنطق : ٣ - الرياضيات : ٤ - العلوم الطبيعية : ٥ - العلوم المدنية : ٦ - علم الكلام وما وراء الطبيعة . وهذا التقسيم قريب من التصنيف الحديث للعلوم والفنون ويذكر المرحوم جرجي زيدان ان الفارابي كتب كتاباً في الاقتصاد السياسي سبق فيه جميع علماء الغرب الى هذا البحث الجليل

هذا من حيث مادة الكتب التي صنفها الفارابي ، اما أسلوبه فيعتوره شيء من التناقض والارتباك في كثير من الاحيان . على ان عبارته عربية لا غبار عليها ، انما يؤخذ عليه كثرة الترادف المعنوي مما ينأى به احياناً كثيرة عن الدقة الفلسفية ويحمله على التوسّع في المعاني . ومن خصائص أسلوب الفارابي ايضاً طول العبارة وكثرة المعترضات . على ان هذا ليس مما انفرد به الفارابي دون غيره من الفلاسفة . والواقع ان طول الجملة وكثرة الاعتراض ضرورتان تلازمان الكتابات الفلسفية والعلمية في اللغة العربية واللغات الاجنبية على السواء . وذلك ان بسط الفكرة العلمية او الفلسفية الدقيقة يقتضي الكاتب ، في كثير من الاحوال ، تطويل العبارة وازداد المعترضات موارد عديدة من الجمل

ويصطنع الفارابي في بعض الاوقات صيغاً وتعابير غير فصيحة كبنائه الفعل للمجهول مع

يراد الفاعل مجروراً بحرف الجر أو الاضافة . وهذا لا شك راجع الى دراساته في اللغات الاجنبية وتأثره بأساليبها

وقد كلف الفارابي نفسه فوق وسعها في محاولة التوفيق بين الفلسفة والقرآن من جهة وبين افلاطون وارسطو من جهة اخرى ، خفاء كثير من كتيبه مضطرباً متناقضاً وفي كثير من الاقتصار والتعقيد . يقول ماكدونالد : « في الحق ان النظام الذي تسلمه الفارابي كان نظاماً معقداً ، ولم يكن هذا النظام اقل تعقيداً من النظام الذي خلفه هو . ان فلاسفة المسلمين ابتدأوا فلسفتهم بما يأتي : القرآن حق والفلسفة حق ، ولكن الحق واحد « لا يتجزأ » ، لهذا وجب ان يتفق القرآن والفلسفة . وقد كان ايمان الفارابي بافلاطون وارسطو ايماناً لا حد له مما جعله يقبل قضايها وفروضها الفلسفية من دون مناقشة ولا حساب . وهذا في الحق من اكبر عيوب الفلسفة العربية ومن أكد الاسباب في وقوفها عند حد الاحتذاء والتقليد دون ان تتعدى ذلك الا في القليل الاقل . ودليلنا على ذلك من الفارابي ما أوردهنا له من قوله انه قرأ كتاباً لارسطو مائة مرة وكتاباً آخر اربعين مرة وهو لم يزل في حاجة الى معاودة قراءتها !! و يروى مثل هذا القول عن ابن سينا ايضاً . وقد أخذ الفارابي على نفسه فضلاً عن شرح الفلسفة اليونانية — التوفيق بين فلسفتي افلاطون وارسطو ، وجاهد في ذلك جهاد الجبارة حقاً ، ولكنه في ذلك كله كان ادنى الى الخيبة منه الى النجاح . وذلك ان افلاطون غير ارسطو وارسطو غير افلاطون ، وكل سعي للتوفيق بين الاثنين هذا نصيبه . وقد كان الفارابي يلقب افلاطون وارسطو بالامامين ويقول ان اتباعهما اولى من اتباع امام واحد . وذلك — في رأيه — ان الثقتين اذا اتفقا على امرٍ فحكمهما اصح واولى ان يُتَّبَعَ ، والشاهد الواحد يجوز الشك في شهادته ، اما الشاهدان الثقتان فلا يصح الشك في شهادتهما . بل لقد ذهب الفارابي الى ابعد من هذا المذهب في تقدير الفلسفة اليونانية ممثلة في أئمتها ، فكان يقول ان الفلاسفة القدماء هم على العموم انبياء يصلح اطلاق لفظ الامامة عليهم فيقال : الامام فيثاغورس والامام افلاطون والامام ارسطو كما يقال الامام علي والامام الحسن والامام الحسين . والسكتب التي ألفها الفارابي في محاولة التوفيق بين آراء الفلاسفة القدماء عديدة ، منها كتاب التوفيق بين افلاطون وارسطو ، والوسيط بين ارسطو وجالينوس ، ومقاصد ارسطو وافلاطون وخلافها . وجميع هذه الكتب تشهد على مقدار ما عاناه الفارابي في محاولة التوفيق بين آراء الفلاسفة اليونان . وهذا المسلك الوعر الذي سلكه الفارابي كان من اهم الاسباب في التناقض والاضطراب اللذين يكتنفان فلسفته في كثير من المواطن ^(١)

(١) — سنعتمد في مقال تال الى تحليل نواح من فلسفة الفارابي في بعض شؤون الاجتماع والنفس وفي فلسفة التكوين والاخلاق

سرّ النواة

العلماء يفتشون المعقل عنوة

ليس تشبيه نواة الذرة بالمعقل الحصين تشبيهاً مبتدعاً. فقد اشرنا اليه في المقتطف مراراً وعقدنا له فصلاً في كتابنا « فتوحات العلم الحديث » متأثرين بذلك علماء الغرب الاعلام. ولكنه على كل حال تشبيه مفيد ، لأنه يقرب مكان النواة في الذرة من الازهان. فاذا اعتبرنا الذرة السكاملة حصناً كانت الكهارب اشبه ما يكون بالقلاع والطواحي الخارجية ، وكانت النواة بمثابة قلب الحصن او معقله المركزي. فلما تهاوت القلاع الخارجية بين ايدي العلماء - اي لما علموا كثيراً مما يريدون ان يعلموه عن طبيعة الكهارب - وجّسوا قواهم الى قلب الحصن يبعثون افتتاحه ، والجوس خلاله ، لانهم عرفوا بالتجربة والامتحان ، ان سرّ المادة فيه ، بل و سرّ الطاقة كذلك ، وفي ما يلي بيان موجز لما احرزوا من النصر في هذه الحرب العلمية

منشأ البحث

كان لابد للعلم من بصر شديد الثقوب ، لكي يتبين « الذرة » في كتل المادة المتنوعة الاشكال. ولكن علم الطبيعة الحديث امدّ ابناءه ببصر يخترق الذرة ، ويكتشف العناصر التي تتركب منها ، وتصرف بعضها. والرأي الحديث ان الذرة اشبه ما يكون بنواة صلبة مندحجة تحيط بها طبقة هشة. فالذرة من هذا القبيل ، كالخوخة . فنواة الخوخة تقابل نواة الذرة . وجسم الخوخة الريان يقابل جوّ الذرة الكهربائي المؤلف من كهارب ومجال كهريطيسي

كان العالم الفرنسي بكرل اول من غني بنواة الذرة . وذلك في سنة ١٨٩٦ . ولكن رذرفورد كان اول عالم تصوّر الصورة الحديثة السائدة للذرة وبنائها . على ان الصورة التي تصوّرها رذرفورد لم تكن حزرراً اطلقه في الظلام ، يصيب به اذا كان موفقاً ولا يصيب اذا اخطأ التوفيق. ولكنها كانت مبنية على النتائج التي اسفرت عنها تجاربها العديدة الدقيقة . كان بكرل قد اكتشف ظاهرة الاشعاع ، فعنيت بها مدام كوري وزوجها ، ووسّعا نطاقها وبوجه خاص بعد ما كشف الراديوم . واثبت رذرفورد في سنة ١٩١١ وبضع السنوات التي تلتها ، ان الاشعة المنطلقة من الراديوم وغيره من المواد المشعة ، انما تنطلق من نواة الذرة لا من جوّها الخارجي . فلما ثبت ذلك اصبحت

خواص هذه الاشعة — طبيعتها وقوتها وسرعتها — اشبه بالرسول تحمل انباءً عن المصدر الذي انطلقت منه

وقد دلّت البحوث الطبيعية ان هناك ثلاثة ضروب من الاشعة . اشعة موجية تدعى دقائق الفا . واشعة سالبة تدعى دقائق بيتا . واشعة لا هي موجية ولا سالبة بل من قبيل الاشعة السينية (اشعة اكس) تدعى اشعة غاما . فالاولى تنطلق بسرعة ١٢ الف ميل في الثانية . والثانية تسير بسرعة الاشعة السينية اي سرعة الضوء ولكن لا تبلغها تماماً . والثالثة تسير بسرعة الضوء اي بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية

وعند التعمق في البحث ظهر ان دقائق الفا هي نوى ذرات الهليوم . وان دقائق بيتا هي الكهارب والعجيب في كل هذا ان نوى الذرات نفسها تبرعت بهذه الحقائق للعلماء اي انها اطلعتهم على انها مؤلفة من كهارب ودقائق الفا . ولكن البحث لم يقف عند هذا الحد . ففي تلك الاونة عني السرجوز فطمن والاستاذ أستاذ بوزن الذرات بطريقة عجيبة . وكان رذرفورد قد اثبت ان وزن الكهارب شيء لا يعتد به في وزن الذرات . فكان فطمن وأستن كانا يزنان نوى الذرات فعلاً اذ كانا يزنان الذرات . فلما عرفت اوزان النوى ، اصبحت في وسع البحوث ان يعلموا هل النوى مؤلفة من دقائق الفا وكهارب دون اي شيء آخر . ولكن ذلك لم يكن في البدء مستطاعاً لان جدول الاوزان الذرية الكيميائية يعين لذرة الهليوم وزن ٤ حالة ان هناك ذرات وزنها واحد ، او ٦ او ٧ او ٩ . فكيف يمكن ان تتألف هذه الذرات من وحدة وزنها ٤ على القياس نفسه ، واذن لا بدّ من وحدة يكون وزنها ربع وزن دقيقة الفا اي واحد ، لتكون اساساً لبناء نوى الذرات جميعاً

هذه الوحدة هي نواة ذرة الايدروجين المعروفة باسم « بروتون » Proton ولما كانت دقيقة الفا (أو نواة ذرة الهليوم) وزن أربعة أضعاف وزن البروتون ، بل لما كانت نوى العناصر المختلفة ليست الا أرقاماً مضاعفة للرقم واحد — وهو وزن البروتون — كان من الطبيعي ان يعتقد علماء الطبيعة ان نوى الذرات مركبة من بروتونات وكهارب ليس الا . ولكن الامتحان يدل على أن دقائق الفا تدخل في تركيب نوى بعض العناصر . لذلك اعتقد العلماء ان البروتونات تنحشك أحياناً فيتألف من انحشك أربعة منها ، دقيقة الفا واحدة

بيد ان هذا كله جاء عن طريق الاستنتاج ، ولم يبق عليه دليل علمي تجريبي واحد . ذلك ان ذرات العناصر المشعة ، لم تطلق في خلال اشعاعها الذاتي ، بروتوناً واحداً . ومما جعل هذا البحث محدوداً مقيداً ، ان الوسائل التي توسل بها العلماء حتى ذلك الوقت ، لتهديم الذرة اخفقت جميعها . فالاشعة المنطلقة من المواد المشعة لم تخضع لاي فاعل من فواعل الطبيعة التي في متناول البحوث كالحرارة والبرد والضغط ، ولذلك عجزوا عن حمل نواة الذرة على البوح بأسرار تركيبها ولكن في سنة ١٩١٩ ابتدع رذرفورد طريقة عجيبة تمكنه من ذلك . فبين انه متى استعمل

دقائق ألفا المطلقة من الراديوم ، كمقذوفات أو قنابل يطلقها على ذرات النتروجين ، أصاب بعض قنابله نوى بعض ذرات النتروجين وقذف منها بروتونات مفردة ، هي نفس البروتونات التي تصوّر العلماء أنها الوحدة الأساسية في بناء نوى الذرات . وكذلك أصبح رذرفورد العالم الاول في التاريخ الذي استطاع ان يحوّل العناصر ، لأن انطلاق بروتون واحد من نواة ذرة النتروجين جعل النتروجين عنصراً آخر

وما كان يقيم الصعاب في وجه علماء يجربون تجارب من هذا القبيل ، ان عدداً يسيراً جداً من المقذوفات التي يطلقها العالم ، يصيب احدى الذرات المقصودة ويفوز بتشيم نواتها . فقد يطلق العالم ما متوسطه ٥٠ ألف مقذوفة على طائفة كبيرة من الذرات قبل ان يفوز باصابة احداها وتشيمها . أما الصعوبة الثانية فهي أن الراديوم — مصدر هذه المقذوفات اي دقائق ألفا — عنصر نادر ثمين وما حضر منه يعدّ بالغرامات . لذلك تعذّر التوسع في اجراء التجارب التي قبيل تجربة رذرفورد المتقدمة

الجسيمات الجريرة

ثم انقضى ما يزيد على عشر سنوات والعلماء يعتقدون ان وحدات المادة الاساسية هي الكهارب والبروتونات . ولكن في سنة ١٩٣١ اكتشفت وحدة أساسية جديدة هي «النوترون» — المحايدة أو المحايد — فبدأ للعلماء عند اكتشافها ان قصة الذرة ونواتها لم تتم . ذلك ان الاستاذ شدر ك وهو من أعوان رذرفورد ، تبين نوعاً جديداً من الأشعة منطلقاً من نوى الذرات . فقد وجد ان هذا النوع الجديد من الاشعاع ينطلق من ذرات بعض العناصر الخفيفة مثل عناصر البريليوم عندما تقذف بدقائق ألفا . وأشعة النوترون هي في الواقع دقائق او جسيمات . ولكنها دقائق غير مكهربة ، مثل دقائق ألفا أو مثل دقائق بيتا . هي محايدة كهربائية ، أي لا هي سالبة ولا هي موجبة ولذلك دعيت «نوترونات» أي «الجسيمات المحايدة»

وفي سنة ١٩٣٢ اكتشف الاستاذ اندرسن احد اعوان ملكن في باسادينا بكاليفورنيا ضرباً آخر من الاشعاع ينقذف من نوى الذرات عند ما تصدمها الأشعة الكونية . ثم ثبت حديثاً ان بعض المواد المشعة تقذف مثل هذه الدقائق ايضاً . ووحدة هذه الدقائق لا تختلف عن الكهرب في شيء الا في شحنتها الكهربائية . فالكهرب سالب الكهربائية ، ووحدة هذه الدقائق موجبة الكهربائية ، ولذلك دعيت الكهرب الموجب او البوزيترون

وكذلك زى انه يجب علينا ان ننقح قائمة اللبنات التي تبني منها الاجسام المادية . كنا قبلاً نعتقد ان هذه اللبنات تقتصر على الكهارب والبروتونات فأصبحنا نرى انها كهارب وبروتونات ونوترونات وبوزيترونات . فهذه المكتشفات الجديدة غلبت الطبيعي على امره ، في محاولته ان يجعل

لبنات الكون الاساسية ، صنفين بسيطين من الدقائق . ولكن بعد البحث ثبت ان البروتون ليس وحدة نهائية ، بل هو مؤلف من نوترون وبوزيترون . واذن فلبنات الكون الاساسية هي ثلاث الآن — اي الالكترون (سالب) والبوزيترون (موجب) والنوترون (محايد)

اطمح طاقة الذرة

والبحث متجه الآن الى معرفة ترتيب هذه الدقائق في بناء النوى . والطريقة التي يعتمد عليها العلماء هي الطريقة الساذجة التي عمد اليها رذرفورد اولاً ، اي تحطيم الاشياء وتهشيمها لمعرفة سرّ تركيبها

ولكن الوسيلة تغيرت . فقد كان رذرفورد يحتاج الى دقائق الفا لهشيم نواة النتروجين . ودقائق الفا كما قلنا عزيزة المنال ، لان مصدرها نادر ثمين . بيد ان علماء اليوم قد بنوا اجهزة كهربائية قوية الضغط الكهربائي ، يستطيعون ان يسرعوا بها ، نوى الايدروجين (البروتونات) ونوى الهليوم (الهليومات او دقائق الفا) ثم يستعملونها كمقذوفات يطلقونها على الذرات التي يريدون تهشيمها خذ مثلاً على ذلك ما فعله كوكروفت Cockroft وولطن Walton وهما من اعوان رذرفورد ايضاً فانهما بنيا جهازاً كهربائياً يمكنهما من اسراع البروتونات اسراعاً عظيماً . ثم اطلقوها على قطعة من عنصر الليثيوم . والليثيوم عنصر مركب من نوعين من الذرات (اي له نظيران 2 isotopes) نوع وزنه ٦ ونوع وزنه ٧ في جدول الاوزان الذرية الكيميائي . وفي خلال هذه التجربة لاحظا ان الليثيوم يطلق اشعة اعظم طاقة من البروتونات المسددة اليه . وبعد البحث ثبت ان هذه الاشعة العظيمة الطاقة ، المنطلقة من الليثيوم مؤلفة من هليومات او دقائق الفا (اي نوى ذرات الهليوم) وبعد موالاة التجربة ثبت ان هذه الدقائق تنطلق من الليثيوم ازواجاً وان طاقة حركتها تعدل ١٥ مليون فولط — هذه حقائق جديدة تنطوي على مغزى عظيم

ويظن ان ما يحدث في هذه التجربة كما يلي : يصطدم بروتون احياناً بنواة ذرة ليثيوم من الوزن ٧ . فيحدث تفاعل داخلي تتحوّل فيه النواة بعد ان يلتصق بها البروتون المقذوف عليها ، الى دقيقتين من دقائق الفا . ثم ان هذه الدقائق تنطلق بطاقة اعظم جداً من الطاقة اطلقت بها البروتونات على النواة . واذن فالطاقة الكامنة في الذرة قد انطلقت من عقالها في هذه التجربة البسيطة ولا يخفى ان الطاقة الكامنة في الذرة عظيمة جداً ، حتى لقد قيل انه اذا استطعنا اطلاقها من عقالها ، لكففتنا الطاقة الكامنة في ذرات كوب من الماء ، لتسيير باخرة كبيرة بين اوربا وامريكا ذهاباً واياباً

موت فتانه

رثاء فتان يموت بينما الافق يردد صدى أغانيه

غناؤك العذب في الظلام يرث في مسمع الزمان
وأنت في قبضة الحمام كالخيل في قبضة الوسان

أأنت يا صامتاً تؤوب أيتامه للعدى البعيد
الصادح المر قص القلوب الساحر الفاتن النشيد ؟ !

أأنت ؟ لا ، أنت غيره فأين لي شدوك الجميل
قد فارق العش طيره وهام كالحائر الضلّول

كم خيم الحزن في رحابك ونام في ساحك الرنين
تمزق الليل بانتحابك وترعش النجم بالأنين ؟ !

يا مغرِق الكون في الاغاني الكون يشاق للهزار
غرقت في لجة الزمان فهل تعمّقت للقرار ؟

هجرت الحانك العذاب وعشت في صمتك الحزين
تجرع اليأس والعذاب وتشرب السقم والمنون

أأنتَ مَنْ حَرَّكَ النُّفُوسَ بِصَوْتِهِ السَّاحِرِ الرَّؤُومَ ؟ !
أأنتَ مَنْ أَرْقَعَ الكُؤُوسَ أَأنتَ مَنْ أَرَقَّ النُّجُومَ ؟ !

أأنتَ ؟ لا ، أنتَ غَيْرُهُ فَأَيْنَ لِي صَوْتُكَ الحَنُونِ ؟
قد بَانَ لِلَّيْلِ جُفْرُهُ وَأنتَ مُسْتَسَلِّمُ الجُفُونِ !

أصَمَّتْكَ المَوْحِشُ الكَثِيبُ يَا هَاتِفِ الأُمِّسِ سَخْرِيَّةِ
بِعَالَمٍ مَغْرَمٍ يَذُوبُ عَلَى تِرَانِمِ اغْنِيِيهِ ؟

قد ظَلَمْتَ السُّقْمَ واستَبَدَّ وَأنتَ فِي مِيعَةِ الشَّبَابِ
سَلَّمْتَ قِيَارَةَ الأَبَدِ لِجَاهِلٍ لَحْنُهُ اضْطَرَابُ

يَطُوفُ فِي سَاحِكِ القَدَرِ مَجْعَدُ الجِبْهَةِ اكْتِئَابُ
يُضْمُ مِنْ كُؤُوبِكَ الزَّهْرُ وَيَحْطُمُ الفَنُّ والشَّبَابُ

قَدِمَرٌ فِي صَمْتِكَ المَنُونِ بِرُوحِكَ الحَيَةِ الصَّدَى
مَتَّ فِي اللَّيْلِ ، وَالسَّكُونِ يَكْفُكُفُ الطَّلَّ والنَّدَى

غَنَاؤُكَ العَذْبُ فِي الظَّلَامِ يَرْنُ فِي مِسْمَعِ الزَّمَنِ
وَأنتَ فِي قَبْضَةِ الحِمَامِ كَلْحُلْمٍ فِي قَبْضَةِ الوَسَنِ

فصلان عراقيان^(١)

لدا مبن الریحانی

— ١ —

— وكان الكهان في معبد عـنـلـیل یأور ونـبـور یأهون ملوك سُومـیر الدولة الاولى في وادي الرافدين (٣٥٠٠ قبل المسيح)

— وما الذي صنع اولئك الملوك والكهان لخیر السواد من الناس ؟

— وسرجون الاول ملك أكاد اكتسح السومريين ، وفتح بلادهم ومد ملكه جنوباً الى الخليج ، وشمالاً الى الجبال (٢٧٥٠ ق . م .)

— وما الذي قام به سرجون وخلفاؤه لخیر السواد من الناس ؟

— ومن الجبال في الشرق والشمال انحدَر بحيشه كدور ناخـنـستا ملك عیلام ، فغزا بلاد سرجون واكتسحها ، وحمل تماثيل آلهتها الكلدانيين الى أشمونا عاصمة عیلام (٢٢٨٦ ق . م .)

— وما الذي صنع كدور هذا وما الذي شاد خلفاؤه العیلاميون لخیر السواد من الناس ؟
مدنية القصور والمعابد للملوك والكهان ،

والجهل والفقر والعبودية للسواد من الناس

— وكان كهان عشتروت بنينوه ، وكهان مردوخ ببابل ، يتعطّون السحر والشعوذة ، ويملاؤن بطونهم من ضحايا الهیکل ، بينما ملوك بابل وآشور يحترقون ويتطاحنون من اجل السيادة والمجد

— السيادة والمجد للكهان والملوك ، والسحر والنیر للسواد من الناس

— وحمورابي اول المشترعين ، وآشور بنیبال اول المحبين للعلم والعلماء —

— واحتان في البادية ، مصباحان في الليل الدامس

— وسنحاريب الفاتح ، ونبوخذ نصر المصلح —

— ناهب فينيقية ، ومذل اسرائيل

من جبال الشمال تدفق النتيون ، ومن جبال الشرق انحدَر الكراس

يقود جنوده الماديين ، ومن السهول في الجنوب سارع جيش بابل الى نجدة

جيش مادي ، وقد حالف النهران المحاصرين — طغى الفرات ، وطحى دجله

(١) من كتاب « العراق » تأليف الكاتب الكبير امين الريحاني وينتظر صدوره قريباً

طغيان الجيوش الفاتحة — وصاحوا كلهم قائلين : لتسقط نينوه ! سقطت

نينوه (٦٢٥ ق . م .) وبعد ست وثمانين سنة (٥٣٩ ق . م .) سقطت بابل

— دول تدول ، ومجد بعد مجد يحول ، مجد سومر وعيلام ، ومجد بابل وآشور . ثم ينتقل

صولجان الملك من يد الساميين في وادي الفرات الى يد الآريين من الملوك

— وما الذي صنع الآريون من اجل السواد من الناس ؟ أفي سبيل المجد تُشيد الدول ام في

سبيل الانسان ؟ انهم لظلامون ، الساميون والآريون جميعاً . انهم النهابون الفاسقون . شيدوا المعابد

والقصور ، وسخروا لها العباد . ألتهوا انفسهم ، وكانوا قساة عتاة ، وكانوا عبيداً للشهوات

— ومن مهد الثقافة الغربية جاء تلميذ ارسطو ، الشاب العجيب اسكندر المقدوني . اجتاز

البحر الى الشاطئ الاسيوي . قاد الوفه الثلاثين ، وكان ظافراً في كل مكان . هزم الفرس في واقعة

الغرانيق وفتح فينيقية ، واستولى على مصر ، وتعقب الملك دارا الى بلاد الرافدين ، فأدركه قرب

اربيل ، وكانت الوقعة الفاصلة بين الشرق والغرب (٣٣١ ق . م .)

— في اربيل ابدل نير من حديد عتيق بنير من حديد مصقول . راح الفرس وجاء الاغريق

— كان الاسكندر فاتحاً باسم العلم والنور

— كان الاسكندر مصاباً بداء الصرع . غزا الشرق باسم الآلهة ، وعاد منه ناقماً على الارض والسما

— ولكنه في بابل كان مجدداً

— شاء الاسكندر ان « يُأغرق » العالم ، فكانت بابل النهاية لصرعة — لسكرة — مفجعة ،

وكانت النهاية لحلم ذهبي

— قد تحقق قسم من ذلك الحلم ، فبدت بعد الاسكندر دلائل التآخي بين الشرق والغرب

بدت ثم ردت . فقد تغلب البرثيون التورانيون على السلوقيين الاغريق (١٢٦ ق . م .)

يوم كان ذاك التآخي في ازدهاره الاول ، فقضوا عليه

زُرعت بذوره في ارض طيبة في الشرق الادنى

— فجاءت رومة بجيوشها تدوسه وتسحقه سحقاً . وما كانت رومة ممن يحملون الاحلام

— ومع ذلك فقد كان للرومان فضل يذكر في الرقي والعمران

— عمروا المعابد لآلهتهم ، وعبدوا الطرق لجيوشهم . وكانت الآلهة ، مثل الجيوش ، تستولي

على الشعوب والامم باسم رومه ، ومن اجل رومه ، بل من اجل القياصرة في رومه

— مدنية المعابد والطرق هي خير من مدنية القصور والمعابد . القصور للملوك والطرق

للملوك والصعاليك

— ولكن السواد من الناس في عهد الرومان كان كالسواد في عهد بابل وآشور — عبيداً للكهان

والملوك ، وحطباً للحروب

وما افلح الرومان في وادي الرافدين . بعد مائتي سنة من الاغارات والحروب سلمت رومة الى سلوقية . وما خلا الجو لسلوقية طويلاً . عاد الفرس الى العراق (٢٢٦ ب.م) فاستولوا عليه ، واستمرت فيه الدولة الساسانية اربعمئة سنة — والنزاع بين الشرق والغرب ، ذلك النزاع الذي كاد ينتهي بعد واقعة اربيل ، تحدد بشكل ديني بين المسيحية والوثنية . وما الذي أثمر جدال ارباب الدين ، المتنطعين والمتعصبين ، خير السواد من الناس ، بل خير الناس جميعاً ؟

وفي ظلمات الجاهلية ، في سماء الحجاز ، سطع نور النبوة ، نور دين جديد . ومشى المؤمنون مكبرين ، وسلاحهم الاسلام وكلمة التوحيد ، فاجتازوا البوادي الى الارض الخضراء يرومون الفتح لله ، والخلاص للناس . فحملوا على الروم في سورية ، وعلى الفرس في العراق . فكسروا جند هرقل في اليرموك (١٢ هـ ٦٣٤ م) وبددوا جنود فارس في القادسية (١٤ هـ ٦٣٦ م) وبعد عشر سنوات من وفاة النبي رفعت اعلام العرب فوق قصور فارس ، وفوق حصون دولة الروم

— هي نار النزاع بين الشرق والغرب تزداد اضطراباً . وهي كذلك اول شعلة من نزاع يحدد بين الساميين والآريين ، بين العرب والعجم

— ولكن الاسلام دين التوحيد ، ودين العدل والاخاء والمساواة

— المساواة والاخاء في الحروب بين السنة والشيعة ! والاخاء والمساواة في الحروب بين التتار والترك والمغول والعرب من السنيين !

— انما الحكم المسلمون ، وخصوصاً العرب منهم ، يفوقون سواهم في العدل والانصاف ، بل في كرم الاخلاق والمبررات . فقد كانوا على الاجمال اكثر حلماً وعدلاً من اكثر ملوك الفرنجة — يصح هذا في الخلفاء الراشدين ، وفي بعض الخلفاء الامويين والعباسيين . اما الدولة العباسية في العراق (١٣٢ — ٦٥٦ هـ ، ٦٢٦ — ١٢٥٨ م) فما كانت ، على الاجمال ، المثل الاعلى في العروبة ، ولا كانت المثل الاعلى في الاسلام . اول خلفائها « السفاح » وآخرهم العاجز المستعصم بالله — وهرون الرشيد ؟ شخصية باهرة اجتمعت فيها الاضداد . فقد كان هارون ورعاً تقيماً ، وخليعاً انانيّاً . وكان كثير المبرات والبدوات ، عادلاً يوماً ، ويوماً ظالماً . تارة حريصاً على ابنة الملك ، وطوراً يرمي بها الى الصيادين . . . ولا اذكر بنكبة البرامكة . . .

— والمأمون ، ما تقول في المأمون ؟ المأمون ، غفر الله ذنبه في اخيه ، هو مثل حمورابي في آشور . المأمون نجم العباسيين الساطع ، ونورهم اللامع على الدوام — وجاء هولاكو بجيشه الجرار صائلاً فاتحاً

— هولاكو من كبار القواد المسلمين الذين وقف الاسلام على شفاههم ، وما دخل الى قلوبهم . فهو الذي اكتسح بغداد (٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م) — ودمرها ، وأعمل السيف باهلها

— وحكم التتار في العراق نحو مائتين وخمسين سنة، فعاد الفرس (٩١٤ هـ — ١٥٠٩ م) فزغوا السيادة منهم . ثم جاء الترك ، بعد ربع قرن ، فزغوا السيادة من يد الفرس واستولوا على البلاد (٩٤٠ هـ — ١٥٣٥ م) وظلوا اسيادها اربعمائة سنة

— اربعمائة سنة مظلمة ، يبدو الى جانبها العهد التتاري عهداً سعيداً . ولو استطاع الترك ان يحكموا النهرين ، دجلة والفرات ، لكنا اليوم اجف من رمل البادية ، واقفر من ارض الحماة وفي السنة السابعة عشرة من هذا القرن العشرين جاءت الجيوش من الغرب — رجال زُرُق العيون ، متحدرين من الفريد الكبير السكسوني ووليم الفاتح النورمندي — غمّلوا على الترك وانتصروا بمساعدة العرب عليهم . وقد قرأ قائد الجيوش على اهل البلاد مادةً من عهد مقدس يضمن للناس حقوقهم ، العامة منها والخاصة على السواء . ولاول مرة في تاريخ العراق ، الاسلامي وغير الاسلامي ، يؤسس في البلاد مجلس نيابي ، ويجلس على العرش ملك دستوري . اجل ، انها المرة الاولى في تاريخ دول هذا القطر كلها — الدول الآرية والسامية والتتارية والتورانية — التي تعلن في البلاد ، وتضمن في دستورها ، حقوق الانسان

— ٢ —

كنت احمل في ذهني ، عند ما أقدمت على رحلتي العربية ، صورة تصوّرتها ، مما قرأت وسمعت ، لكل مدينة زرتها . وما تغير في الصورة بعد الزيارة شيء مهم . بل شاهدت في الصفة البارزة لكل مدينة ، فوق ما تصوّرت . فكانت صنعا اكثر عمراناً وحسناً ، والحديثة اكثر خراباً وقبحاً ، وعدن اكثر تجارة واكل عروبة ، وجدة اكثر عتقاً ورثة ، وجيزان اشد وحشة ، والرياض اعجب قداسة ، وعنيزة بين ضعفها الذهبية اصفي جمالاً ، والهفوف اكثر غباراً وذباباً مما كنت اتصور او اظن . فما كذبت هذه المدن ما سمعت ، ولا افسدت ما قرأت

اما بغداد فأمرها غير ذلك . قد جئت بغداد من افق كان في قديم الزمان كثير الانوار والالوان . جئتها وفي القلب أثر شديد مما لا يزال من تلك البهجة في كتب التاريخ والشعر . بل جئتها من عالم الاحلام المدبجة حواشيه بالذهب والارجوان . وبكلمة اخرى لقد جئت بغداد من عالم « الف ليلة وليلة » . فهل يُعجب اذن خيبي ، وهل يُستغرب غمي ؟ بيد ان تباين الحقيقة والخيال هو في يومنا هذا كما كان في الماضي ولكن الزمان يلبس الاثني ثوباً من التقليد والتقليد ، ويرفعهما في عيون الناس الى منزلة الوحي المنزل . يحق لنا اذن ، ونحن في هذا الزمان نعرض للبحث حتى الوحي المنزل ، ان نبحت وننتقد ما يحيئنا به التاريخ قبل ان نقبله مصدقين معجبين ، او نرفضه مستنكرين وليس هذا بالامر السهل . فن ذا الذي يستطيع ان يجيب مثلاً على هذا السؤال : ان تنتهي الحقيقة في عهد العباسيين الذهبي ، واين يبدأ الخيال ؟ اني اسأل سؤالاً آخر . ولكنني اقول قبل ذلك اني اصدق فرضاً كل ما قاله المؤرخون والروائيون في ذلك العصر الذهبي . ثم اسأل : هل كانت

اسباب تلك المدينة منتشرة شاملة؟ هل كانت بغداد كلها، او هل كان جُلسها، على طراز ما كان من بناء وهناك للخلفاء والامراء والاعيان؟ وبكلمة أخص: هل كانت المرافق متلاً واحدة في المدينة، وهل كانت عامة، على انواعها، كما هي في هذا الزمان؟

وما هي الحقيقة في عصر هرون الرشيد؟ وما هي الحقيقة في بغداد هرون؟ هل ننكر ما جاء بخصوصها في «الف ليلة وليلة» وفي التواريخ كثير مما في تلك الحكايات؟ لاشك ان بغداد كانت كالقاهرة او كدمشق او كانت تفوقهما في عمرانها وبهجتها. ولا شك ان الرشيد كان يفتخر بها، ويفاجئها من حين الى حين بطرائفه وغرائبها. ولا شك ان الصيادين كانوا ينعمون بل ينامون على شاطئ دجلة، وهم يرمون بشباكههم للاسماك. اني اصدق كل ذلك لانه الحقيقة بعينها حتى في هذا الزمان. فهناك بغداد تزين البلاد، وهناك ملك مثل هرون من صميم العرب، وله مثل ذلك العباسي رغبة في التنكر فراراً من أمة الملك، وحباً باستطلاع اخبار الرعية. وهناك كذلك الشعراء والصيادون

أما تلك الصلة الاخوية، الرشيدية، «الألفيلية» بين الملك والصياد فأنت لا تجدتها. قد يكون الملك ديمقراطياً، وقد يكون الصياد فيلسوفاً سقراطياً، ولكنهما يسيران كل في سبيله، في خط مستقيم أو معوج، ولا يلتقي الخطان حتى يجيء صاحب (اعذبه الكذب) أو صاحب الحكايات الشهرزاديات، فيرى ذات يوم ظل الملك قريباً من ظل الصياد، فيلفق القصة، او يؤلف الاسطورة، التي يتذبذب فيها الخطان — الظلان — ويدنو الواحد من الآخر، ثم يتلاصقان، ثم يلتقان ويشتمكان، ويتلوّنان بالوان قوس قزح، ويتكونان اشكالاً فنية، رومنثيقية «ألفيلية» نهر الابصار، وتسحر الباب الصغار والكبار. لست أنكر سحر الآيات، وأعاجيب الحياة، حتى في هذا الزمان. فالصياد البغدادي موجود كما قلت، والملك كذلك من حقائق الوجود، ولا يستغرب اذا أمعن الصياد في الاحلام، وودّ ان يكون ملكاً من ملوك الزمان، ولا يستغرب اذا اشتهى الملك في بعض الاحايين، ان يكون من الصيادين. وقد تتحقق رغبة الاثنين، فيهتف الشعراء قائلين: لا حقيقة ثابتة غير حقيقتنا. الحقيقة الشعرية فوق كل الحقائق

واني اسأل سؤالاً آخر: كم كان حظ عامة الناس من تلك المدينة العباسية الباهرة؟ هل كان يتمتع الصياد والملاح والاسكاف والفلاح بشيء من تلك النعمة التي كانت تبسط أجنحتها الذهبية في البلاط وفي قصور البرامكة، وفي كل مكان قريب من ظلال القصور الملكية والاميرية؟ هل كان للسواد من الناس بعض ما للخاصة من الثروة والثقافة والسعادة؟ هل عم بغداد ذلك الترف والتأنق في العيش، وذلك الزهو والسرور، وذلك المجد والعز والتهذيب؟

لا يلزم ان نعود الى التاريخ لنجيب عن هذا السؤال. فان لدينا في الحاضر الدليل والبرهان. ان في شرقنا اليوم — في المدن التي لا تزال شرقية، او لم تمس بغير القليل من مدينة الغرب في البناء وفي المرافق العامة والخاصة — ان فيها من ظلمات الأسواق ومقاديرها، ومن ازدهار الحياة

وموبقاتها ، ومن النتانة والعفونة والامراض ، ما لا تجده في مدن اوربا الا في بعض أحيائها التي تدعى Slums وهي مهد الاوبئة الادبية والاجتماعية والروحية والجسدية . أما الفرق بين المدينة الغربية والمدينة الشرقية فهو ان مثل هذا الحي في الاولى جزء صغير منها ، وهو في الثانية الجزء الاكبر وهذا الجزء الاكبر هو المدينة . أما الدور والقصور وان كانت في قلبها فليست هي منها . في الدور والقصور المرافق والاثاث والاعلاق ، وفي غيرها الفقر والقناعة والاقدار ، والورع والاستسلام بين الاقدار . هناك أقلية تستمتع بخيرات الارض وبطيّبات الحياة ، وهذا السواد من الناس وهم قانعون بالنعيم المنتظر ، وبما تعدّهم به الكتب المنزلة . هناك المدينة ، وهنا المدينة ولما كان السواد من الناس يعيشون محرومين في الدنيا تراهم شغفين اكثر من سواهم بالقصص والاساطير التي تمثل النعيم المنشود

حقيقة النعيم ، او بعض حقيقته ، للامراء والاغنياء . وحديث عنه — حكاية أو اسطورة او قصيدة — للسواد من الناس . ومع ان السيما تغزو اليوم بلاد القصص ، فيتهاقت العرب عليها ليروا ويسمعوا شهرزاد هذا الزمان — الشاشة البيضاء وما وراءها من سحر النطق والتصوير — فان القصص لا يزال مالكا سعيدا ، وله عرشه في القهاوي . وهذا الشغف بالحكايات والآيات والمعجزات ، هذا التعظيم للخيال ، هذا التقديس للمحال ، لا يزال في الشرقي من الخلال البارزة . فهو يقنع بظل الحقيقة . ويقبل متورعا محبورا ما يحاك من الظلال كما لو كان حقائق دينية . ثم يعمل النفس بلحم تلك الحقيقة ودمها ، بجسمها المادي . كذلك كان الشرقي ، ولا يزال على الاجمال كذلك وقد شحذت هذه الخيلة منه ، فأصبحت بعامل الوراثة شقيقة العواطف في السيطرة على نفسه — في عقائده واحكامه ، وفي آرائه واهوائه . ولا عجب اذا خضعت كلها للخيال ، واعتصمت بالمحال . فمن يستمتعون بطييات الحياة لا يضيعون الوقت في أحاديثها . ومن يحرمونها يسترسلون في الاحلام التي تزينها الخيلة وتذهبها الالهواء . فتتمثل أمامهم ، اذ يسمعون القصص أو يجلسون اليوم أمام الشاشة البيضاء ، صورا مستغربة ، وصورا خلافة . ومن هذه الصور صورة بغداد في عهد العباسيين الاول . وحسب اللبيب الاشارة الى ما يولده الشغف بالخيال ، والتلذذ بالمحال من حب المبالغة والغلو ، حتى في النظر الى حقائق التاريخ ، وحقائق الحياة اليومية . فالمرح من هذا القبيل شاعر ، والشاعر مؤرخ ، والقصص مؤرخ وشاعر معا . بل هم ثلاثة أقانيم لشخص واحد عجب وكلهم مجمعون على ما كان من عظمة بغداد ومدنيتها . فقد كان فيها ، كما يقول المؤرخون ، عشرة آلاف حمام ، وثلاثون الف مسجد ! فاذا كان عدد سكان المدينة مليوني نفس ، كما جاء في التواريخ يكون لكل مائتي شخص حمام ، ولكل ستة وستين من السكان مسجد واحد . والمائتان يقيمون في ثلاثين بيتا ، والستة والستون في عشرة بيوت . فهل يُعقل ان يكون لكل ثلاثين بيتا حمام عمومي ولكل عشرة بيوت مسجد ؟

العربي يرى ولا يعد . وهو في التقدير ، اذا كان ما يراه كثير العدد ، يعول على الخيال دون العقل . وهالك المثل . اذا دخل اعرابي الى بغداد اليوم من الجهة الغربية يرى في ناحية الكرخ ، عند الجسر ، الى الجانبين ، عدداً من القهاوي . ثم يرى صفين آخرين في ناحية الرصافة كذلك عند الجسر ، بينه وبين شارع الرشيد ، واذا ما مشى في شارع الرشيد الى جامع مرجان يرى بين كل مائة متر واخرى جماعات من الناس يدخلون الاراكيل ويلعبون الطاولة والدومينو . فاذا سئل بعد ذلك ماذا رأى في بغداد يقول : القهاوي القهاوي في كل مكان . فيحدث عنه من يسمعه ويقول : ليس في بغداد غير القهاوي . فيحدث الثالث ويصفها بالمئات . فاذا سمعه المؤرخ يحدد المئات ، وقد يتجاوزها الى الالف او الالفين . . ولكن الشاعر يفضل عليها لفظة الالف لانها في الشعر اعذب من مائة ، والبلغ من الف . وعند ما يسمع القصصا الشاعر ، ويطلق بلفظ الحكايات ، فحدث عن قهاوي بغداد ولا حرج . كذلك تجميعنا الاحصاءات وقد بلغت عشرة آلاف من الحمامات ، وثلاثين الفاً من المساجد^(١) وعشرات الالف من القهاوي . وليس في بغداد اليوم ما يتجاوز الاربعمائة قهوة ، اكثرها في الشارع الجديد ، شارع الرشيد . وليس فيها من الجوامع اكثر من خمسين ، اصف اليها ضعف هذا العدد أو ضعفه من المساجد

ويأتي من الارقام . فسينبري لي غداً احد ارباب التاريخ المحققين المدققين ويونحني قائلاً : ان في بغداد خمسة وخمسين جامعاً واربعمائة وعشر قهوات . فينبري له محقق مدقق آخر ويقول : القهاوي هي ثلاثمائة وتسعون عدداً ، والجوامع تسعة واربعون . وتحتدم بعد ذلك المناقشة ، فيخرج من احد القهاوي جاحظها ليعدها . ويتبرع احد الائمة او المؤذنين باحصاء الجوامع والمساجد وعندئذ يتبين اننا كلنا في خطأ معيب ، وان كان الفرق ، صاعداً او نازلاً ، لا يتجاوز العشرة او العشرين . بيد ان ذلك في علم التاريخ ارتقاء يذكر . والفضل فيه لمن وجه السؤال ذات يوم الى احد الصيادين الذي كان يطبخ السمك المسقوف على شاطئ النهر ، تحت القهوة ، بالقرب من جسر مود الى جانب الكرخ . سألته : وهل تعرف كم ببغداد من القهاوي ؟ فأجاب : بقدر ما في دجلة من السمك . فقلت : وكم تظن عددها في طرف هذا الشارع ؟ فقال : كله قهاوي ، ولا يحصيها الا الله فرحت أعدها — أحصيها — فاذا هي ، من تمثال الملك فيصل الى الجسر ، تسع قهوات لا غير وبلي من الارقام . فقد يتعطل القونوغراف في احدى هذه القهاوي ، فيولي « ابناء الدومينو والشيخة » وجوههم شطر قهوة اخرى ، فونوغرافها حامر ، والحانة صياحة — كردية تركية مصرية — فيضطر صاحب القهوة المعطل فونوغرافها ان يقفل بابه ، ويودع أصحابه . او قد يجيء كردي فونوغراف جديد ، وينصبه تحت النخيل ، ويضع حوله طاولتين وديوانين من الخشب العادي

(١) عدد الجوامع التاريخية في القاهرة نحو خمسين . اصف اليها ضعف هذا العدد أو ضعفه من الجوامع الجديدة والمساجد . وفي مدينة نيويورك من الكنائس والمعابد الكبيرة ، المسيحية والاسرائيلية ، مائة وخمسون عدداً . وجميعها الكبيرة والصغيرة لا تتجاوز الثلاثمائة

المسوّس ، فيزداد عدد هذه القهاوي أو ينقص ، قبل ان يصدر هذا الكتاب قهوة واحدة أو قهوتين
أعوذ بالخيال من الأرقام . واعينك ، أيها القارئ العزيز منها . تعال اذن نعتصم بالخيال
الشعري . وعندي منه الآن ما لا ينكره العقل ، ولا ينفر منه التاريخ

هاك دجلة ، وهاك القفة فيه . تلك القفة التي صنعت بعد الطوفان في مرفأ أور الكلدانيين . وهي
اليوم ، كما كانت في زمن العباسيين على الاقل ، تصنع من الخوص ، وتطلى بالقار داخلاً وخارجاً .
فلو عاد الى هذا الوجود أحد نوتيي بغداد القديمة لكان يهمل للقفة ، ويحمد الله انها لا تزال
على شكلها الاول ، وان الف سنة لم تغير شيئاً فيها . وقد يكون النوتي البغدادي الذي يحرك مجذافها
اليوم من سلالة صياد الرشيد ، وقد يكون الجد كذلك لسلالة مقبله من الصيادين تستمر الف سنة
اخرى . فيجيء رحالة القرن الواحد والثلاثين ، ويقف فوق دجلة على جسر معلق من حديد ،
فيرى القفة ، ويعثر بعد ذلك على نسخة من هذا الكتاب ، فيستشهد مؤلفه على الف سنة في
الاقل من عمرها

وما هذا كل ما في القفة . فبين صاحبها يحذف من حين الى حين ، ليحفظ خط سيرها
في مجرى النهر ، يبدو لك كنز آخر من الكنوز التي لا تمسها يد الفناء ، ولا تعبت بها يد التغيير .
هناك ، على وجه دجلة ، في صباح يوم شمس كريمة ، ترى اللؤلؤ في نقط الماء التي تتساقط من
المجذاف ، وهو يرتفع فوق الموجة ، وترى حول الموجة ، وهو يغطس فيها ، ذوب اللجين وقد نخله
الذهب الوهاج . فلو عاد الى هذا الوجود شاعر من شعراء نينوه ، او بنت من بنات بابل ، او كاهن
من كهان أور لهتلل — لهللوا جميعاً — لهذه الشمس الشارقة ، المقيمة على عهدنا ، الثابتة في خيرها ،
النائرة على دجلة ، حتى حول مجذاف « القفاف » لؤلؤ الذكريات ، وذهب الآمال — الذكريات
والآمال التي تنعشنا اليوم وتحيينا ، كما أنعشت اهل أور ، وابناء بابل وآشور

وفي هذه الأرض المنبسطة ارض العراق تجيء الشمس في الشروق والغروب لطيفة النور ،
ناعمة الوهج ، لا تحمل الكنانة ، كما يصورها الشعراء ، لتطارد النجوم ، وترمي بسهامها
القباب والابراج

هي شمس الأم تحضن الارض في الصباح ، وتتغلغل حباً وحنيناً في قلب العراق وابناءه
هي شمس الفنان ، تلمس اللازورد في قباب الجوامع ، فيستحيل ياقوتاً اصفر ، وتكسو المآذن
البيض بلجل من الدمقس المعصفر

هي شمس المحسن الاعظم ، تسير فوق السطوح المسورة ، ولا تكشف سرها ، وتقف فوق
الجفون النائمة ، فتبشرها بعودة الحياة
ساعة في الصباح من السحر المبرور
ساعة من نعيم الحرارة والنور

أيقال : اكتشف الشيء ؟

للمعلمة الأستاذة انسناسي الكرملي

عضو مجمع اللغة العربية الملكي

١ — مقدمة البحث

كان الكُتَّاب — قبل نحو مائة سنة خلت — يستعملون في كتاباتهم « اكتشف الشيء » بمعنى وجده ووقف عليه وكان مجهولاً او خفياً على اغلب الناس . ثم جاء بعض حملة اليراع من ابناء وادي النيل وقالوا : هذم الكلمة لا وجود لها في معاجم اللغة ، فتجنبها المتفحصون ونبذوها نبذ النواة ، واذا جاءت على اسلة قلم احد الادباء ، رموه بالجهل واستعمال كلام المولدين او العوام الذين لا يعرفون من الكلام الصحيح الفصيح شيئاً مذكوراً

٢ — فصحاء الكتاب الذين استعملوها

اشتهرت هذه اللفظة « اكتشف الشيء » في القرن الماضي حتى استعملها الشيخ السيد ابراهيم ابن علي الاحدب صاحب فرائد اللال ، والشيخ يوسف الاسير والشيخ الجليل فارس الشدياق اللغوي الشهير والشيخ ناصيف اليازجي وابناه ابراهيم و خليل والمعلم بطرس البستاني وابنه سليم وغيرها من البستانيين ، الى كتاب آخرين لا يحصى عددهم ومن بينهم الدكتور يعقوب صرُوف ولا يزال يتخذها فريق من حضنة العلم وحملة اليراعة الفصيحة الى عهدنا هذا . وكان ابراهيم اليازجي ممن استعملها في مجلته الضياء الى آخر سنة منها اي الى سنة وفاته . وليس الشيخ ابراهيم ممن لا يعتد بكلامه ، بل هو الحجة العظمى والثبت الأكبر

والمعلم بطرس البستاني ذكرها في ديوانه (محيط المحيط) اذ يقول : « اكتشف الشيء بمعنى كشفه . ومنه الاكتشافات لما يكشف من الامور الطبيعية والصناعية » . ولعلك تقول : ان البستاني ليس بحجة وهو كثيراً ما أخطأ في محيطه وادخل كلماتاً عاميةً واعتبره فصيحاً ووضع الفاظاً لا صحة لها ولا وجود . — قلنا : « ونحن ايضا على رأيك . لكن اذا قال شيئاً ووافقه عليه غيره اصبح حجة . وهذه الكلمة استعملها فصحاء الكتبة في القرن الماضي ، اذن لا بد من استعمالها وعدّها مولدة اللم نقل فصيحة »

٣ - أنكرها ثم استعمالها

ومن أنكرها المرحوم اسعد خليل داغر في كتابه (تذكرة الكاتب) فقد قال في ص ٢٦ منه ما هذا نصه : « وما يجب على المجمع ان يوجه التفاتهُ اليه هو ^(١) الكلمات الكثيرة المستعملة الآن في غير ما وضعت له . وليس في كتب اللغة ما يُسَجَّوَرُ استعمالها هذا ، الا على ضعف وتكلف . ولكنها شاعت وذاعت حتى بين بلغاء الكتّاب وليس من السهل ان يستبدل بها كلمات اخرى . فنها ٠٠٠ الافعال « تفرج » و « تطوّر » و « اكتشف » وغيرها اه .

ومع انكاره هذا الفعل ووضع « كشف » في مكانه (راجع ص ١١٣) يقول في ص ٢٣ : ... « وما يجد كل يوم من المكتشفات والمخترعات اه »

٤ - ما وضع في مكان اكتشف

لما اطلع بعضهم على انكار استعمال « اكتشف » لعدم وجوده في دواوين اللغة ، اتخذوا في مكانه « استكشف » وهذه لا تؤدي ابدأ معنى اختها . فغنى « استكشف » طاب او سأل ان يكشف له عنه . فأين هذا من ذلك ، ولهذا اصاب صاحب تذكرة الكاتب في قوله : « ويستعملون استكشف بمعنى كشف فيقولون : « يتصرفون في استكشافها والكلام ^(٢) عن الآثار المصرية والصواب كشفها » اه .

لكننا نقول ان كشف واستكشف لا يحويان معنى اكتشف ولا يؤديان معناه الا ببعض تكلف . اذ في معنى الاكتشاف شيء لا يرى في اخويه . فلاكتشاف يكون من بعد ان يزاول الباحث كشف الخفي عنه ، فيبلغه بعد العناء والمعالجة . وهذا سر استعمال الكتبة له وعدم اكتفائهم بالفعليين السابقين . فقد خصصوا « الكشف » بالأمور المادية المرئية و « اكتشف » بالامور العلمية والطبيعية والصناعية

(١) قوله « هو » بعد ان قال : وما يجب على المجمع ... هو الكلمات الكثيرة ، زائد لا محل لها هنا والافصح حذفها كما لا يخفى

(٢) قوله « والكلام عن الآثار » غير فصيح ، لانه يقال : تكلم عن فلان أو عن كذا ، اذا كان وكلام عنه » أو مدافعا عنه « أما اذا كان الكلام بمعنى مجرد القول فيقال : « والكلام على ... » أو « والكلام في ... » ونحن نذكر شواهد على كل من هذه الاستعمالات الثلاثة . قال الجاحظ (في الفصول المختارة في حاشية الكامل للمبرد ١ : ١٩٥) : « الذين لا يتكلمون عن الكتب المدونة » — وقال ابن النديم الوراق في كتابه الفهرست (ص ٧ من طبعة الافرنج) : « فتكلم عن رسومه وقوانينه » اه — وقال في تاج العروس في مادة (س ل ع) : « ثم رأيت العلامة الشيخ عبد القادر بن عمر البنداري قد تكلم على البيت الذي أنشده الجوهري » وشواهد تكلم فيه ما جاء في لسان العرب في مادة (ك ل م) : « وكان الكلام في هذا الاتساع اما هو محمول على القول

وشواهد تكلم عنه ما ورد في صحاح الجوهري ومثله في كتاب العين لليث : « عبرت عن فلان تكلمت عنه » . وفي المصباح : « دره عن القوم : اذا تكلم عنهم ودفع » — وفي التاج : « مدره القوم . . . المتكلم عنهم » الى غير هذه الشواهد وهي لا تكاد تحصى لتدفق سيلها

٥ — رأي اللغوي فارس الشدياق في تأويل اكتشف

لاحظ الكتاب منذ بدء استعمالهم « اكتشف » ان فيها بعض التأويل . قال صاحب الجاسوس على القاموس ص ٦١٩ : « اكتشفت لزوجها بالغت في الكشف له » . وعندي ان المفعول هنا محذوف تقديره : « نفسها » وان الزوج مثال . وهذا الحرف ليس في الصحاح ولا التهذيب ولا المحكم « اه كلام الفارس اللغوي

وانا ازيد على ذلك ان صاحب الجاسوس مصيب في قوله . والدليل ان اكتشف ورد هنا للتمثيل والتنظير لا غير ، اذ قد ورد مستعملاً لغير النساء . قال الطبري في تاريخه الكبير (١ : ١٣١٦ من طبعة اربعة) ما هذا ثقلاً بحروفه في حوادث السنة الثانية للهجرة (فتكون الكلمة معروفة في عهد الجاهلية وليست خاصة بالنساء) : « فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ . واعمره ! واعمره ! فحميت الحرب ... »

وكان الاقدمون من السلف يفعلون مثل ذلك في المصيبة العظمى او لبث التحمس في صدور الشهود . وراجع في كتب اللغة المطولة معنى شوّر به ، ونجزيء بالاشارة اليه عن ايراد النصوص حياً للاختصار

اذن اصاب فارس الشدياق في اعتبار اكتشف من الافعال المتعدية بعد حذف المفعول به . ولا سيما انه ادخله في احصاء امثلة « افعل » المتعدي

٦ — رأي الشيخ عبد القادر المغربي

كان الامير شكيب ارسلان استفتى الاستاذ المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي التي تنشر في دمشق في سنتها ١٣ : ١٤٠ في الفعل اكتشف اذ قال (ص ١٣٩) : « يا أخي ، لفظه (اكتشف) لا توجد في كتب اللغة ، افرايتها انت في مكان ؟ ومنلها ... » فأجاب الاستاذ الكبير المغربي بقوله (ص ١٤٠) ما هذا نصابه بحروفه :

« (اكتشف — جاء في كتب اللغة ان للاكتشاف معنى غير المعنى الذي يستعمله فيه الكتاب المعاصرون . فالأكتشاف في اللغة ان تبالغ المرأة في الكشف عن نفسها في خلوتها مع زوجها . فهو فعل لازم . اما اكتشف في استعمالنا اليوم فتعدي . تقول : اكتشف كولموس بلاد اميركا سنة كذا . واكتشف المخترع الفلاني البارود سنة كذا . واذا اعتبرنا لفظ (المرأة) في تفسير الاكتشاف قيداً غير لازم ، بل كما يقال : اكتشفت المرأة لزوجها ، تقول : اكتشف الرجل للخوض في النهر ، واكتشف المريض للطبيب على معنى انهما بالغتا في حسر ثيابهما . وفي هذا الحسر ظهور ما كان خافياً — اذا اعتبرنا هذا كان قولنا اليوم (اكتشف) صحيحاً فصيحاً بشرط ان نستعمله لازماً قاصراً على فاعله ،

فتقول : (اكتشف البارود سنة كذا) برفع بارود على الفاعلية ، اي ان البارود ظهر سره للناس تمام الظهور بعد ان كان خافياً . وكذا (اكتشفت بلاد اميركا) و(اكتشف سر المسألة) وهكذا ولكن لا اظن ان الناس اليوم يقدرّون على هذا الاستعمال بعد ان فشا على لسانهم استعمال (اكتشف) متعدياً . وعلى هذا يكون فعل اكتشف متعدّي (مولدًا) ، هدي اليه المعاصرون بنابل من ذوقهم . فهو مثل (تفرج) و(تنزه) و(احتار) و(خابر) وكلها من الصنف الرابع (من الاصناف السبعة للكلمات غير القاموسية) وهذا الصنف اُفتي بجواز استعماله خمسة عشر عضواً من اعضاء المجمع وانكر جوازه ثلاثة منهم . راجع مجلة المجمع (مجلد ١٢ ص ٥٣٠) فالفتوى اذن على استعمال فعل الاكتشاف . الى هنا كلام الاستاذ المغربي

وزاد على ما تقدم ما يأتي وهو نتيجة البحث (في ص ١٤٦) : « (اكتشف) كلمة مولدة يجوز استعمالها عملاً برأي خمسة عشر من علماء اللغة والادب المعاصرين » اه كل ما ورد في هذا المعنى في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية

٧ — انا والدكتور يعقوب صرّوف

في ٢١ (حزيران) يونيو من سنة ١٩٢٥ زرت الدكتور يعقوب صرّوف في مكتب المقتطف فقال لي : ان فريقاً من الادباء وحملّة الافلام يأخذون عليّ استعمال (احترم) و(اكتشف) في مقالاتي ، فقلت لهم : اني اراجع محيط المحيط من كتب اللغة لسهولة ظفري بضالتي عند انشادي اياها فيه . والكلمتان مدونتان في هذا المعجم . وكانوا يقولون لي : محيط المحيط غير حجة في اللغة . فالكلمات غير موجودتين في القاموس ولا في لسان العرب ولا في تاج العروس ولا اساس البلاغة الى غيرها من معاجم الاقدمين والمحدثين كالأوقيانوس ومنتهى الارب في لغة العرب الى آخر ما هناك ثم قال لي : وما رأيك في هاتين المفردتين ؟ . فقلت له : انهما من افصح كلام العرب ولا غبار عليهما . فقال لي : واين تريان ؟ قلت : اما (احترم) فمدونة في اساس البلاغة في غير مظنتها لكن في مادة (م ل ح) قال : «الملح : الحرمة وان معناه انه يحترمك ما دام جالساً معك ، فاذا قام عنك رفض الحرمة » . وذكر الزمخشري ايضاً (احترم) في مقدمة كتاب الادب في ص ٢٣٩ وجاء في المصباح : الحرمة المهابة وهذه اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق » اه — وقال البوصيري : حاشاه ان يحرم الراجي مكارمه او يرجع الجار منه غير تحترم

وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (٢ : ٢٠) «ولولا ان اباه الذي كان بيتها يحترم ويصان لاجله» الى غير ذلك من النصوص الكثيرة فلما رأى الدكتور صرّوف جميع هذه الشواهد قال : «حسبي شهادة الزمخشري في الاساس وهو

اعظم الحجج . ثم قال بقي علينا ان نثبت وجود «اكتشف» عند الفصحاء . فقلت له : « يا ايها الدكتور ، ايدن لي ان لا اذكر لك شواهد على ذلك الا بعد عشر سنوات ، لا ادع الكتاب ينكرونها ويتألبون على هذا الانكار ، الى ان يقوم احد اللغويين المصريين ليثبت لهم صحته اما اذا لم يجيء احد ليوضح لهم هذه الحقيقة فآتي حينئذ ببراھيني المبيّنة فصاحة الكلمة » . اما الآن وقد مضى على حديثي نحو تسع سنوات ودخلنا في العاشرة ، وقد انتقل الدكتور صرّوف الى دار البقاء فاجيء بما يؤيد صحة استعمال (اكتشف) التي لا يقوم مقامها (كشف) ولا (استكشف) ولا اي فعل كان

٨ — فصاحة اكتشف الشيء

اكتشف الشيء من افصح كلام العرب ومن اقدمه اذ هو من باب المجاز فعني اكتشف الشيء المهجوم على الحقيقة او على الشيء الخفي والقاحل وانتاجه وإنتاجه وبثه في العالم للانتفاع به . وهو من قول السلف : اكتشف الكبش النعجة نزا عليها » . (اه عن اللسان في آخر مادة كشف) وراجع أيضاً القاموس وتاج العروس وسائر المعاجم المطولة كالقادوس والاقويانوس والبابوس وكتاب العين ومعيار اللغة الى غيرها

وقد قال صاحب الجاسوس لما رأى كثيرين من اللغويين يقدمون المجاز على الحقيقة مع ان المجاز من اقوى دعائم اللغة (في ص ١١ من جاسوسه) : «وما احسبه من الخلل أيضاً تقديم المجاز على الحقيقة او العدول عن تفسير الالفاظ بحسب أصل وضعها ... » وقال في ص ٦٢ : « ان المصنف (أي صاحب القاموس) كثيراً ما يهمل الحقيقة ويدكر المجاز الذي لم تعرفه العرب » اه — قلنا : لان من المجاز ما عرفه السلف ومنه ما لم تعرفه والشدياق يشير هنا الى هذا الاخير وقال الزمخشري في كتابه أساس البلاغة في مادة (اس ر) : « ومن المجاز : اسروه ، ويسروا ماله . وتياسرت الاهواء قلبه . قال ذو الرمة :

بتفريق أظعان تياسرت قلبه وخان العصا من عاجل البين قاذح

وهو من فصيح الكلام وعاليه وما فصحة وأعلاه الا الاستعارة اه قلنا : انظر كيف انه قال في الاول : « ومن المجاز . . . » ثم قال في الآخر : « وما فصحة وأعلاه الا الاستعارة » فاعتبر المجاز استعارة وبالعكس وذلك من باب التوسع ولأن المجاز والاستعارة من مصدر واحد . وكذلك يتوسع فيهما أبناء الغرب

ونحن أيضاً نقول : ان اكتشف الشيء (والفعل متعد) ما فصحة وأعلاه الا المجاز او الاستعارة . وبهذا القدر ما يثبت ان لغويي المائة الماضية من مسلمين ونصارى كانوا قد وقفوا على أسرار استعمال الكلمة في الاكتشافات العلمية والذين يمنعونها لليوم يختلف ذوقهم عن ذوق العرب الصميم ، وعلم ربك فوق كل ذي علم

سيرة ولز بقلمه

Experiment in Autobiography by H. G. Wells.

لمعقوب فام

عندما تقرأ إحدى السير تشعر بأحدى عاطفتين ، أما ان الكاتب متحيز لصاحب السيرة بحبه الحب كله ويرى انه من خيرة الناس جميعاً ، قد ارتقى الى الذروة برغم الاحوال التي كانت تحيط به ، وبرغم النظم الاجتماعية التي كانت تقيم الصعاب في وجهه وتضطهده اضطهاداً وتنغص عليه عيشه اما انك تشعر بهذا او تشعر ان الكاتب متحامل على صاحب السيرة يظن به السوء ويترجم نوازع نفسه على غير ما يمكن ان تترجم به ، ويرى ان تصرفاته في بعض مراحل الحياة او في كثير منها تصرفات معيبة ذلك لأن فلسفة الكاتب ومنازعه النفسية ومثله الاجتماعية والسياسية قد تغار فلسفة صاحب السيرة ومنازعه ومثله بحيث لو كتبت سيرة موسوليني مثلاً لرأيت العجب ، فبعض الكتاب يحمل عليه وبعضهم يدافع عنه ، وبالطبع يختلف مراتب الكتاب في الهجوم والدفاع فمنهم من يقسو كل القسوة ومنهم من يتلطف في نقده ولكنه ينقد ويذم على كل حال

قرأت مؤخراً أربع تراجم ، واحدة عن ماري الطوانيت ، وواحدة عن مصطفى كمال ، والثالثة عن فورد ، والرابعة عن ه. ج. ولز ، وهذه السير الأربع تدعم وجهة نظري التي تقدمت بها الآن ، فسيرة ماري الطوانيت عبارة عن دفاع مجيد شائق عن هذه السيدة البائسة خرجت منه اعطف عليها وارى ان الزمن ظلمها بوضعها في المكان الذي ولدت له ، واما سيرة مصطفى كمال فهي عبارة عن اهتمام للرجل بأنه اناني ممعن في الانانية مهتك مدمن السكر ، وكل ما له من الفضائل انه يحب تركيا باخلاص ، وهاتان السيرتان كتبهما شخصان بعيدان عن صاحبي السيرة فكنت تستطيع ان ترى ميول الكاتب ومشاعره وتلمسها اما فورد فقد كتب السيرة بنفسه ، وليست في الواقع سيرته هو وانما هي تاريخ حياة مصانعه واغراضها ونظمها . وفي سيرة ولز التي كتبها عن نفسه لا تستطيع ان تتبين تلك المنازع الحادة العنيفة التي سبق ان ذكرناها فليست هي اهتمام وتعنيف لولز لانه هو الذي كتبها ولا يعقل ان يكتبها ليقول للناس « انظروا يا ناس ما بلغت من الرذاعة والشر » وليست هي مدح على طول الخط لانه لا يعقل ان رجلاً مثقفاً مثل ولز يكتب الفصول الطوال في مدح نفسه ، وانما هي سرد لحياته سرداً هادئاً متتداً ، بعيداً عن المنازع القوية العنيفة ، لا بل هي سرد لتطور شخصيته وعقليته وكيف تدرجتا من حال الى حال من دون ان يتورط في التظاهر بالبطولة او بالتضحية

ولد هربرت جورج ولز في سنة ١٨٦٦ في هاي ستريت بروملي بمقاطعة كنت من والدين فقيرين

من طبقة الخدم الراقية ، اعني ان امه كانت رئيسة خادمت احدى القصور في يوم من الايام ، وكان ابوه صاحب متجر نغار اسمه Atlas House لم يكن يدر عليهم كفايتهم من القوت والكساء ، وكانت امه امرأة متدينة متعبدة مثلها الأعلى المسيح اولاً ثم رسله وكتبه ثم الملكة فكتوريا « الملكة العزيزة الصغيرة » . وكانت الملكة العزيزة الصغيرة هذه على لسان امه صباح مساء ، فالملكة حضرت والملكة ذهبت والملكة عملت ، حتى اشمازت نفس هربرت جورج ولز ونبتت في قرارات نفسه بذرة الكراهية الملكية ، والى هذا يعزو ولز نفسه تمسكه بالجمهورية ومهاجمته للملكية في جميع اطوار حياته

كانت أمه متدينة وتلح على ابنها هربرت ان يتناول بعض الجرات الدينية ، فكانت تجعله يصلي ، ويحفظ عن ظهر قلب أصول العقائد المسيحية ، ثم ألحقت عليه بالمسائل الدينية الخافاً جعله يهرب بمشاعره بعيداً عن هذا العدوان . كان في الجسم جالساً أمامها يستمع لها تصب على رأسه هذه العقائد صباً وكان من نتيجة هذا أيضاً أنه بعيد عن الاديان والعقائد بعداً كبيراً

كان يرى أمه تجاهد جهاد الأبطال في تدبير الشؤون المادية للمنزل ، من دون ان يكون لهذا الجهاد ، الأثر المادي المحسوس ، ثم كانت تصلي لالهها حتى ييسر أحوال المعيشة لهم ولم يكن الله يستمع لهذا الدعاء ، وكان ولز يسجل هذا في ثنايا عقله تسجيلاً ليحاسب الله عليه حساباً عسيراً عند ما يبلغ أشده ، ولكن الحرارة الدينية فترت نوعاً في والدته عند ما شاء الله ان يأخذ أختاً لولز ، وسجل ولز في نفسه هذا الفتور عند والدته دون ان يتحدث به

ثم كسرت ساق هربرت جورج ولز وهو بعد طفل . وكانت هذه الحادثة بدء حياة ولز الفكرية وهو يشكر طالعه أن كسرت ساقه ، (وقد يكون لامه رأي بخلاف هذا) فقد تمدد على كرسي طويل يدفعونه من مكان لمكان وهو منبسط عليه لا يتحرك ، وقضى أياماً طويلاً على هذه الحالة بعيداً عن الحركة والنشاط البدني ، فكان أبوه يحضر له الكتب من مكتبة البلدية ليقرأ قتلاً الوقت . ولم يكن الوالد يدري بالطبع ما هو فاعل ، اذ أنه في الواقع قد وضع الاسس التي سوف تبنى عليها حياة رجل من أعظم مفكري العالم ، كان من نتيجة هذه المطالعات البسيطة ان أخذت نفسيته تتجه الى المعرفة والى الكتب وصار يشعر ان خير ما تستطيه نفسه هو ان يقرأ من غير انقطاع ، ونشأت بينه وبين الكتب صلة قوية نمت بنموه واتسعت باتساع عقله

وفي دور آخر من أدوار حياته نهشت احدى كليتيه وهو يلعب بالكرة . ثم أصيب بذات الرئة فمكف على كتبه وانزوى في سريره . وولز شاكر لهذين الحادثين لانهما أوجدا الصلة بينه وبين الكتب تلك الصلة التي وضعته حيث هو الآن في المقام الاول من المفكرين

كان فقيراً جداً ، وكانت أمه كسول أم حريصة متكبرة تمنعه ان يخلع سترته أمام الصبيان في المدرسة لئلا تنكشف تحتها الملابس الداخلية المهلهلة المرقعة . كانت هذه الملابس الداخلية نظيفة حقاً ولكن احترام النفس يقتضي عدم اظهار الناس عليها

لا يمكن ان تمر كل هذه التقديرات العقلية والاسرار النفسية دون ان تترك اثرها في الطفل. فأقل ما فيها أنها لا تترك الطفل على سجيته ، فلا يشعر معها بالحرية والانطلاق والبراءة في الدوافع والنوازع النفسية ، لان من عناصر هذه الحالة ان الطفل يحيا حياتين احداها لنفسه ولأبيه وأبيه والاخرى للدنيا الموضوعية ، للناس وللأوضاع الاجتماعية . هناك ناحية من حياته يخجل ان تظهر للناس على حالتها دون مداراة او مداورة . ثم عندما يستريب الناس في تصرفاته لا يستطيع ان يتقدم بالاسباب الاصلية لهذه التصرفات ، فيضطر ان يداري ويداور ويتخاثر ، او يعرض نفسه للشك والريبة . لست أنكر ان كلاً منا يحيا حياتين احداها خاصة والاخرى عامة ، ولكن الأحوال التي تضطر طفلاً في الخامسة الى العاشرة ان يعيش على هذا الوضع ، أحوال قاسية على نفسية الطفل لا بد أن تترك أثرها المستديم في حياته الروحية والعقلية والعاطفية

عجزت عائلة هربرت جورج ولز عن ان تقوم بمطالبه المدرسية ، واضطرت لاستغلاله اقتصادياً ليعين العائلة في كفاحها للحياة والعيش . فأدخلته أمه صبيّاً في متجر للأقمشة ، لينظف الدكان ، ويرتب البضاعة ويناولها للبائعين لعرضها على الزبائن ، يحاول جهده ان يوطن نفسه على هذه الحياة ولكنها حياة لا تروق أمثال الصبي هربرت ، انه يفكر ويغرم بالكتب والمطالعة ويكره هذه الحياة التي اضطر إليها اضطراراً ، فينشأ نزاع حاد في نفسه لا قبل له بتسكين نفسه أو بترويضها على الخضوع لنوع الحياة الذي وجد فيه ، فيهرب ويذهب الى المدرسة ، ويكافح ويشغل ليلاً ونهاراً وتوابع الظروف فينجح

قلت في مقدمة هذا الكلام ان ولز لا يدافع عن نفسه ولا هو معنيٌّ باظهار نواحي العظمة في نفسه ، وانما هو يسرد الاطوار العقلية والنفسية التي مرّ فيها ويترك للقارئ ان يخرج بالنتيجة التي تروقه ، ومن المسائل التي تناولها دون تعليق لتبرير نفسه او تعنيفها ، مسألة طلاقه من زوجته الاولى ، ابنة خاله . معروف للجميع الآن ان ولز من المتطرفين في التفكير وبخاصة في العلاقات الجنسية كما يتبين من كتاباته الكثيرة ، ولقد اتهم بالاباحية في الاخلاق وهو جرم في نياتهِ واغراضه ، وكان منطق الحوادث مما يعين مهاجميه وناقديه ، ذلك لأنه ترك زوجته والنسب بامرأة أخرى وعاش معها بعيداً عن زوجته في منزل مستقل ، ولا يلام انساناً بالطبع يزعم ان ولز اباحي لأن الحوادث شاهد على هذا الزعم

انسان يدافع عن الحرية الجنسية ، ويدعو الناس الى التحرر من قيود الاجتماع في الشؤون العائلية وفي نفس الوقت يترك امرأته ليلتصق باحدى الطالبات اللائي كنَّ يدرسن عليه في المدرسة — يصعب على الناس الا يهتموه في نياتهِ واغراضه ، والناس يحكمون بالظواهر وبالتصرفات الواقعية ويستقرئون النيات والاغراض من السلوك . حقاً ان هذا الاستقراء خطأ ، وان الصواب ان تستقرأ التصرفات من النيات والدوافع النفسية ، ولكن هذه تخفى على الجماهير في معظم الحالات اوفي كلها ،

ولا تظهر إلا للسكولوجيين الباحثين واذن فكانت لهم التي تكال ولن أسس تقوم عليها في منطق عامة الناس ، وكان ولن اباحياً هداماً للأخلاق والفضائل ولولا ان الانكليز متعصبون لحرية الرأي بقدرتها من قديم لما نجح ولن من السجن والتشريد

الواقع ان هربرت جورج ولن لم يكن اباحياً ثاراً على الاخلاق والفضائل ، لم يزعم هو ذلك لانه لم يكن بسبيل الدفاع عن نفسه ، وانما يقوله كل من يقرأ سيرة حياته دون تعنت او زمت . ترك ولن زوجته الاولى والتصق بامرأة اخرى ، ثم جى به الى القضاء وتطلق من زوجته الاولى ، ومع ذلك فقد احاطها بعنايته كل حياتها وقام بجمع مطالبيها ، وابنتى لها بيتاً بعد ان تزوجت من غيره ، ثم تكفل بها بعد وفاة زوجها ، ثم زوج خليلته طالما اصبحت حراً طليقاً وعاش معها على اتم وفاق وانجبت منها اولاداً أحدهما الاستاذ ولن استاذ علم الاحياء Biology ومعينه في انتاج بعض اعماله العلمية الكبيرة سرد ولن هذه الوقائع سرداً بسيطاً دون تعليق او تعقيب ودون ان يدفع عن نفسه شيئاً من الهم التي تكال له بالحق وبالباطل ، لا بل لم يسردها بالتفصيل لانه خشي على ما يظهر ان يفيض فيها فيودي بالمسحة العلمية لكتابته وانما ترك للقارئ حريته فيقرأ السطور ويخرج بالنتيجة التي تروقه ، دون ايجاء او تأثير ، ودون ان يهتم بتأثير نفسه او بتبرئتها مما لحقها . فلن شاء ان يتهمه بالاباحية ولمن شاء ان يبرئه منها ولن في الحالين قانع راض . ومن يقرأ سيرة ولن يلاحظ ظاهرة غريبة ، وهي ان كل كتاباته الادبية مؤسسة على قطع من اختباره في الحياة ، فكان عند ما يعرف شخصية ما ينقلها من الحياة الى الادب في قصة يحوكم اطرافها في خياله يدعو فيها الى نوع من الفلسفة التي يدعو اليها في حياته الواقعية ، وبعبارة اخرى كان يأخذ شخصياته من الحياة ويضع على السنتها فلسفته في الاقتصاد والاجتماع ثم يطلقها تبشر برأيه بين جمهور القراء ، فهو لا يعنى بتزويق اللفظ ، او حبك الجمل . لم يكن يعنى بالقلب الادبي او بالمقاييس الادبية في كتاباته وانما يحرص على ان يكون علمياً في اعماله الادبية ، فهو علمي النزعة بعيد عن الفن الخالص كما يفهمه ارباب الفن ، فقد تخيل الطيارات والسفر بها قبل ان تخرج ، وتخيل الدبابات وعاش الى ان رآها تعمل مع الجيوش في الحرب العظمى ، ثم كتب عن القمر وعن المريخ وعن الارض بعد الوف السنين ، كل هذا كتبه بطريقة علمية في قالب القصص

وفي هذه السيرة أيضاً تقرأ رأي ولن في طائفة كبيرة من الادباء والعلماء ورجال السياسة الذين عاصروه ، تقرأ عن لنين وستالين وروزفلت وجراي وبلفور ومكسيم جوركي وكبلنج وشو ورسل ، وهو جريء في التحدث عن هؤلاء ، لا يداريهم ولا يتملقهم ، ولا يحمل عليهم من غير ضرورة أو مسوغ ، وانما هو يسرد شئونه معهم في هدوء ووقار ، وتخرج أنت من هذا السرد برأي في كل منهم

بالطبع لا أستطيع ان ألخص سيرة ولن ولا أظن أن أحداً يستطيع ذلك وانما كل ما يمكن أن يضطلع به انسان هو أن يستعرض بعض نواحي هذه السيرة كما استعرضتها أنا ، ثم يعلق عليها كما علقت ولا يغني هذا عن قراءة سيرته أي غناء

مسجد المنصور ببغداد

بقلم جناب الكبتن كرسويل استاذ العمارة الاسلامية بالجامعة المصرية

نقله الى العربية السيد محمد رجب بوزارة المعارف

﴿ وصف المسجد ﴾ ليس لدينا وصف لهذا المسجد الا ما ورد في كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١) وقد جاء فيه : —

« كان ابو جعفر المنصور جعل المسجد الجامع بالمدينة ملاصقاً قصره المعروف بقصر الذهب وهو الصحن العتيق . وبناء بالدين والطين ومساحته على ما اخبرنا محمد بن علي الوراق واحمد بن علي المحتسب قالوا اخبرنا محمد بن جعفر النحوي اخبرنا الحسن بن محمد السكوني اخبرنا محمد بن خلف قال وكانت مساحة قصر المنصور اربعمائة ذراع في اربعمائة ذراع ومساحة المسجد الاول مائتين في مائتين واساطين الخشب في المسجد يعني كل اسطوانة قطعتين (٢) معقبتين بالعقب (٣) والغراء وضبات الحديد الاخمساً اوستاً عند المنارة فإن في كل اسطوانة قطعاً ملفقة مدورة من خشب الاساطين (٤) . قال محمد بن خلف قال بن الاعرابي تحتاج القبلة الى ان تحرف الى باب البصرة قليلاً وان قبلة الرصافة اصوب منها (٥) . فلم يزل المسجد الجامع (٦) بالمدينة على حاله الى وقت هرون الرشيد فأمر هرون بنقضه

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبعة Salmon النص العربي ص ٥٩ — ٦١ وترجمته الفرنسية لسالمون ص ١٤٥ — ٧ وترجمته الالمانية لهرتسفلد في كتاب البعثة الالمانية ج ٢ ص ١٣٥ — ٧ و Streck ص ٦٣ — ٤ وبغداد تأليف لسترينج Le Strange ص ٣٣ — ٧

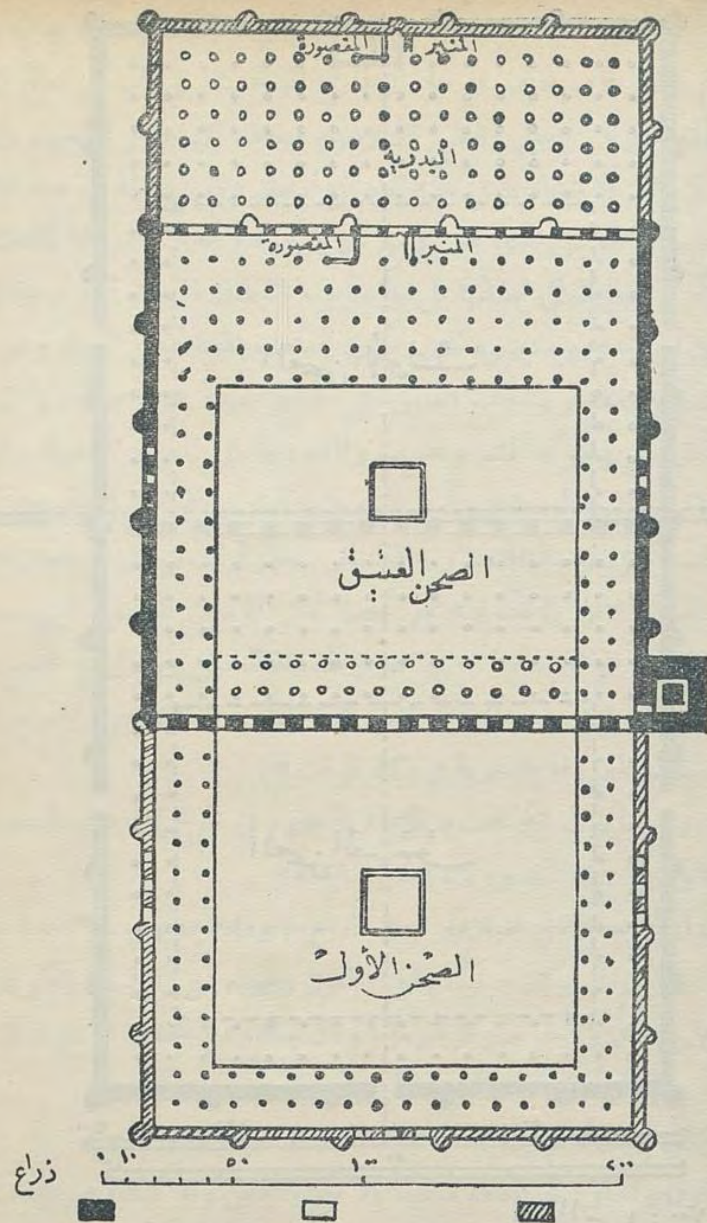
(٢) يرى هرتسفلد ان معنى قوله (قطعتين معقبتين بالعقب) ان القطعتين متصلتان احدهما بالآخرى من طرفيها اي ان العمود كان يتكون من قطعتين احدهما فوق الاخرى . وهناك امثلة لذلك في الاعمدة الرخامية بسر من رأى فان كلا منهما يتكون من ثلاث قطع

(٣) فسر لين Lane قوله بالعقب بأنه الاوتار العضلية التي تصنع منها اوتار الاقواس

(٤) حذف سترك Streck (ص ٦٣) هذه العبارة الغامضة . وفسرها لسترينج Le Strange في كتابه بغداد ص ٣٤ بقوله « كانت اكثر الاعمدة مكونة من قطعتين او اكثر من الخشب متصلتين احدهما بالآخرى من طرفيها بالغراء وضبات الحديد الاربعة او ستة اعمدة وهي التي كانت قريبة من المئذنة فان كلا منها كان يتكون من جذع واحد من جذوع الشجر وكانت جميع الاعمدة تعلوها تيجان مستديرة من الخشب » . ويقول هرتسفلد « ان الفرق بين الاعمدة التي كانت عند المنارة والاعمدة الاخرى هي ان الاولى كانت تتكون من قطعة واحدة من الخشب بينما يتكون كل عمود من الاعمدة الاخرى من قطعتين » . وان قوله (في كل اسطوانة قطعاً ملفقة مدورة من خشب الاساطين) هو وصف الاعمدة جميعها . وانه يفهم من قوله « ملفقة الخ » انه يريد تاج العمود . وان هذه التيجان كانت مكونة من عدة قطع متصلة بعضها ببعض كما يشاهد ذلك الآن في التيجان الخشبية الحديثة ببلاد ما بين النهرين وفارس

(٥) انظر أيضاً الطبري جزء ٣ ص ٣٢٢ والمقدسي ص ١٢١ سطر ٦٧ وجاء في ابن الاثير جزء ٥ ص ٤٣٩ سطر ٧ — ١٠ ان انحراف القبلة نشأ من بناء المسجد ملاصقاً للقصر بعد ان تم بناء القصر « وكان القصر غير مستقيم على القبلة »

(٦) البناء الذي خط مسجد المنصور هو الحجاج بن ارطاة . راجع الطبري جزء ٣ ص ٣٢١ ومعجم ياقوت جزء اول ص ٦٨١ سطر ١١ وابن الاثير جزء ٥ ص ٤٣٩ سطر ٧



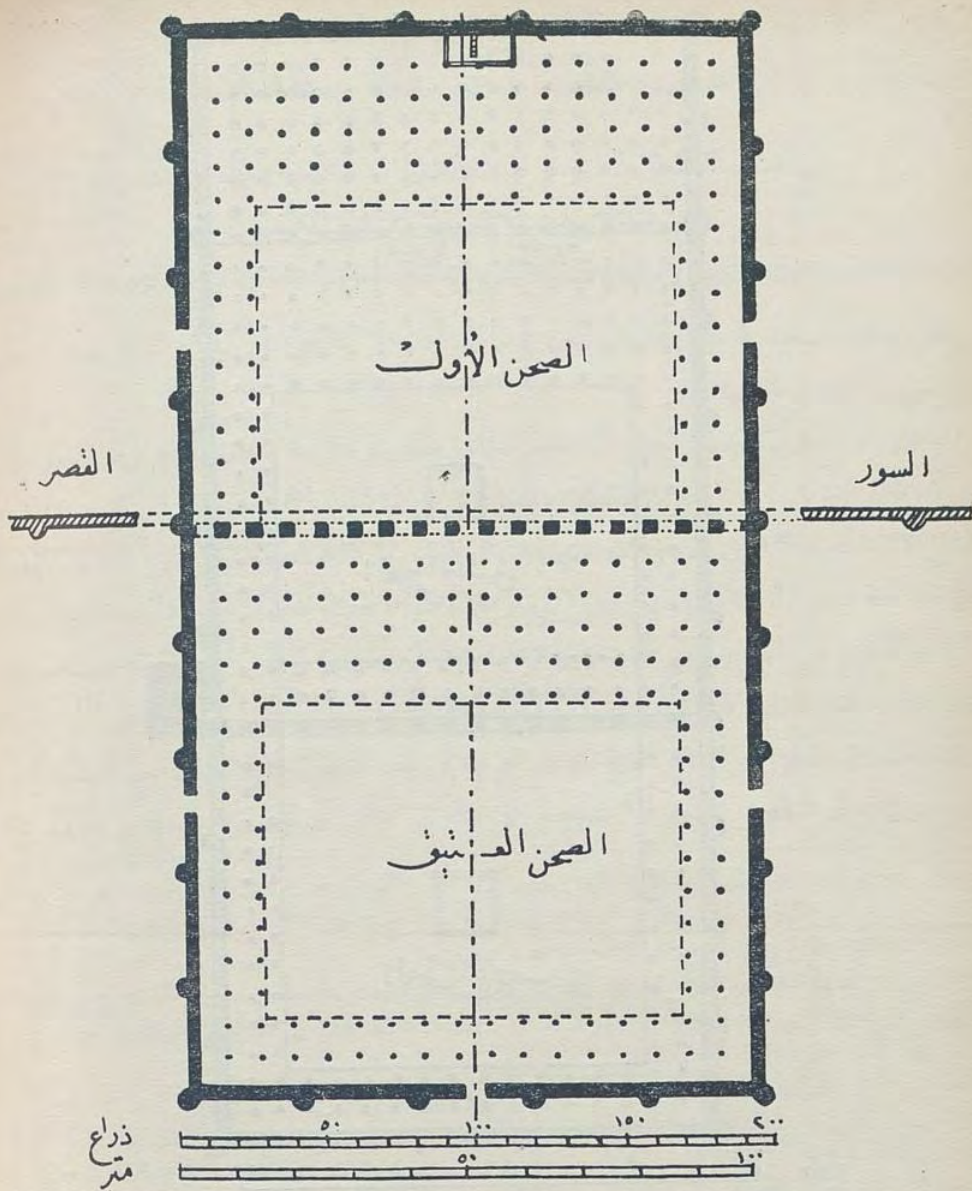
شكل (١)

المهدان الأول والثاني
المفرد ١٤٩ هـ والمفرد للرعية ١٩٤ هـ

من بناء العهد الأول
وأنزل في العهد الثالث

العهد الثالث
المفرد وبدر ٨٤ هـ

مسجد المنصور ببغداد
رسمه الشريف
المفرد



مقياس الرسم ١ : ١٠٠٠

شكل (٢٠)

مسجد المنصور بفداد
رسم جناب الكين كرسول
البربر



واعادة بنائه بالآجر والجص ففعل ذلك وكتب عليه اسم الرشيد وذكر امره ببنائه وتسمية البناء والنجار^(٧) وتاريخ ذلك . وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان الى وقتنا هذا . انبأنا ابراهيم بن محمد اخبرنا اسماعيل الخطيبي قال وهدم مسجد ابي جعفر المنصور وزيد في نواحيه وجدد بناؤه واحكم وكان الابتداء به في سنة ثنتين وتسعين والفراغ منه في سنة ثلاث وتسعين . فكانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان وكانت قديماً ديواناً للمنصور . فأمر مفلح التركي ببنائها على يد صاحبه القطان فنسبت اليه وجعلت مصلى للناس وذلك في سنة ستين او احدى وستين ومائتين ثم زاد المعتضد بالله الصحن الاول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقاً منها الى الصحن ثلاثة عشر والى الاروقة اربعة . وحول المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديد . انبأنا ابراهيم بن محمد اخبرنا اسماعيل بن علي قال واخبر امير المؤمنين المعتضد بالله بضيق المسجد الجامع بالجانب الغربي من مدينة السلام في مدينة المنصور وان الناس يضطرون الضيق الى ان يصلوا في المواضع التي لا يجوز في مثلها الصلاة فأمر بالزيادة فيه من قصر امير المؤمنين المنصور فبنى مسجد على مثال المسجد الاول في مقداره او نحوه ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فالتسع به الناس وكان الفراغ من بنائه والصلاة فيه في سنة ثمانين ومائتين . قال الخطيب الحافظ وزاد بدر مولى المعتضد من قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت »

يستخلص مما رواه الخطيب انه كانت هناك ثلاثة عهود في تاريخ بناء هذا المسجد .

١ - البناء الاول في عهد المنصور ١٤٩ هـ (٧٦٦ م)

وكان مربعاً طول كل ضلع من اضلاعه ٢٠٠ ذراع (وذلك يساوي ١٠٣٦٦٠ متر باعتبار ان طول الذراع = ٥١٦٨ سم) . وكان مبنيّاً بالابن والطين وعمده من الخشب، يتكوّن كل عمود منها من جذعين متصلين احدهما بالآخر من طرفيهما . وكان سقفه من خشب الساج (كما روى ذلك ابن رسته^(٨)) مستويّاً ومرتكزاً على هذه العمود الخشبية مباشرة

٢ - البناء الثاني في عهد هرون الرشيد ١٩٢ - ٣ هـ (٨٠٨ - ٩ م)

وكان يشبه الاول ويساويه في ابعاده مبنيّاً بالآجر والجص وبه كتابة في الجانب الشمالي الشرقي منه . وكانت نواة هذا البناء هي الصحن العتيق (الذي هو الجامع)

٣ - وبعد عودة الخلفاء من سرّ من رأى سنة ٨٩٢ م اصبح المسجد يضيق بالمصلين حتى

(٧) يلاحظ هرتسفلد - ص ١٣٦ من كتاب البعثة الأثرية - ان الجدران المحيطة بالمسجد وحدها هي التي أعيد بناؤها بالطوب والمونة وان الاعمدة الخشبية بقيت او استعيرت عنها بغيرها من مثيلاتها كما يتضح ذلك من ذكر النجار على مدخل المسجد . ونحن نرى ان ذكر النجار وتسميته لا يستلزم منه حتماً استنجد به منه هرتسفلد لان النجار قد احتج اليه على كل حال في حمل السقف كما انه من المحتمل ان المسجد الجديد كالمسجد القديم كانت أعمده من الخشب (٨) ابن رسته ص ١٠٩ سطر ٣ و٤ يصف ابن رسته هذا المسجد بقوله « انه بني بالآجر والجص ورفع على اساطين الساج وسقف بالساج المرصع بالازورد »

لقد كانت مساحة مسجد سر من رأى أكثر من اربعة امثال مساحته^(٩) فاخذ الناس يصلون في بناء مجاور للمسجد . لذلك أمر المعتضد بتوسيع المسجد والزيادة فيه (في سنة ٢٨٠ هـ و ٨٩٣ م) فبنى على جزء من ارض قصر المنصور المهتمد مسجد ثان ملاصق لصدر المسجد العتيق على مثال المسجد الاول في مقداره او نحوه وسمى صحنه بالصحن الاول تمييزاً له عن صحن المسجد العتيق أما الجدار الذي كان يفصل المسجدين فقد هدمت منه اجزاء فتحت فيها طاقات توصل بين المسجدين . وقد اشار الى ذلك هرتسفلد نقلاً عن المقدسي — الذي كتب بعد ذلك العهد بقرن — فقد روى المقدسي عن مسجد مدينة فسا بمقاطعة فارس « ان له صحنين كمسجد مدينة السلام بينهما سقيفة » . اما المحراب القديم والمنبر والمقصورة فقد نقلت جميعاً الى المسجد الجديد ويرى هرتسفلد « ان الصحن الجديد ليس وحده الذي اضيف الى المسجد بل اضيفت اليه ايضاً في الوقت نفسه دار القطان التي كانت قد اتخذت مصلًى من ٢٦٠ او ٢٦١ . ولذلك لا يمكننا ان نعرف بالدقة مقدار المساحة التي اضيفت »

واضافة دار القطان التي يقول بها هرتسفلد . لم يرد ذكرها في جميع المراجع التي اشارت الى هذا المسجد . وسنرى عند مناقشتنا هذا الرأي استحالة التسليم به ونظرية هرتسفلد في تصميم بناء هذا المسجد هي كما يلي : —
ان فتح سبعة عشر طاقاً في الحائط الذي كان يفصل بين المسجدين — ثلاثة عشر منها الى الصحن واربعة الى الاروقة الجانبية — يدل على ان المسجد القديم لا بد كان يحتوي على سبعة عشر رواقاً من اليسار الى اليمين . وان الاروقة الجانبية كانت اربعة بكل جانب رواقان . وهذا يساعدنا على امكن تصميم هذا البناء وتقسيم ال ٢٠٠ ذراع وهي طول ضلع المسجد كما يأتي : —

$$١٥ = ٢ \times ٧٥$$

جدران وابعاج مستديرة ٢

$$١٥٣ = ٩ \times ١٧$$

١٧ مسافة بين الاعمدة كل منها ٩ اذرع

$$٣٢ = ٢ \times ١٦$$

١٦ عموداً كل منها ذراعان

٢٠٠ ذراع

الجملة

غير أن عدد أروقة الايوان الكبير بالمسجد يبقى مجهولاً . ولكن نظراً لان الايوانين الجانبين يحتوي كل منهما على رواقين فلا يمكن ان تقل أروقة الايوان الكبير عن اربعة . ويرى هرتسفلد انها لا بد كانت خمسة كمسجد الكوفة الذي كان هو الآخر مربعاً . ولان النسبة ١٧ : ٥ توجد ايضاً بمسجد ابن طولون بمصر

(٩) كانت مساحة مسجد سر من رأى $٢٥٠ \times ١٦٧ = ٤١٦٥٠$ متر مربع بينما مساحة مسجد بغداد $١٠٣٦٦ \times ١٠٦٧٣٣ = ١٠٦٧٣٣$ متر مربع أي ان مسجد سر من رأى قدر مسجد بغداد اربع مرات وقد ذكر هرتسفلد (في الجزء الثاني ص ١٣٧) سهواً ان مساحة المسجد الاول قدر مساحة المسجد الثاني ٢٥ مرة والحقيقة انها اربعة فقط

ويقول هرتسفلد « أما عن ازالة الاروقة الشمالية الغربية فأمر لا يزال قيد البحث . فالخطيب يروي في تاريخه ان ثلاثة عشر طاقاً فتحت الى صحن المسجد وهذا يفهم منه ان الاروقة قد ازيلت. إلا أن وجود السقيفة التي يشير اليها المقدسي بين صحنى مسجد فسا يجعلنا نرفض هذا الرأي وخاصة لان المقدسي قد ذكر الشبه بين مسجد فسا ومسجد المنصور في نفس العبارة »

وعلى ذلك فقد رسم هرتسفلد هذا المسجد وما ادخل عليه من التعديلات كما هو موضح (شكل ١) وتلخص نظريته في ان المسجد بني ملاصقاً للجانب الجنوبي الغربي من سور القصر وان الجزء الذي اضيف اليه وهو الصحن الاول قد اضيف الى صدر المسجد وهو يريد بالصدر الجانب الشمالي الشرقي — وان سبعة عشر طاقاً فتحت في الحائط لا يصال المسجدين احدهما بالآخر وان دار القطان اضيفت في الوقت نفسه الى المسجد من ناحية القبلة وان سبعة عشر طاقاً اخرى فتحت في حائط القبلة لا يصال دار القطان بالمسجد والى هذه الزيادة الاخيرة نقل المحراب والمقصورة والمنبر ورسم هرتسفلد للمسجد الاول مقنع الا في نقطة واحدة مثيرة للدهشة هي ان جدار القبلة بالمسجد ليس ملاصقاً للقصر لتمكين الخليفة من الذهاب من القصر الى المقصورة بالمسجد مباشرة والدخول من الباب الذي كان يوجد عادة في جدار القبلة كما كان ذلك متبعاً منذ القرون الاولى للإسلام^(١٠) وهذه الملاحظة وان كانت بالطبع لا تكفي لتسوين رفض رسم هرتسفلد ولكنها على كل حال تدعو الى الشك فيه

على اننا اذا عالجنا الموضوع بدقة فاننا نجد عيوباً أخرى في هذا الرسم . فان دار القطان التي كانت من الاماكن التي لا تجوز في مثلها الصلاة . والتي وسع المسجد وزيد فيه تجنباً للصلاة فيها قد اضافها هرتسفلد في رسمه الى المسجد . ومن الواضح ان ذلك استلزم فتح صفيين من الطاقات في جداري المسجد العتيق كل منهما سبعة عشر طاقاً يصل اولهما بينه وبين الصحن الاول وثانيهما بينه وبين دار القطان . مع ان الخطيب قد ذكر ان الذي فتح هو صف واحد فقط من هذه الطاقات . ويتضح من الرسم ايضاً (شكل ١) ان المحراب والمنبر والمقصورة قد نقلت الى دار القطان بينما يروي الخطيب انها نقلت الى المسجد الجديد . فاذا كانت دار القطان قد اضيفت فعلاً الى المسجد (وايحت الصلاة فيها) فلماذا اذن اضيفت الزيادة الاخرى الى المسجد في الوقت نفسه ؟ لاشك انه من المتعذر تعليل ذلك

على اننا لانجد مطلقاً في جميع المراجع التي لدينا اية اشارة الى أن دار القطان قد اضيفت فعلاً الى المسجد بل ان الغرض من الزيادة في المسجد انما كان للاستغناء عنها . اذن فلماذا اضافها هرتسفلد ؟ اننا نعتقد انه اضطر لذلك ليتغلب على الصعوبة التي قامت في وجه نظريته بسبب ما رواه الخطيب عن نقل المحراب والمنبر والمقصورة الى المسجد الجديد . وان هذا يثبت ان المسجد الجديد لا بد

قد أضيف الى المسجد القديم من جانب القبلة لان المحراب لا يمكن نقله بطبيعة الحال الى جانب آخر بالمسجد سوى جانب القبلة

ولكن هرتسفلد في الوقت نفسه قد اوضح في رسمه ان المسجد الجديد لم يضاف الى جانب القبلة بل الى الجانب الآخر المواجه له وهذا بطبيعة الحال لا يستلزم نقل المحراب والمنبر والمقصورة فتغلباً على الصعوبة التي اعترضت هرتسفلد ازاء رواية الخطيب عن نقل المحراب الخ اضطر الى القول بأن دار القطان قد ادخلت ايضاً في المسجد في نفس الوقت ونقل اليها المحراب والمنبر والمقصورة اما نحن فلا نقر هذه النظرية بل اننا نؤكد ان كل ما ذكره الخطيب في هذا الشأن هو قوله « ان المسجد بني ملاصقاً للقصر » دون تحديد الجانب الذي بني فيه وبناء على ذلك فلنا ان نختار الموضع الذي نعتقد انه أكثر ملاءمة والذي يرجح انه بني فيه ثم لننظر الى اي حد يمكن ان يتفق هذا الوضع مع الحقائق التي نعلمها عن هذا المسجد

ونحن نرى ان المسجد الجديد بني ملاصقاً لجانب القبلة^(١١) ويعزز رأينا هذا ما يأتي :-
اولاً — قول الخطيب « وكتب عليه (اي المسجد) اسم الرشيد وذكر امره بينائه وتسمية البناء والنجّار وتاريخ ذلك وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان » وهذه الكتابة كانت بلا شك على المدخل الرئيسي للمسجد الذي كان يقع بالجانب القريب من باب خراسان اي في الشمال الشرقي

ثانياً — يقول الخطيب عن الزيادة التي ادخلت في المسجد

(ا) « فبني مسجد على مثال المسجد الاول في مقداره او نحوه ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فأتسع به الناس الخ » . والصدر هنا هو المكان المواجه للمدخل او البعيد عن المدخل او هو في الحقيقة ما يجب ان نسميه مؤخر المسجد (او الايوان الكبير)
(ب) ويقول ايضاً « ثم زاد المعتضد بالله الصحن الاول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقاً منها الى الصحن ثلاثة عشر والى الاروقة اربعة وحول المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديد »

فاذا فتحنا الطاقات في حائط القبلة واضفنا الى المسجد العتيق مسجداً على مثاله في مقداره او نحوه — عدا الرواق الشمالي الشرقي الذي ليس ثمة حاجة اليه — ونقلنا المحراب والمنبر والمقصورة الى هذا المسجد الجديد ، فاننا نجد ان هذا يتفق تماماً ورواية الخطيب ، ويتضح ذلك جلياً في الشكل رقم (٢) ولا تكون ثمة حاجة الى القول باضافة دار القطان الى المسجد في حين ان الغرض الاساسي من الزيادة في المسجد انما كان هو الاستغناء عنها

(١١) يضع لسترينج هذا المسجد في الجانب الجنوبي الشرقي وهو رأي لا نقره عليه (بغداد ٣٥)

وقد روى ابن رسته ان مسجد المنصور كان مزخرفاً ومرصعاً باللازورد^(١٢) وهو بالطبع يشير بقوله هذا الى المسجد الذي رآه في سنة ٩٠٣ م والذي لا يرجع اقدم جزء فيه الى ابعد من عهد هرون الرشيد **التاريخ اللاحق للمسجد** ورد ذكر هذا المسجد كثيراً في قرون تالية : فقد أشار اليه Benamine of Tudela^(١٣) سنة ١١٦٠ بقوله « وكان الخليفة يغادر قصره مرة واحدة في السنة حين كان يذهب في حفل رسمي الى المسجد الجامع عند باب البصرة »

كما ذكره ابن جبير سنة ١١٨٤^(١٤) ويظهر انه لم يصب بسوء عند ما حاصر المغول بغداد وهاجموها ونهبوها سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) مع ما تعرضت له بغداد من التخريب وما عانتها من احوال . ويستدل على ذلك بعدم ورود اسمه بثبت المساجد والاضرحة التي احرقت بسبب الحرب ثم اعيد اصلاحها بامر هولاكو خان^(١٥) وذكره ابن بطوطة^(١٦) بصريح العبارة سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) عند وصفه للشاطيء الغربي وقال عنه انه مسجد ابي جعفر المنصور وانه كائن بحي باب البصرة ويرى لسترينج^(١٧) Le Strange ان تيمورلنك استولى على بغداد (٧٩٥ هـ ١٣٩٣ م) وانه امر بعد عام باعادة بنائها وان المسجد قد يكون هدم اثناء ذلك الا اننا نجد بدرو تاكسييرا^(١٨) Pedro Teixeira سنة ١٦٠٤ يقول « ولا نزال نرى في بغداد اطلال المباني الرائعة التي خلفتها عصور الحضارة الفارسية كالمسجد الذي يطلقون عليه اسم مسجد الخليفة والآثار الاخرى في الجانب الآخر من النهر والمدرسة التي كانت مستشفى الخ »

ويظهر ان « مسجد الخليفة » هذا هو مسجد المنصور الذي نحن بصدده . وخاصة لقوله عن الآثار الاخرى انها « في الجانب الآخر من النهر كالمدرسة التي كانت مستشفى » ونظراً لاننا نعلم ان المدرسة المستنصرية كان بها مستشفى وكانت تقع على الشاطيء الشرقي . فيستنتج من ذلك ان المسجد كان يقع في الجانب الغربي للنهر . وهذا بالضبط هو موقع مدينة بغداد المدورة التي بناها المنصور وبني بها مسجده العتيق . ويظهر ان هذا المسجد قد تخرب واحت آثاره نهائياً بعد زيارة تاكسييرا بغداد بعشرين عاماً لان مرتضى نظمي زاده^(١٩) يقول : « وبعد ان استولى الفرس على بغداد سنة ١٠٣٣ هـ ١٦٢٣ - ٤ م عملت فيها بد التخريب والتدمير فهدمت المدارس والمساجد وغيرها من آثار الخلفاء العباسيين واصبحت اطلالاً ينقع بها البوم او اتخذت حظائر للحيوانات بعد ان شهدت حضارة العباسيين وحفلت بذكرهم » . لذلك لا نجد ذكر لهذا المسجد فيما كتبه نيبوهر^(٢٠) Neibuhr عن بغداد سنة ١٧٦٥ مما يدل على انه لم يكن له أثر ببغداد عند زيارة نيبوهر لها

(١٢) ابن رسته ص ١٠٩ سطر ٤ (١٣) Benamine of Tudela ترجمة Asher جزء ١ ص ٩٦ - ٧

(١٤) ابن جبير طبعة Wright ص ٢٢٧ و ٢٣٠ وطبعة دجويه ترجمة شيا باربالي Schiaparelli ص ٢١٤

و ٢١٧ (١٥) لسترينج ص ٣٧ (١٦) ابن بطوطة جزء ٢ ص ١٠٧ (١٧) لسترينج ص ٣٧

(١٨) ترجمة سنكلير ٦٤ - ٥ (١٩) ترجمة هوارث في كتاب تاريخ بغداد في العصور الحديثة ص ٥٩

Histoire de Baghdat dans les temps modernes, 59

(٢٠) رحلة في بلاد العرب جزء ٢ ص ٢٣٩ Voyage en Arabie

روح الرواد

الاميرال رتشرد برد الاميركي

يقضي الشتاء القطبي وحيداً في محلة نائية

نقلت اليها الانباء البرقية في خلال شهر فبراير الماضي ان بعثة الاميرال برد ،
الرائد القطبي الاميركي ، اكتشفت في الاصقاع المتجمدة الجنوبية ارضاً مساحتها
٢٠٠ الف ميل مربع ، اطلقت عليها اسم « ارض ماري برد » ورفعت عليها العلم
الاميركي . والواقع ان رجال البعثة اكتشفوا هذه الارض في خلال اقامتهم هناك
في السنتين الاخيرتين ، وراودوا بعض مجاهلها . وبعد ما حققت البعثة البرنامج الذي
وضعت له لزيارة تلك الاصقاع ، جمعت معداتها وعادت الى اميركا فبلغت عند كتابة هذه
السطور مرفأ دونيدن بزيلندا الجديدة
وفي ما يلي وصف لاهم ما قام به رجالها وعلمائها من المباحث النفيسة وقصة
الشتاء القطبي المظلم البارد الذي قضاه قائدها الاميرال برد ، وحيداً في محلة نائية ،
رغبة منه في دراسة الظواهر الجوية في تلك البلاد . وهي من أروع القصص في
تاريخ الريادة الحديثة والقديمة على السواء

البعثة وأغراضها العلمية

الاميرال رتشرد اقلين برد Byrd أول رجل طار الى القطبين . فقد طار الى القطب الشمالي في سنة
١٩٢٦ بطيارة صحبة فيها زميله وصديقه فلويد بنيت . قام من سبتسبرجن متجهاً الى القطب الشمالي
فبلغه وحوّم فوقه ثم عاد الى سبتسبرجن بعد ١٦ ساعة من الطيران . وقصة هذه الرحلة مدونة
في كتابنا « الرواد » . ثم نظّم بعثة الى الاصقاع المتجمدة الجنوبية سنة ١٩٢٨ و ١٩٢٩ كان من
أهم فعاها طيران برد وبعض صحبه الى القطب الجنوبي ، وتحديثهم لاسلكياً وهم محلقون فوق
القطب ، مع محطة لاسلكية خاصة بمدينة نيويورك . بيد أنه لم يقتنع بكل هذا . فعمد من نحو
ثلاث سنوات الى اعداد بعثة جديدة لريادة الاصقاع المتجمدة الجنوبية ، بالطيارات والسيارات
والمزلق تجرّها الكلاب . ووضع لبعثته الجديدة برنامجاً يستغرق تحقيقه سنتين وغرضه العام ،
البحث في احوال تلك البلاد من النواحي الجغرافية والجوية والبيولوجية وما اليها . وكانت معدات
البعثة مؤلفة من سفينتين احدهما من الصلب والثانية من الخشب ، واربع طيارات ، وست سيارات
نقل ، و١٥٠ كلباً ، وكان رجالها نحو ٢٠ رجلاً ، منهم نصفهم او نحو النصف من رجال البحث العلمي
وقد كتب الاميرال مقالا في جريدة النيويورك تيمس ، افتتحه بقوله : — كثيراً ما يوجه
اليّ السؤال عن الفائدة التي يمكن ان نحني من ريادة الاصقاع الجنوبية المتجمدة ، وانفاق بدرات

الاموال وتعريض ارواح الناس في سبيلها . والرّد على هذا السؤال ان كشف الاراضي الجديدة اقل هذه الفوائد شأنًا . بل هو ليس الا وسيلة الى مكتشفات ابعد غوراً واعظم شأنًا . فالزيادة الحديثة لا تبلغ مستوى الكرامة العالية التي تتسق مع همم اصحابها وجهودهم ، الا متى تحررت من قيود خطوط العرض والطول . فبين البحوث التي اعدناها لها المعدات نجد علوماً مثل الفلك والظواهر الجوية والنبات والحيوان والمعادن والاقويانوغرافيا (علم المحيطات) والآثار المتحجرة والجولوجية الاقتصادية والجولوجية الطبيعية والمغناطيسية الارضية والعلوم او فروع العلوم الخاصة بالجمد والتلج وعلم مواقع النفط وغيرها . فالكشف عن مناطق مجهولة في تلك البلاد ليس الا غرضاً واحداً من اغراض عديدة يتجه اليها الرواد في هذا العصر

والبعثة الثانية التي نظمها الاميرال برد كشفت كما قلنا « ارض ماري برد » واستطلعت احوالها الجغرافية فعرفت السهل منها والجبل والشاطيء ، ويتوقع رجال البعثة ، ان رسموا لها خريطة على جانب وافر من الدقة ، عند وصولهم الى اميركا ، مستندين الى الحقائق التي دونوها والصور التي صوروها في خلال الطيران فوقها او عند ريادتها بالمرأق تجربتها الكلاب

وقد عني هينز وغرمغر من علماء البعثة بتدوين الارصاد الجوية ، ولم يكتفوا بالارصاد على سطح الجمد بل اطلقوا البالونات في الجو ، تحمل الآلة المدونة من تلقاء نفسها ، لمعرفة احوال الجو في طبقاته العالية . ومن الخطأ ان يظن ان احوال الجو حول القطب الجنوبي لا صلة لها بالاحوال الجوية في سائر الاقطار . فاحوال الارض الجوية لا يمكن ان تقسم الى اقسام مفصول بعضها عن بعض كأنها حُجَرٌ بينها جدران كثيفة فاصلة ولكن ليس بينها ابواب

وقد حملت البعثة الى تلك الاقطار النائية ، احد الاجهزة التي اعدّها الاستاذ آرثر كطن لقياس الاشعة الكونية ومعرفة هل هي جسيمات دقيقة او فوتونات اي امواج قصيرة نقّاذة من قبيل اشعة اكس واشعة غمّا ولكنها اقصر منها امواجاً واقوى نفوذاً للمواد . ونتائج القياسات التي قامت بها البعثة في هذا الصدد اميل الى تأييد الرأي بانها من قبيل الجسيمات . ولم يكتفَ بقياس الاشعة الكونية على سطح الجمد ، بل ارسلت الآلة في طيارة الى علو ١٢٥٠٠ قدم

ووجه علماء الحياة من رجال البعثة وهم اربعة جلّ عنايتهم الى دراسة الاحياء المختلفة من حيوان ونبات مما يعيش على سطح الارض مثل الطيور وأخصها طير البطريق والفقّص او مما يعيش في اغوار الماء من الاحياء المكرسكوبية . وقد ظلّ العلماء ونُترو وبركنز وسترت ينزلون شباكهم في مياه خليج الحيتان لخراج نماذج من هذه الاحياء حتى تجمّد سطح الماء ، واصبحت تدلية الشباك في الماء متعذرة ومما يسترعي النظر في مباحث البعثة العلمية ، ابتداء طريقة جديدة ، تعتمد على قياس سرعة امواج الصوت في الاجسام الصلدة لمعرفة ما تحت الغطاء الجليدي في تلك البلاد . فقد كان الرأي السائد بين العلماء ان الغطاء الجليدي في الاصقاع المتجمدة الجنوبية عند ريف رُسّ Ross Shelf قائم

على الماء فثبت البحث بهذه الطريقة ان الغطاء الجليدي قائم على دعامات من اليابسة بعضها جزائر قائمة في الماء يغطيها الجمد فلا يمكن ان تكشف حقيقتها الا بالاعتماد على هذه الطريقة العلمية. ومن هذه الدعامات جزيرة قمها تعلو ١٠٠٠ قدم عن سطح البحر ويغشاها غطاء من الجمد كثافته ٤٠٠ قدم. والحقائق التي كشفت بهذه الطريقة تمكن العلماء من تقدير الجمد في القارة المتجمدة الجنوبية، تقديرًا قريبًا من الحقيقة. وبالطريقة نفسها اثبت رجال البعثة ان القارة المتجمدة الجنوبية، ليست قطعتين من اليابسة بينهما مضيق متجمد، بل هي قطعة واحدة لا فاصل يفصلها هذا يسير من النواحي العلمية التي عنيت بها بعثة الاميرال برد الثانية الى الاصقاع المتجمدة الجنوبية. ولكن الغرض الاول من هذا المقال ليس ذكر النتائج العلمية فحسب لانها على خطرها ليست الا نتائج اولية للمباحث المتنوعة التي قام بها رجال البعثة، وانما القصد، ان زوي قصة تتجلى فيها روح الرواد عامرة بفضائل الاقدام والصبر والتضحية في سبيل العلم برد وعزلته العجيبة

ما قول القارئ في رجل يبني له حجرة في ابرد بقعة سكنها انسان على الاطلاق، لا تبعد الا قليلا عن القطب الجنوبي، ثم اذا اقبل الليل القطبي بظلامه الدامس الذي يستمر اربعة اشهر او تزيد، يودع الرجل رفاقه، ومقرهم يبعد عنه مئات الاميال، وبأوي وحيداً الى حجراته، بعد ان يقطع كل صلة له بالحياة. هناك تكرر الايام والشهور لا يرن في اذنيه الا عصف الرياح وزئير العواصف الثلجية، ولا يظلمه من الاحياء وجه ولا يبهجه من الشمس شعاع. فلو انه قضى الاربعة اشهر هذه، على وجه القمر المعرض عن الشمس، لما كان اشد عزلة مما كان؟

كان رواد الاصقاع المتجمدة الجنوبية قد اكتفوا بتدوين ارساد الظواهر الجوية، على شواطئ تلك القارة في الغالب. ولكن الاميرال برد أدرك أن الوصول إلى رأي علمي في الموضوع يصح الاعتماد عليه، يقتضي انشاء محطة للظواهر الجوية في الداخل على مقربة من القطب، وموالة رصد تلك الظواهر فيها في خلال الليل القطبي الدامس. فبنيت المحطة واختار ان يكون هو الرائد الوحيد، فعانى من الصعاب والاهوال والآلام في خلال ذلك، ما تنخذل أمامه مشيئة الانسان العادي. ولكنه غالب الصعاب والآلام، وغلب، بباعث من حسن التدبير وصلابة النفس وقوة الايمان والظاهر أنه كان في خلال الاسابيع الاول من عزله، متمتعاً بنوع من البهجة لا تبلغها الا نفس الفيلسوف في الوحدة التامة. وكان يرحب بالصعاب، على أنها امتحان لقدرته على مواجهتها. فلما توالى عليه الايام والليالي، متشابهة في ظلامها وبردها وانقطاعه فيها عن كل سبب من أسباب الحياة التي ألفها، بدأت غيوم الفاجعة تتلبد في أفقه. فقد أصيب بتسمم من استنشاقه للدخان البترول الذي يحرقه في موقده، ومن بنزين الآلة التي كان يستعملها لتجهيز آلته اللاسلكية بالطاقة التي تحتاج اليها

كان قد فضل البترول على الفحم ، لأنه لما شرع في اعداد معداته ، كان الليل القطبي قد اقترب وأصبح متعذراً على رجاله أن يأتوا بالقدر الكافي من الفحم من مقرهم الى هذه المحلة النائية كان قد انتفض عليه بضعة أشهر وهو يستنشق هذا الدخان ، وهو لا يحس بأثره في جسمه . فلما كان يوم ٣١ مايو سنة ١٩٣٤ ، أنهى اذاعته اللاسلكية ، ودخل النفق الجليدي ، ليوقف المحرك الخاص بالجهاز اللاسلكي فوق مغشياً عليه . ولما أفاق كان خائر العزم ، فأدرك أن حالته تنذر بالخطر . هل فكر عندها في نفسه ؟ هل خطر على باله أن يبعث بشاره لاسلكية يطلب بها النجدة ، فيهب فريق من أعوانه الى نجدته ؟ كلا . انه كان يعلم ان الرحلة من المقر الرئيسي الى هذه المحلة النائية ، في ظلام الليل القطبي عمل مخوف بالاطار . فلماذا يعرض رجاله للموت في سبيل انقاذه ؟ أوى في تلك الليلة الى فراشه ، مريضاً ، ضعيفاً ، وحيداً تواجهه ثلاثة شهور من الظلام الدامس لا تزال امامه . البرد الشديد داخل حجراته وخارجها فاذا اصطل بالموقد استنشق دخانه السام . واذا اطفأ الموقد هربت اطرافه ومات برداً . ماذا يفعل ؟ أوى ان فراشه واخذ القلم بيد خائرة مرتعشة وكتب تعليماته لرجال البعثة كتابة مفصلة وختمها بقوله : لا تقلقوا ولا تضطربوا . امضوا في عملكم . لا تنوا في تحقيق برنامجكم العلمي . ابذلوا ما تستطيعون في سبيل مساعدة « الزورث »^(١) وبعد ما اتم كتابتها لنفسها وربطها وعلقها بمسمار على الجدار ، حيث يستطيع كل احد ان يراها . وكانت لا تزال هناك ، لما اقبل عليه صحبه ، بعد انقشاع الظلام القطبي الدامس بعد انقضاء يومين على هذا ، اتصل بالمقر الرئيسي المعروف باسم « اميركا الصغيرة » اتصالاً لاسلكياً ، ولكنه لم يفه بكلمة واحدة عن حالته . وكذلك قضى اسابيع معلقاً بين الموت والحياة وهو لا يعلم هل يستطيع هذا الجسم الانساني ، ان يتغلب على بواعث السقم ، ولكنه كان يعلم أن الروح الانسانية تستطيع ان تتغلب على بواعث الضعف . كان عليه ان ينقر على آله اللاسلكي « S. O. S. » طلباً للنجدة فيفوز بها ، ولكنه لم يفعل بل انه فعل اكثر من هذا ! كانت قواه الجسدية على أضعفها . وكان في حاجة الى كل دقيقة من الراحة . بل كان يجب عليه ان يرضن بأي عمل يقتضي انفاق الطاقة ، لعل الراحة والرضن بالنشاط يمكنانه من التغلب على السقم . ولكنه كان يعلم أنه اذا توقف عن الاتصال « باميركا الصغرى » في المواعيد المقررة ، يظن رجاله سوء فيهبون الى نجدته ، معرضين ارواحهم للخطر . فكان في المواعيد المقررة للاتصال اللاسلكي يزحف زحفاً ، الى المحرك يحملهُ الى النفق ليذيب الجمد عنه بدفء الموقد . وكان وزن هذا المحرك ٣٥ رطلاً فقط ، ولكن « برد » كان لا يتم نقله بضعة أمتار الا في ساعات ، لشدة ما كان يعانيه من الضعف والالم والبرد . والادهي من ذلك ، أنه كان يقطع كلامه عن ارضاده العلمية ، بمثلح تثير مرح أصحابه

(١) رائد اميركي آخر كان يستكشف ناحية اخرى من القارة المتجمدة الجنوبية

ارصاده العلمية ! نعم ارصاده العلمية ! ذلك ان برد ، مع كل ما عانى ، لم يهمل ارصاده العلمية يوماً واحداً ، كلفه ذلك من المشقة والالم ما كلف . فكان يخرج خمس مرات في اليوم ، لمراقبة الشفق القطبي وتدوين وصفه واتجاهه وعلوه وقوة ضوئه . وكان الشفق يطول احياناً ، فيظلُّ برد مدى نصف ساعة او اكثر ، وهو يدون ما يطرأ عليه من التغير الاخاذ في شكله ولونه . وهذا عدا الارصاد المتبيورولوجية المختلفة . ويقول الدكتور پولتر رئيس علماء البعثة ، انهم لما اقبلوا عليه ، وجدوا ارصاده مدونة احسن تدوين . وعنده ان ما تنطوي عليه هذه الارصاد من الحقائق لا بد ان يكون ذا اثر كبير في رقيه علم الظواهر الجوية

ظلَّ برد على هذه الحالة شهراً من الزمان يرى الموت امامه ولكن ارادته لم تخنه في يوم من الايام . ادرك ان العقل يقضي بتوفير نشاطه للامال التي لا بد منها كالاتصال اللاسلكي برفاقه وتدوين الارصاد الجوية . فتوقف عن ادارة الفولغراف لما تقتضيه تعبئته من الجهد . وتوقف عن اشعال الموقد البترولي ١٤ ساعة كل يوم ، مرتباً ذلك حتى يكون الاطفاء عند ما يكون آوياً الى كيسه ، بحيث يستطيع ان يصيب قليلاً من الدفء من دون ان يتعرض كل التعرض للدخان السام . وقد كانت درجة البرد خارج الحجرة ، تبلغ سبعين درجة تحت الصفر ، وبلغت مرة واحدة ٨٠ درجة تحت الصفر . وكانت درجة البرد داخل الحجرة ٣٠ درجة تحت الصفر ، مع اختلاف قليل . وتوقف عن طبخ طعام ، مكتفياً بالطعام المقدد المحفوظ تحت سريره ، توفيراً للذهاب والمجيء لغير داع ضروري . وقد كان من اثر ذلك ان اضطرب هضمه وصارت نفسه تعاف الطعام ، مع أنه كان في اشد الحاجة الى كل ما يغذيه ويقويه . وتوقف عن القراءة والكتابة ، جهد طاقته ، وكان يزاولها في بدء عزله . وكذلك استطاع ، بعزيمة تفلُّ الحديد ، وعقل يدرك الحقائق ويواجهها ويحتطُّ الطرق للتغلب عليها ، أن يقتصد في نشاطه ، فما انقضى شهر يوليو (١٩٣٤) عليه حتى استردَّ قواه رويداً رويداً ، فنجى من الخطر المهدد به . فلما وصل صحبه اليه في اغسطس ، كان لا يزال ضعيفاً شاحباً ولكن المعركة بين الطبيعة ورجل فرد كانت قد انتهت بانتصار الرجل ، فخيأهم وعلى ثغره بسمه قائلاً : « اهلاً بالصحب »

ومن أقواله بعيد اتصاله برفاقه وعودته الى المقر الرئيسي : « لا يستطيع رجل طاقل مثقف ان يقضي عدة أشهر في حجرة صغيرة ، لا يكتنفه فيها الا الظلام الدامس والبرد الشديد ، من دون أن يكتشف شيئاً جديداً في نفسه ، فكأنني كنت شجرة ارسلت جذورها في تربة لم تألفها ، أو كأنني كنت رجلاً انتقل من الارض الى سيار آخر . ومع ذلك فقد أتت علي فترات أحسست فيها بطمأنينة وغبطة أعجز عن وصفهما . ولا أذكر أنني سعدت في حياتي قدر سعاداتي في الشهرين الاولين من اقامتي هناك »

اننا - والحق يقال - لانعرف في قصص الحياة ولا في مبتدعات الخيال قصة اروع من هذه القصة



سَيَرُ الزَّمَانِ

الثورة

الملاكتور عبد الرحمن شهنيدر

أقطاب السياسة الدولية

الرئيس ماساريك

الاحوال في اوربا

للجنرال سمطس

LÉON DAUDET



ليون دوديه الكاتب الفرنسي المشهور

Leon Daudet

(انظر مقالة الآنسة مي صفحة ٢٧١)



الثورة

للكنور عبر الرحمن شهيد

- ١ -

إذا ضاق بك ثوبك وأصبح خلقاً أكلت جدته الأيام وذهبت برونقه الطبيعة فزقته وخلعته عن جسدك والقيته في الأرض فأنت في شرعة الألبسة ثار ، ولك في عالم الحياة الطبيعية أشباه ونظائر فإن بعض الحشرات تنمو في غطاء قرني قاس الى ان يضيق بها فتمزقه بانتفاضة فجائية وتخلعه عن بدنها ثم تعود فتفرز غطاء آخر أوسع منه ولكنها تنمو ثانية في هذا الثوب الجديد حتى يصير ضيقاً فتخلعه كالاول لتكتسي بأوسع منه وهكذا تتبدل ثوباً من ثوب الى ان تبلغ رشدتها ، وليس كابوس الاوضاع الاجتماعية السياسية والدينية والاخلاقية والاقتصادية متى ضاقت أو هرمت أقل ارهاقاً واضناً من هذا الثوب أو الغطاء

حدث لي في حدود سنة ١٩٢٨ ان زارني في مصر صحفي من خيرة أبناءنا في الولايات المتحدة وهو الاستاذ حبيب كاتبه فأخذ مني حديثاً لينشره في أميركا عن سورية وحالتها الحاضرة فتطرقنا الى ذكر الثورة السورية الكبرى وأسبابها ودواعيها فرأيت منه شيئاً من الوجوم والتردد في ذكرها أو تدوينها فسألته فقال « ان في الولايات المتحدة نفرة منكورة من الثورات جميعها ومن ذكرها وليس من المبالغة في شيء ان أقول لك يكاد يكون (غاندي) معبود الأميركيين لأنه لا يتوسل الى اغراضه بالعنف والشدة » . وغني عن البيان ان مثل هذا الكلام الذي تفضل به الصديق يدل على الذهنية التي يكون عليها الآمن فينسى كيف يكون الخائف ، والشبعان فينسى كيف يكون الجوعان ، والحميم فينسى كيف يكون المهدد . فأميركا كانت يوم جرى هذا الحديث تتمتع برأس مال وبرخاء ونفوذ لا تشق غباره سائر الدول وهي الدولة الدائنة واوربا المدينة ، وكانت الأموال الأجنبية تتدفق على أسواقها لشراء أسهمها ومحصولاتها والاشتراك في المشروعات الصناعية القائمة في بلادها بينما كانت سورية على شفا الهاوية تتجرد من أموالها ورجالها وتهدد في صميم حياتها وقوميتها ولا يكاد يبلغ الصادر منها الخمس من الوارد اليها ، فلا عجب ان تكون سورية ثائرة وأميركا راضية وان ينفر أبناء هذه من سماع أحاديث تلك عن الثورات والانقلابات لان الذي يتمتع بالصحة لا يشعر بالآلام المرضى . وفي التاريخ ان الملكة ماري انتوانت لما أتاها الشعب المتظلم يشكو فقد الجبن استغربت فقالت لم لا تأكلون الكعك ؟ !

ومن العجيب ان اخواننا الأميركيين الذين ينفرون اليوم من سماع أحاديث الثورات طلباً للحرية والاستقلال كانوا أول من ثار للخلاص من حكم الانكليز مع أنهم أهلهم وعشيرتهم ، وأول

من سنّ قاعدة لا ضرائب من غير تمثيل ، ولا يقل اعجابهم بواشنطن واخوانه الميامين من رجال الثورة عن اعجاب الفرنسيين بحاج جاك روسو ومن وضع نظرياته في الثورة الفرنسية موضع العمل . وقد رأيت في الاميركيين نفرة خاصة من تلك العادة الصينية الهمجية وهي وضع أرجل البنات في قالب لضغطها وابقائها صغيرة ضمن نطاق من الحديد فكانوا يشيرون شعور التلاميذ الصينيين لتعطيم هذه العادة ورضخ هذه القوالب الضيقة حتى تتمكن الارجل من النمو الطبيعي ، أفليس عجبا أن يدعوا الى الثورة العلنية دفاعاً عن حجز حرية الارجل وينفروا من الثورة للدفاع عن حرية الجناح ؟ وهل قالب من الحديد في الارجل طوله وعرضه ووزنه يقاس بالقراريط والدراهم أثقل على الطبع من مدرعة منيخة على الرؤوس طولها وعرضها ووزنها يقاس بمئات الاذرع وألوف القناطير ؟

ولندع الآن المشاعر التي لا ضابط لها وأسباب الحب والبغض القائمة على الاوهام ولنلق نظرة عامة على ما يجري تحت سمعنا وبصرنا في البيئات البسيطة وبين الجماعات الساذجة لان درس الاوضاع في مثل هذه الاحوال يزودنا بالملاحظات القيمة

منذ نحو عشر سنوات غزت قبائل نجد بلاد الحجاز وكانت الدعاية التي أثارها الخمسة في هذه القبائل ان أهل الحجاز مشركون مرتدون لأنهم يزورون القبور ويعظمون القباب ويرتكبون من الجرائم المنكرة تدخين التبغ وغير ذلك فبدأت الغارة على مدينة الطائف شنّها الوهابيون فقتلوا النساء والرجال والاطفال وكان من بين القتلى شيوخ شهد الجميع بحرماتهم والعلوم النقليّة التي امتازوا بها ، ولكن الغزاة المتشددين المتحمسين لم يرحموا أحداً لان المرتدين في نظرهم ليس لهم أمان ولا تجوز عليهم الرحمة ولا الشفقة ، ومن بعد ما فتحوا البلاد قبضوا على ناصية الحكم فيها بيد حديدية وطبقوا اجتهادهم الديني عليها تطبيقاً دقيقاً فنعوا زيارة قبور الاولياء وهدموا القباب ودرسوا معالم الآثار وحتموا على الافراد حضور صلاة الجماعة خمس مرات في اليوم فمن تغيب لغير ما عذر نفذت فيه الحدود ومن وجد يحمل لفافة تبغ سيق الى السجن ، أما الفنون الجميلة فقد أصيب الغناء منها خاصة بأعظم الاضطهاد حتى أن صفائح المقول منع استيرادها منعاً باتاً ومن وجدت في بيتها كسرت على رأسه ، ولولا حكمة الملك عبد العزيز بن سعود لقطع علماء نجد اسلاك الهاتف لأنها في حسابهم بدعة من عمل الشيطان ، وقد اقنعهم بخطئهم في الاجتهاد ان اسمهم آيات الذكر الحكيم بالتلفون ، واجتماعها هي والشياطين على صعيد واحد مستحيل طبعاً

فلنفرض الآن يا معاشر الغربيين عامّة والاميركيين منكم خاصة ان افراداً من اهل الطائف تعلموا في مدارسكم على الطريقة الحديثة فغضبوا للدماء المهرقة ولم يصبروا على هدم الآثار وحمل الناس على عقيدة خاصة بالقوة وكانوا ممن أولعوا بالفن وقدروا قيمته الاجتماعية فحاولوا بواسطة التنظيم وبث الدعاية وجمع القوى المتفرقة احداث انقلاب كائنه ما كانت الوسائل المؤدية الى تنفيذه فهل تصمون آذانكم ايضاً عن سماع صياحهم ؟ ام حدوث مثل هذه الفتنة بسبب التعاليم التي تبثونها في بلاد الشرق يرضيكم عن

القائمين بها ؟ وليثق اعداء الانتفاض على الغرب واصدقاء الفتنة في بلاد الشرق ان الوضعة التي عليها
 الأقوام المستعمرة لا تختلف عن الوضعة التي عليها اهل الطائف الا في ان الغزاة في الاستعمار
 اجانب وهمهم الاول استثمار المال واستنزاف الثروة الموضعية واحتكار المرافق على انواعها ، واذا ما
 انفتحو الى شيء من العقيدة والدين فانما يلتفتون الى ما يزرع بذور التفرقة بين الاهلين ويقوي
 الدواعي المؤدية الى التنافر والتناحر في افرادهم . ومهما قيل عن الربح المادي في الغزوة الوهابية فان الغاية
 عند مؤسس المذهب هي على التحقيق مثل الغاية في الاسلام معنوية روحية اخلاقية . ولا عبرة مطلقاً
 بما يدعيه المحتل المستعمر من انه جاء البلاد للاخذ بناصر اهلها وتدريبهم على المدنية وتشجيعهم على
 الاخذ بأسباب النجاح لأن في افريقيا الشمالية وفي سورية الرذائل الملجعة على مثل هذه الدعاوي الباطلة
 ﴿النورة﴾ متى كان الشعب مستاءً متنكراً انتهز الفرصة الملائمة فنار في وجه الحكومة هذه
 صفة آراء الكتّاب في القرن السابع عشر في اسباب الثورة ودواعيها ، وقد ايدت العلوم السياسية
 والاقتصادية والاجتماعية هذا الرأي تأييداً كلياً ولكنها اضافت اليه عظة بالغة وحكمة جامعة فخواها
 ان الحكومة التي لا تتصل بالشعب اتصالاً وثيقاً يمكنها من فهم الحالة الذهنية التي هو عليها تكون
 عرضة للثورة والانتفاض . فقد حدثت مثل هذه الثورة لما كان السلطان عبد الحميد يرع في قصر (بلدز)
 لاهياً بين الخطايا غافلاً عما يغلي في صدور الرعية من مراحل النقمة ولا يصل الى يده من الاحاديث
 والاشياع المأجدة به قرائح الجواسيس الوقادة . وحدثت مثل هذه الثورة ولكن على عيار اوسع وبدماء
 اغزر وبانقلاب ابعد مدى لا يعلم نتائجها العالمية احد وذلك لما كان القيصر نقولا الثاني واهل بلاطه يقيمون
 حجازاً كشيقاتينهم وبين الشعب الفقير المتظم المستعبد ويسدون آذانهم دون صراخ الاحرار في اعماق
 السجون ومجاهل سيبيريا وهم في بهجة ورخاء يستمعون لخزعبلات (راسبوتين) ويحتمون بتأمم القديسين
 والتعاويز من الشياطين والادعية من الدجالين المقربين . وعلى مثل هذا الاساس يجوز للقارئ ان يبني رأيه
 في تفسير الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠ يوم كانت دفة السفينة في الافدين بأيدي رجال من الجيش
 لا يفقهون الشيء الكثير من الادارة الملكية وما تتطلبه كما قالت (المس بل) من حسن اصغاء الى
 الرغائب الشعبية الجوهرية . وما الانقلاب الخطير الذي حدث في هذا القطر العربي منذ ذلك الحين
 الا شاهد عدل كيف يكون ارضاء الشعب في شؤون الحيوية واستيفاءه من مطالبه الاساسية مدعاة
 الى هدوئه وانتشار الوية السلام في ربوعه . ولو حصل في فلسطين مثل ما حصل في العراق من مراعاة
 السيادة العربية ما تطلعت سمعة بريطانيا السياسية الى هذا الحد ولا حدثت تلك الثورات المحلية . وقس
 بالثورة العراقية الثورة السورية الكبرى

ومن اهم شروط الناصر في نجاح دعوته الى الانتفاض الا ان يكتفي بما يرى في الحكومة من منكر
 واعوجاج بل يتحتم عليه ان يقنع الشعب ايضاً ويستميل اليه الرأي العام استجماعاً للقوى فيقف
 الجميع جبهة واحدة والا تضاعت الجهود عبثاً ولم تثمر الثورة غير الانقلاب المؤقت ، لان الشعب

إذا لم يشعر بالمظالم شعوراً صادقاً كانت حركته اقرب الى البرودة والتصنع . ومع اثاره روح الاستياء وزرع بذور الامل لا بدّ ايضاً من تعيين الهدف امام الرماة حتى تجتمع نبالهم فلا تتفرق من غير طائل ، والدهاء من الناس كما قال احد الاجتماعيين يعرفون الشيء الذي لا يريدون واما الشيء الذي يجب ان يريدوا فيتوقف على الزعماء المفكرين — يعني ان سواد الشعب سلمي في غايته والسلبية المجردة لا تأتي بغير الخراب فاذا ما اريد الانتفاع بسبل السلبية الجارف فلا بدّ من وضع الآلة الإيجابية عليه وتركيبها بحيث تأخذ من قوة الجريان اعظم قدر مستطاع . وتكون هذه الآلة من صنع الزعيم والخاصة من العاملين . وقد قلنا عن الغاية التي ينشدها الزعماء لا يجوز ان تكون من مساح الخيال الشعري المجرد لا تقبل التطبيق ولكنها كذلك لا يجوز ان تكون مبتذلة حقيرة تجعل اصحابها والقائمين بها صغاراً حتى في نظر انفسهم . فطلب دولة عربية مركزية كبرى في الآونة الحاضرة تمتد من خليج فارس الى بحر الظلمات لا يختلف عن الاقتصار على حكومة تقام في جبل العلويين حياتها ومماتها بحجرة قلم من المندوب السامي . الاول خيال يليق بقصص الف ليلة وليلة والثاني اهانة لدم الشهداء الذين ذهبوا الى المشانق باسم القضية العربية العامة

على ان الاستياء المجرد وتعيين الهدف لا يضمنان الحركة الا على شرط واحد هو الامل بالحصول على الاصلاح المنشود لان العبث شبيه بانتطاح الصخر يدعو الى الشلل والقنوط . ومما اروه به هذه المناسبة عن ثورتنا السورية الكبرى ان بعض الموظفين الاجانب المسؤولين في بيروت حاولوا ان يدفعوا تبعة الاضطراب في البلاد عن عاتقهم بأنهم الحكومة الانكليزية بأنها سبب تلك الثورة وان دسائسها وذهبها يلعبان بعقول الثوار ، ولكن فاتهم ان هذه التهمة وان اوجدت لهم بعض الانصار المصدقين في باريس الا انها زادت في الحريق لهباً وساعدت العاملين السوريين في ميادين الثورة اذا أخذت انقاس النافخين في ابواق القنوط من جهة وشددت عزائم الفاترين من جهة اخرى بما توهموه من حرص الانكليز واهتمامهم بالقضية السورية العربية مرة اخرى

وقد سبق لمثل هذه الدعاية ان أثرت اثرها في سورية ايضاً بطريقة احييت الهمم الخاملة ، فقد حدث في ابريل سنة ١٩٢٢ ان زار (المستر كرين) دمشق الشام على حين غرة — والمستر كرين هو رئيس اللجنة الاميركية التي امت تلك البلاد في صيف سنة ١٩١٩ لاستفتاء اهلها في مصيرهم — فاتخذ العاملين من هذه الزيارة فرصة سانحة ليوهوا الناس ان عناية الولايات المتحدة بقضيتهم قد تجددت وان لهذه الزيارة مغزى سياسياً ذا قيمة دولية خطيرة ، فانتعشت القلوب من بعد تلك الصدمة القاسية التي لاقتها من دخول الجنرال غورو وجيوشه عاصمة الامويين قهراً وضربه الغرامات على الاهلين وتوزيعه الجنود السنغاليين على البيوت ، فتجمعوا لخلق على سيارة (المستر كرين) ووراءها حين وداعه متظاهرين بشكل ازعج المحتلين كثيراً وآل الى ثورة محلية سفكت فيها الدماء وامتلأت منها السجون ، ولولا وميض من الأمل برق في الافق السياسي يومئذ لتأخر فجر النهضة كثيراً

الرئيس ماساريك

رجلان أعز لان بنيا دولة من دول اوربا الحديثة ، بنياها في قلوب القوم وفي حجر المدارس ، قبل أن يرسمها على الخرائط الجغرافية ويعينا حدودها ويقيها لها برلماناً ووزارة . الأول شيخ في الخامسة والثمانين من العمر ، جمع بين حكمة الفيلسوف وصدر الوطني العاصر بأعلى الأمثلة الوطنية التي أصبحت أعصاراً مكتسحاً في القارة الاوربية . والثاني تلميذ الاول ، تلقى عليه العلم في حجر التدريس ، واقتبس منه شعلة من تلك النار المقدسة التي تؤجج في صدره ، فكان له خير معاون ، في حمل تلك الشعلة ، والكفاح في سبيلها ، ثم تولى معه مقدرات الدولة الجديدة التي بنياها ، فسيّر دفها في بحر مضطرب عجاج ، من السياسة الاوربية ، الى أن بلغا شاطئ السلامة

الاول هو الرئيس توماس ماساريك الذي انتخب في السنة الماضية رئيساً للجمهورية التشكوسلوفاكية للمرة الثالثة وينتظر ان يحتفل ببلوغه الخامسة والثمانين في ٧ مارس (١٩٣٥) . والثاني هو الدكتور ادوارد بنش وزير خارجية تشكوسلوفاكيا الذي بلغ الخمسين من العمر وقد مضى عليه ست عشرة سنة وهو يدير سياسة بلاده الخارجية في براعة وحكمة شهد له بهما العدو قبل الصديق مع أنه كان يوم تقلدها لا يعدو الرابعة والثلاثين من العمر . فهو عميد وزراء الخارجية في اوربا بل في العالم لانه تقلد هذا المنصب تقلداً مستمراً مدة تفوق مدة أي وزير خارجية آخر

ودستور الجمهورية التشكوسلوفاكية يحظر انتخاب رجل لرئاسة الجمهورية ، اكثر من مرتين ومدة كل رئاسة سبع سنوات . ولكن الدستور استثنى ماساريك من هذا القيد ، ونص على امكان انتخابه رئيساً مدى الحياة ، احتراماً لجهاد هذا الشيخ الجليل ، واعترافاً بما له من أيد بيض على انهاء الشعور القومي في قومه ، ثم عدم اقتصاره على الناحية النظرية فلجأ الى الحلول العملية بجاهد في سبيلها حتى غنم الاستقلال ، ثم قام على دفة السفينة يوجهها التوجيه الطيب . وكذلك بنش تلميذه . لقد قامت وزارات في تشكوسلوفاكيا وسقطت وزارات ولكن بنش كان وزيراً للخارجية في كل منها ، وليس هذا لقلة الرجال الذين يستطيعون شغل هذا المنصب في الجمهورية الفتية ، بل لأن استعداد بنش العقلي والثقافي وجهاده الصحيح في سبيل الاستقلال ، والمقام العظيم الذي فاز به بين وزراء الخارجية في مجامع الدول تجعل منه الكفاء الذي تود أعظم الدول لو كان وزراء خارجيتها من مكانته أنشئت الجمهورية التشكوسلوفاكية في عواصم الحلفاء ، في باريس ولندن ووشنغطن ، قبل أن تنشأ في براها (براج) . ذلك ان الاستاذ ماساريك - وكان قد مضى عليه وهو يرعرع الشعور القومي نحو ٣٠ سنة من كرسي الاستاذ في جامعة براج لانه كان يرمي الى إعداد الشعب من فلاحه الى طامله الى موقفه الى تاجره الى أعلى طبقاته الاجتماعية الاعداد الوافي للهنوض بالحكم الديمقراطي المستقل

عند ما تسنح الفرصة — كان قد فرّ من بلاده في خلال الحرب الكبرى ، لاشتداد وطأة الحكومة النمساوية ، وكانت بلاد ماساريك جزءاً منها حينئذٍ ، على الاحرار في بلاده ، ولكنه لم يفر فرار جازع يطلب العيش الرغد والفراش الوفير ، بل فرار رجل يطلب الحرية لقومه ، ويعرف — وهو الاستاذ الذي نفذ الى مغازي التاريخ — ما قد يلقاه دونها من العقبات والمتاعب . فبذل هو وتلميذه السابق ، وزميله في الجامعة بعدئذ ، الدكتور بنش ، كل جهد وكل سعي في سبيل اقناع الحلفاء المنصرفين حينئذ الى امورهم العسكرية والسياسية المرتبكة ، ان في قلب اوربا ، وفي قلب امبراطورية النمسا والمجر بلاداً تدعى تشكوسلوفا كيا يقطنها شعب يطلب الحرية ، شعب له ماض مجيد ، وله ثقافة عالية ، ومستعد ان يبذل في سبيل حريته ارواح ابنائه في تأييد الحلفاء

قرعاً كل باب وخطباً رجال الصحافة ورجال السياسة ورجال الحرب حتى استرعيا العناية بمطالبهما بقوة ارادتهما ، وتوهج وطنيتهما ، فنظما فرقاً من التشكوسلوفا كيين المقيمين خارج بلادهم لتخوض غمار الحرب الى جانب الحلفاء . لذلك قلنا ان الجمهورية التشكوسلوفا كية انشئت خارج براج اولاً ، لأن استقلالها اعلن ، وبراج عاصمتها ، ما زال مدينة من مدن امبراطورية النمسا والمجر اما بنش التلميذ والوزير والزميل في الكفاح ، واليد اليمنى في الحكم ، فولد من نحو خمسين سنة ، وطلب العلم في بلاده اولاً ثم في باريس ، فلقى في العهدين مصاعب ومشاق ، كانت لولا ارادته الصلبة تغلبت عليه . ثم عاد الى بلاده للتدريس . وكان اجتماعه الاول باستاذ ماساريك قد حرك في نفسه الشعور الوطني ، ونفخ فيه حب الجهاد في سبيل تحرير وطنه من نير النمساويين . فكان يلقي المحاضرات في الجامعة ويكتب الفصول في المجلات ، وهو في خلال ذلك كله يستعد ليومه العتيق . فلما نشبت الحرب الكبرى ، بدأ الظلام ينقشع عن آماله التي وراء الغمام . ولكن أمته كانت في موقف حرج جدّاً ، لان النمسا وحليفها المانيا ، أحرزتا الانتصارات الأولى في معارك الحرب الكبرى ، فبذلت الحكومة النمساوية العيون والارصاد تراقب حركات زعماء التشكيين وسكناتهم

أما هؤلاء فكانوا في حيرة وارتياب . فاذا انتصرت المانيا وحلفاؤها في الحرب ، فوَّت هذا الانتصار عليهم ما يطلبون من حرية واستقلال . واذا كان النصر حليف الحلفاء ، فيجب عليهم كزعماء ، ان يسرعوا الى وضع خطة رشيدة يسترعون بها انظار الحلفاء ، قبل ان يفوت الوقت ولكن بنش لم يتحير ولم يرتبك . كان في خلال تقلده منصب الاستاذ ، قد اشترك في جمعية سياسية سرية في بلاده ، وجازف بحياته غير مرة ، في مطلع الحرب ، لكي يذهب الى سويسرا لمفاوضة الاستاذ ماساريك وكان ماساريك مقيماً هناك بعد فراره في مطلع الحرب ، فكان بنش بذلك صلة بين الزعيم البعيد عن وطنه ، والزعماء المتخلفين . ولما علم في احد الايام ان البوليس في أثره ، غادر بلاده في ليلة ليلاء وجاء الى باريس

قد يصعب الآن ان ندرك ما عاناه بنش من المصاعب في البدء ، لان اكثر الساسة والصحافيين ،

كانوا يجهلون ما هي الأمة التشكية التي تطلب الاستقلال. وكانوا لا يدركون قيمة انضمامها الى الحلفاء وما أثر ذلك في سير الحرب ، لان الانظار كانت متجهة في الغالب الى الميدان الحربي في الجبهة الغربية . فن هو هذا الشاب ، في الثلاثين من العمر ، الذي يجرؤ على قرع الابواب ، طالباً الدخول الى مجالس الحلفاء ، حيث القواد تعلو جباههم سمات اليأس وحيث رجال السياسة مبلبلو الافكار مضعضعوها ؟ ولكنه مضى في الكفاح ، هو واستاذة ماساريك ، واخيراً فازا بمقابلة بريان ، فأسفرت المقابلة عن وعده بالنيابة عن حكومة فرنسا ، بمد يد المساعدة الى الامة التشكية التي تطلب الاستقلال

كان الحلفاء قد اعدوا هجوماً عظيماً في منطقة « الصوم » فأسفر عن خيبة . وإذ الحلفاء يضربون أحساساً لاسداس ، ظهر كتاب في باريس فاسترعى عنوانه نظر الساسة لان موضوعه كان « اضربوا النمسا » . وكان مؤلف الكتاب صاحبنا بنش ، وقد بسط فيه خطة حربية جريئة ، قال : « اطعنوا المانيا في اضعف مقاتلها ، امضوا الشعوب الصقلية في اوربا الوسطى ، اقيموا حاجزاً بين المانيا وحلفائها ، افصلوا المانياعن بلغاريا وتركيا وكذلك يبيد الحلم التوتوني كما يتبدد الدخان في صاففة » فأقبل ساسة الحلفاء على الخطة . وزالت المصاعب من وجه المكافئين الوطنيين التشكيين ، وفي اواخر سنة ١٩١٧ اعترف الحلفاء بالمجلس الوطني التشكي اعترافاً رسمياً

ان فكر ماساريك هو الفكر الذي نظم الحركة ، وروحته هي التي بثت في صدور الشعب التشكوسلوفيكي — وهو مظلوم مرهق — بارقة الرجاء ، واشعات نور الامل . ولكن السيف الذي فتح امامها الطريق كان سيف بنش ، فانتخب ماساريك رئيساً للجمهورية ، وبنش وزيراً لخارجيتها . كانت افوضى ضاربة اطنابها في اوربا الوسطى حينئذ ، وكان شبح البولشفية يحوم فوقها ، والنعرات القومية تهدد بالانحلال والتفرقة ، ولكن تشكوسلوفيا كما امة منظمة اليوم ، لم تفرقها النعرات ، وقد أصبحت ولها اعوان وحلفاء ، ولوزير خارجيتها كلمة عليا في شؤون اوربا الوسطى ، ومحافل السياسة الدولية ، كجمعية الامم ومؤتمر نزع السلاح ومجلس الاتفاق الصغير

بل هناك ما هو ابعث على الامل . ان هذه البلاد الفتية ، بنطل الاستعداد الطويل للحياة الديمقراطية ، لا تزال من البلدان اقلية في اوربا لمنظمة بالنظام الديمقراطي . ولعل فاسنة رئيسهم الشيخ الجليل تلخص في قوله « لقد كثر الحديث في العهد الاخير عن عجز النظام الديمقراطي . ولكن الديمقراطية لم تخفق . بل هم الرجال الذين اخفقوا . ويجب ان لا ننسى ان الحكومات الملكية والديكتاتورية نفسها قد لقيت من المصاعب ولا تزال تلاقى منها ، ما يجعل الحكم على الديمقراطية بالعجز سائراً عليها كذلك » وقوله : « ان اوربا تتبناز فترة مريضة في حياتها العامة ولا تائب الامم ان تخرج من ظلماتها الى وضع الحياة الدستورية السليمة »

امد الله في عمر الشيخ الجليل فان في كلماته انما عاشاً للنفوس الحرة التي تأبى الارهاق والاستبداد

نظرة هكيم مجرب في

الحالة الأوروبية

ملخص مقال للجنرال سمطس

الجنرال سمطس أحد زعماء اتحاد افريقية الجنوبية ، معروف في دوائر العلم والسياسة على السواء . فقد ترأس مجمع تقدم العلوم البريطاني من ثلاث سنوات وله كتب فلسفية وبحسب من أعلام فلسفة جديدة تعرف بالفلسفة الكلية Holism. أما في السياسة الدولية ، فقد كان من كبار أقطاب الحلفاء في الحرب الكبرى وعضواً في الوفد البريطاني في مؤتمر الصلح وقد اشترك في وضع دستور جمعية الأمم وله مكانة عظيمة بين دعاتها

إذا قلبنا النظر في الحالة الأوروبية اليوم تبيننا طائفتين من القوى تتنازعان في الخفاء لتوجيه الخطط السياسية الدولية . فالطائفة الواحدة تنبع من الشعور بالخوف والآخرى من الشعور بالذل والحرمان. وكلا الشعورين أعراض مرض لا دلائل نمو سليم . فإذا لم يعالجا بالحكمة أفضيا الى نتائج خطيرة في حياة العالم العامة

وقد يكون هذا الاعتراف منا اعترافاً بالخذلان ، ولكن يبدو لي أن الشعور بالخوف والجزع هو المحرك الاساسي في صلات الدول الأوروبية بعضها ببعض . الخوف ! أخس البواعث الانسانية على الاطلاق يسود الحضارة الأوروبية الآن . فالدول التي أحرزت النصر في الحرب الكبرى ، أبعد ما يكون عن الشعور بالطمأنينة التي تصحب النصر، يثيرها ويقلقها خوف عصبي على مستقبلها . أما الدول التي خذلت في الحرب الكبرى فغير راضية عن التسليم بالحرمان الذي كان نصيبها وترفض قبول مكاناً غير الصدر في مجامع الأمم المتحدة . فالدول المنتصرة يحركها الخوف من الدول الخذولة . والدول الخذولة عازمة العزم كله على استرداد مساواتها بالدول المنتصرة . فالحالة الذهنية والنفسية الناشئة عن هذين الباعثين، جعلت ميدان العلاقات الدولية الأوروبية مضطرباً كل الاضطراب ، وهي تسير بأوروبا على طريق الفوضى. لذلك نرى العقل مكبوتاً والمشاعر الانسانية العالية مشلولة ، والسيادة الآن للدوافع التي تحول دون الارتقاء المنتظم القائم على التفاهم والتعاون . ولذلك نرى كل مسألة من المسائل الخطيرة مستعصية على الحل في هذا الجو المضطرب . فالسعي الى نزع السلاح أو خفضه قد أخفق أو كاد ، حالة أن كل عاقل في الدول المختلفة يرى أن لا ندمة عنه . والتعاون الدولي مهدد بالخطر مع أن كل مصالحة من المصالح الدولية الأوروبية وغير الأوروبية تقتضيه

فإذا شاءت أوروبا أن تعود الى الطريق القويم ، وجب على أممها ، غالبية ومغلوقة ، أن تستثني من

هذه العقدة الفرويدية، أن تستعيد سلامة النظر وصحة الحكم، أن تنظر الى علاقاتها بعضها ببعض نظراً سليماً غير مشوه ولا مضطرب . وليس ثمة عالم بالتحليل النفسي يستطيع أن يعالجها كما يعالج علماء التحليل النفسي ما يصاب به بعض الناس من العقد النفسية . ولعلَّ السبيل الاقوم الى ذلك هو أن تعترف دول اوربا جميعاً بأنها اتبعت في أفعالها حتى الآن طريق الحق لا طريق العقل من مظاهر الشعور بالخوف هذا الحديث المستفيض في الصحف والدوائر عن الحرب . يقال أننا على عتبة حرب جديدة ، وان الحرب قاب قوسين منا أو أدنى . هذا التحدث بالحرب يخلق جو الحرب ، وقد يكون أقوى البواعث على نشوبها . وهو عندى خطأ كبير وشرٌ عظيم . والغريب في كل هذا أن دعاة السلام ، هم أعلى الناس صوتاً في هذا الحديث . انهم يرغبون في تصوير ويلات الحرب للسواد من الناس لتفجيرهم منها ، فتحملهم رغبتهم هذه على خلق الذهنية التي تفضي الى الحرب . ثم هناك صناع الأسلحة وهؤلاء يعرفون انهم يحنون ربحاً عظيماً من التحدث بالحرب وقرب وقوعها ووجوب الاستعداد لها . لذلك أناشد رجال السياسة ورجال القلم ، أن يضعوا حداً حاسماً لهذه الدعاية الخطيرة

ان توقع الحرب في الغد أو في المستقبل القريب ، ضرب من السخف . وهذه حقيقة يعرفها كل مطلع على بواطن الامور . فالاحوال اليوم غير ما كانت عليه سنة ١٩١٤ اذ كانت الحرب في المستقبل القريب خطة مرسومة حينئذ ، وكانت الدول تستعدُّ لها على أنها واقعة لا محالة . بل أن أركان الحرب في كل منها ، كانوا قد وضعوا الخطط وعينوا المواعيد ليومها المشهود . أما اليوم فقلما نجد أمة ترغب في الحرب . وكل رجل من رجال السياسة يدرك أن في الحرب دماراً أمته وخاتمة لحياته العامة اذا كان هو من مثيرها . ولعلنا لا نجد بين الامم الا أمة واحدة مستعدة لها الاستعداد كله . ومع ذلك فالسواد في هذه الامة يطلب السلام . ولا ريب عند أصحاب الرأي في ان نشوب الحرب يكون في الغالب ايذاناً بانطلاق ثورات داخلية على الحكام

ولكن الشؤون العسكرية أقل شغلاً لأفكار الساسة من الشؤون الاقتصادية . ان بعض الكتاب لا يني عن تذكرنا بما هو واقع على ضفة الرين الشرقية ، من تسلُّح خفي ، وتزوين عسكري . وقد يكون كل هذا صحيحاً ، والغالب ان جانباً كبيراً منه صحيح ، ولكنه ليس في الراجح إلا أثرٌ من آثار ذلك الشعور بالحرمان . ليس هذا نزعة عسكرية صحيحة . إن هو إلا نوع من التخدير العسكري . فهذه الافعال ، التي تنطوي على صنع السلاح ، والتزوين العسكري ، تنشئ شعوراً بالرضا والطمأنينة في أذهان قوم يحسون أنهم أدلوا وحرموا وعوملوا معاملة المسود . ان روح الحرب ، تختلف عن هذا كل الاختلاف . وقد تستيقظ روح الحرب ثانية ، اذا تركت الامور تسير في أعنتها ، ولكنها الآن ، مدفونة تحت ركام الحرب الكبرى . أنا لا أصدق أن الالماني الآن يبغى الحرب حقيقة ، وأنه فعلاً يستعدُّ لها ، إلا اذا كان صوابه قد طار . فلنضع حداً حاسماً لهذا الحديث . ولست أعني بما أقول

ان الحالة لا تنطوي على مخاطر تقلق النفوس ، ولكنها على كل حال لا تسوغ التحدث بالحرب ، ومنع التحدث بالحرب سبيل الى معالجتها

والعلاج لهذين الشعورين ليس إلا الطريقة الفرويدية نفسها ، أي إستخراج الدفائن من الاعماق ، وتعريضها لضوء النهار . وهذه هي طريقة جمعية الأمم . قد لا تكون الجمعية وسيلة لضمان السلامة ، وقد ينقصها عنصر القوة لتأييد ما تتخذه من الاحكام ، ولكنها على كل حال منبر للمناقشة بين الامم « ومائدة مستديرة » يجلس حولها رجال السياسة ، فينفسون عما في صدورهم بابداء آرائهم والدفاع عنها . والواقع أن جمعية الأمم انشئت لتكون أولاً وأخراً « مائدة مستديرة » للأمم ، تصلح لمعالجة شعور الخوف وشفائه بالاساليب العلمية والانسانية معاً

ولكن هناك من يقول ان هذا وحده لا يكفي ، وأنه ما ظلت جمعية الامم ، مكاناً للمناقشة والمناظرة ، غير مؤيدة بضمانات القوة لتنفيذ احكامها ، يظل الشعور بالخوف سائداً ، مسيطراً على العلاقات الدولية . بل يقال ان عجز جمعية الامم عن تعزيز النظام المشترك بالقوة اذا اقتضى الامر ذلك ، قد اضعف من هيبتها وسار بها على طريق الانحلال . ويشيرون الى حادثة اليابان ومنشوكو التي كشفت عن ضعف الجمعية واقامت الدليل على أن الجمعية مقضي عليها اذا هي لم تعزز بقوة مسلحة لتحقيق خططها وفرض احكامها فرضاً

ان جوابي على هذه الاعتراضات جواب مزدوج . ففي المقام الاول لا يستطيع ان تصور جمعية الامم وهي شاكية السلاح . ان فكرتها الاولى لم تقم على مبدأ القوة ، ودستورها لم يوضع لهذا الغرض . فاذا حوِّلت ، الى قوة مسلحة ، الى نظام غرضه خوض الحرب لمنع الحرب ، قضى عليها قضاءً مبرماً . ذلك انني لا أستطيع ان تصور بلدان « الدومنيون » — في الامبراطورية البريطانية — باقية اعضاء فيها متمهدة ان يخوض غمار الحروب الاوروبية مثلاً . فاذا خرجت منها بلدان « الدومنيون » لم يطل المطال على انكترا حتى تقتفي أثرها . ولست اعرف اي عمل آخر ، يكفي لصدّ الولايات المتحدة الاميركية عن الانتظام فيها صدّاً نهائياً مثل تحويلها الى اداة عسكرية من شأنها ان تنفذ احكامها بالسلاح . ويجب ان تذكروا ان الجمعية لا يتم تأليفها قبل ان تنتظم فيها الولايات المتحدة الاميركية . فقد انشئت الجمعية على زعم ان الولايات المتحدة الاميركية عضو فيها ، فانسحاب اميركا من عضويتها فوتت على الجمعية حتى الآن معظم اغراضها . ولكن ضمّ الولايات المتحدة اليها يجب ان يبقى هدفاً يسعى اليه ، اصدقاء الجمعية ودعاة السلام . ولا ريب عندي في انه لا بدّ من مجيء وقت تنتظم الولايات المتحدة الاميركية فيها او في جمعية هي اشبه ما يكون بمؤتمر دولي . ولكنها لن تنتظم في وزارة حربية دولية . وانني لو اتفق أن تحويل الجمعية ، الى عصابة مسلحة ، منافٍ لغرضها الاسامي . بل ان حلّ المشكلات الناشئة عن شعور الخوف والجزع ، لا يلتبس من هذه الطريق

وفي المقام الثاني ، احب أن أقول ، ان التجارب ، قد علمتنا منذ انشئت الجمعية ، كيف الخروج من

المأزق . فمعاهدة لوكارنو، قد أدمجت في النظام المشترك تحت اشراف الجمعية . ومعاهدة لوكارنو هذه ابتدعت في السياسة الاوربية مبدأ الضمانات الخاصة في منطقة محدودة من الارض تشارك فيها دول معينة غرضها الدفع المتبادل عن سلامتها تحت اشراف الجمعية وسيطرتها . فهذا الاتفاق لا يحتم على جميع اعضاء الجمعية من دون تفريق بينهم ، استعمال السلاح في حالة خاصة معينة ، بل هي تربط بين الدول التي لها مصلحة في ذلك وترغب في الانضمام والتعاون على هذا الاساس . والميثاق الشرقي المقترح ، المعروف باسم «لوكارنو شرق اوربا» اتفاق آخر من هذا القبيل ، وكذلك ميثاق أوربا الوسطى الذي وضعت قواعده في روما عند اجتماع لافال بموسوليني في اوائل السنة الجديدة . فاذا كان شعور الخوف في اوربا ، لا يزول الا بضمانات من هذا القبيل ، فلتكن ضمانات محدودة مقتصرة على ام معينة ، تهمها هذه الضمانات ، في منطقة خاصة من سطح القارة الاوربية . ان القوى المسلحة التي تستعمل لتأييد السلامة ، يجب ان تكون قوى قومية تحرك وفقاً لاتفاقات ومواثيق موضوعة ، لا قوى تابعة للجمعية الامم وخاضعة لسيطرتها

اكتفيت حتى الآن بالاشارة الى شعور الخوف وطريقة علاجه . ولكن الشعور الآخر شعور الحرمان متصل به أوثق اتصال . فاذا كان السلام بغيتنا حقيقة لم نجن فائدة ما من معالجة الشعور الواحد دون الآخر . ذلك ان الخوف يستفحل باستفحال الشعور بالحرمان وتلظيه . والشعور بالحرمان يستفحل باستفحال الشعور بالخوف واعتماد اصحابه على زيادة السلاح للذب عن حياضهم وإدخال الطمانينة على نفوسهم . فالشعور الواحد يغذي الشعور الآخر ، وكلاهما يفضي الى خطة التسليح بغرض الدفاع عن النفس . فاذا لم يعالج الشعوران معاً ، انتهينا الى حلقة مفرغة آتيا زيادة السلاح . فإزالة شعور الحرمان المتغلغل في نفوس الشعب الالماني لازم لتعزيز السلام لزوم ازالة شعور الخوف من نفوس الشعب الفرنسي . وكلاهما لا ندحه عنه لنجاح اية خطة غرضها نزع السلاح أو خفضه فكيف نزيل شعور الحرمان الذي يسم ذهن المانيا ونفسها ؟ ليس لذلك الا سبيل واحدة وهي الاعتراف لها بالمساواة التامة بالدول الاخرى ، وان يكون هذا الاعتراف صريحاً ومن دون تحفظ .

وما لم نعد الى الجرأة والسرعة في اتخاذ هذه الخطوة يظل الجرح الاوربي منطوياً على دغل ان الباحث يفهم المخاوف التي تقلق صدر فرنسا ، ولكنه في الوقت نفسه لا يسعه الا أن يفهم كذلك ما تمسك به المانيا لانها لا تزال في مكان ثانوي بين الامم ، وقد انقضت ست عشرة سنة على انتهاء الحرب . ان بقاءها على الحالة التي نصت عليها معاهدة فرساي ، أصبح امتهاناً لضمير اوربا وخطراً على السلام . أن شرعة الانصاف ، بل والحكمة العملية ، تقتضيان تحطيم القيود التي قيدت بها ، فتجني اوربا عند ذلك حصاد الطمانينة والرخاء . يظن بعض الناس أن النخوة والشهامة لا مكان لهما في السياسة الدولية . ولكنني رأيتهما في بلادي ، تبدلان حالة منطوية على اخطار عظيمة ، بصداقة محكمة بين الغالب والمغلوب . هذه طبيعة الانسان . واذا صح أن لا مكان في السياسة الاوربية

للنخوة والشهامة ، فلا ريب أن فيها مكاناً للمصلحة والحكمة . وكلتاها تقضي بمواجهة الحقيقة قبل أن يفوت الأوان ، فستأصل شعور الحرمان الذي يوغر الصدور

منحت المانيا مبدء المساواة في ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، لما اتفقت الدول الكبرى في مؤتمر نزع السلاح على ذلك . ولو أن المؤتمر خطا الخطوة العملية نحو تحقيق هذا المبدأ لكانت المانيا اليوم عضواً في جمعية الأمم ، لا باعثاً من بواعث الاضطراب والقلق خارجها ، ولقبلي في الغالب الاتفاق على خفض السلاح خفضاً كبيراً على اساس مقترحات الحكومات البريطانية . ولكنها اليوم خارج حظيرة الجمعية ، وموقفها من التسليح المخالف لمعاهدة فرساي ، محوط بالريب منظور على الخطر . هوذا شعور الحرمان يستغل فيفشي شعور الخوف ، وشعور الخوف يتفاهم فيقوي شعور الحرمان . والنتيجة نوع من التنافس في التسليح لا يعلم احد مداه وعواقبه

قد تكون مبادئ النظام النازي مما لا يسيغه رجال السياسة في بعض الدول الاوربية . ولكن ذلك يجب ألا يكون حائلاً دون الاعتراف لألمانيا بالمساواة . فيقفى بذلك على الشعور الذي يعتمد عليه النازي في اثاره كوامن الصدور . وهاهي ذي روسيا ، رغمًا من شيوعيتها ، قد أصبحت عضواً نافعاً في مجامع الأمم ، ولا ريب عندي في أن الضرورة التي تقتضي عودة المانيا الى مجامع الأمم ، لا تقل عن الضرورة التي اقتضت عودة روسيا اليها

أعلنت ألمانيا في آخر سنة ١٩٣٣ أنها اذا منحت مبدء المساواة في الحقوق ، رضيت مختارة أن تجعل سلاحها الدفاعي ضمن حدود معينة ، بحيث لا يكون خطراً على حيرتها . وقد اعترف أهل الخبرة ، في هذه البلاد على الاقل (انكلترا) بأن مقترحاتها معقولة وتصح أن تكون أساساً للبحث . هذا قرار وضع من نحو سنة ولكنه لا يزال حبراً على ورق . ان روح الخذلان متفشية في مختلف البلدان والشعوب تهز أكتافها قاطعةً جبل الأمل في النجاح . وهذه روح ليست جديدة بالذين تلقنوا في الحرب الكبرى درس الصبر والثبات ، كأننا تلبد الجو بغيم الخيبة ما كان . ولا يزال ثمة مكان لمحاولة حازمة غرضها اعادة المانيا الى جمعية الأمم ومؤتمر نزع السلاح . بيد ان سياسة اوربا يجب أن ينقوا عقولهم ، من آثار السموم — سموم الخوف والحرمان — ويجب أن يستنهضوا شجاعتهم لاتخاذ الخطوة الحاسمة ، واعلان مساواة المانيا بالدول الأخرى . فانهم اذا لم يفعلوا ذلك بالاتفاق ، تم ما يخشونه رغمًا عنهم . ولكن الفرق بين الحالين ، ان المانيا في حالة الاتفاق لا تكون خطراً تهدد حيرتها ، أما اذا بلغت المساواة من دون اتفاق ، كان عملها تحدياً لنظام المعاهدات ، وتسليحها مطلقاً من القيود ، فلا يعلم مداه ، فيتم حينئذ في موضوع التسليح ما تم في موضوع التعويضات . عند ذلك تكون السياسة قد أفلست ، ويبقى الحكم للحوادث وحدها ^(١)

(١) وقف الجنرال سمطس بقية مقاله على الشرق الاقصى ، وهو موضوع سوف نرد له بحثاً مستقلاً في عدد تال

مملكة المرأة

المعادن في اللبن

المرأة الفرنسية وحق الانتخاب

الحب والمغازلة في روسيا السوفيتية

مقومات الجمال

زيت كبد الحوت وفعاله

للدكتور عبده رزق

سلامة الاطفال



رأس فتاة

صورة قديمة للمصور الهولندي جان فرمير — كشفت حديثاً



المعادن في اللبن

وحاجة الجسم الى الكالسيوم والنحاس والحديد

اسباب لين العظام وفقر الدم

ان الذين يشربون اللبن الحليب يعلمون انه طعام طبيعي مغذٍ ولكنهم قلما يدرون انه يحتوي على ٢٥ صنفاً من المعادن المتباينة . قد يعلمون مثلاً انه من افضل المصادر لاملاح الجير مثل فصقات الجير ، ولكنهم ولا ريب يدهشون اذا علموا ان في اللبن معادن مثل الليثيوم والسترونشيوم والقاديوم والروبيديوم والتيتانيوم والجرمانيوم وجميعها من العناصر النادرة

ان المواد الجامدة في سائل اللبن لا تزيد على جزء من ١٢ منه . والمواد المعدنية لا تزيد على واحد في المائة . ولكن هذا المقدار اليسير يشمل نحو ثلث العناصر المعروفة . وليس في وسع الانسان ان يرى هذه العناصر ، لانها اما معلقة فيه في دقائق صغيرة جداً ، او مذابة فيه ، او داخله في تركيب بعض المواد التي يحتوي عليها سواء اكانت عضوية ام غير عضوية . وبعض هذه المعادن توجد منه مقادير كبيرة — نسبياً — والبعض الآخر لا يوجد منه الا آثار يسيرة جداً ، لا يمكن قياسها ولا كشفها الا بالكواشف الكيماوية الدقيقة او بالحل الكيماوي

واهم المعادن فيه بحسب ترتيب مقاديرها هي الكالسيوم والبوتاسيوم والفوسفور والكلور . ثم يليها الكبريت والمغنيزيوم والحديد . ويلي هذه السلكون والبور والعناصر النادرة التي تقدم ذكرها وليس فيه منها الا آثار قليلة . وحياناً يعثر الكيماوي عند حل اللبن بالوسائل الكيماوية على آثار لعناصر الباريوم والكروم والقصدير والفضة

ولما كانت المعادن في اللبن لا تزيد على واحد في المائة منه ، فبقية مركباته ، من المواد العضوية وهي مركبة من الايدروجين والاكسجين والكربون والنيتروجين ، ومنها نتركب القشدة والمواد البروتينية وسكر اللبن . والكبريت يدخل في تركيب اهم المواد الزلالية (البروتينية) التي في اللبن واهم الجينين اي المادة الجينية واسمها العلمي « كاسين »

واهم المعادن في اللبن عنصرا الكالسيوم والفوسفور ، لانه لا ندحة عنهما في بناء العظام . فاذا كان غذاء الاطفال يعوزه الكالسيوم تأخر نموه ، فاذا استمر هذا النقص في الغذاء او اذا كان الجسم تعوزه المواد اللازمة لتمثيل الكالسيوم ، اصيب الاطفال بلين العظام وتقوسها ، والمتقدمون في السن يحتاجون الى الكالسيوم ولكن حاجتهم اليه ، اقل من حاجة الاطفال ، وتزداد حاجة النساء اليه عند ما يكن حوامل

وقد اثبتت التجارب ان الجسم النامي يحتاج يومياً الى غرام من الكالسيوم ، ولما كان مقدار

الكالسيوم في اللبن يبلغ ١٢ في الالف ، فيحتاج الجسم النامي الى تناول كيلو غرام من اللبن يومياً للحصول على ما يحتاج اليه من الكالسيوم ، اذا اعتمد على اللبن وحده . ومما يحسن ذكره ، ان الكالسيوم في اللبن ، مركب تركيباً يجعل خزنه في الجسم سهلاً ، واستعماله ميسوراً . واما الكالسيوم الذي في النبات فلا يجاربه من هذا القبيل

ثم ان كيلو اللبن ، يجهز الجسم بمقادير حسنة من الفسفور والمواد البروتينية والفيتامين وهي كلها مما لاندحة للجسم عنه . والجسم يحتاج الى فيتامين (د) لتمثيل الكالسيوم . واللبن يحتوي عليه ، ولكن ما فيه لا يكفي فيجب الحصول عليه من المواد الغنية به مثل زيت السمك وصفار البيض . ويمكن زيادته في لبن البقر باضافة الحميرة التي عرضت للاشعة الى طعامها

ومن فوائد الكالسيوم تأثيره الطيب في الجسم تأثيراً يمكنه من تمثيل الحديد . نعم ان مقدار الحديد في اللبن قليل جداً لا يزيد عن مئغرامين في الكيلو غرام ولكن هذا المقدار اليسير ضروري للنمو التام

وقد أثبت البحث الحديث ان النحاس ضروري للجسم لان تمثيله مع الحديد لا ندحة عنه في تكوين بعض عناصر الدم المهمة — أي الهيموغلوبين وهو المادة الاساسية في كريات الدم الحمراء — وقلة الهيموغلوبين تسبب الانيميا أو فقر الدم ، والنحاس في الدم قليل وبوجه خاص اذا قوبل بما يوجد منه في الكبد والجوز واللوز والخضراوات والحبوب — فغذاء يحتوي على خبز القمح واللبن يكفي لتجهيز الجسم بما يحتاج اليه من الحديد والنحاس ، بل انه يكفي لتجهيز الجسم بكل ما يحتاج اليه من جميع الوجوه ويصالح لحفظ الحياة مدى غير محدود

المصغرة

بين البنات والصبيان

قرأ الاستاذ « وني » مدير العيادة النفسية التهديبية بجامعة نورث وسترن الاميريكية رسالة امام مجمع تقدم العلوم الاميركي بدد فيها الوهم القائل بأن الذكور يفوقون الاناث عقلاً ، وان عدد النوايج والعباقرة بينهم أكثر منه بينهن

قال الاستاذ وني : ومما ايد هذا الوهم تفوق عدد كبير من الرجال في الموسيقى والعلم والادب . والتجارب التي اجريت على طائفة صغيرة من الاطفال المتفوقين

على ان هذه التجارب تسير الى عكس النتيجة الاولى اذا اجريت على طائفة كبيرة من البنات والصبيان . وقد جرى هو تجاربه على ١٤١٤٩ صبياً و ١٣٤٩٣ فتاة فوجد ان نسبة المتفوقين في الصبيان الى المتفوقات في البنات ليست ٢ الى ١ كما كان يقال بل ١ الى ١ تماماً

المرأة الفرنسية

وحق الانتخاب

في فرنسا اليوم حركة عظيمة الغرض منها منح النساء الفرنسيات حق الانتخاب وكذلك حق دخول البرلمان وقد كانت الصحف في طليعة من اشترك في هذه الحركة طبعاً فاتفق معظمها على وجوب منح النساء هذين الحقين بعد ما اعترف لهنّ بهما السواد الاعظم من شعوب الارض ويؤخذ مما جاء في الصحف الفرنسية ان الميسيو لويس لوران وزير المستعمرات الفرنسية وهو من اكبر انصار المرأة خطب في مؤتمر عقد اخيراً لتأييد حق النساء الفرنسيات في الانتخاب فقال : « ان قضيتك عادلة قانوناً ومنطقاً وعندى ان الذين يحاربونها لا يعترضون عليك الا بأسباب واعذار تافهة واهية »

وقد كانت جريدة « الطان » في مقدمة الصحف المتحمسة للمرأة الفرنسية فعقدت لذلك فصلاً افتتاحياً استهلته بتعداد المهام التي كانت الاجيال الماضية ترى انها هي وحدها المهام التي يجب ان تلقى على طاق المرأة ويعنى بها مهام البيت والاسرة فلما نالت نساء بعض البلدان الاخرى حق الانتخاب وطالبت النساء الفرنسيات بمساواتهن قال بعضهم ان المرأة ضعيفة وعصبية المزاج فلا يليق بها ان تشغل بالسياسة وبالتالي لا يجوز منحها حق الانتخاب . وذهب آخرون الى القول ان المرأة سخيصة « غير ان كل هذا انقضى عهده وقد تحول العالم حتى أصبح في استطاعة الكاتب ان يقول ان الحرب قضت على تلك العبارات بعد ما اثرت في النفوس زماناً طويلاً

« وما لاشك فيه ان المرأة تظل حارسة البيت عند ما يكون لها بيت ولا ريب كذلك في انها تظل نور هذا البيت ولكن كم من امرأة تضيف الى هذه المهمة مهمة القيادة وكم من امرأة تعمل الآن خارج البيت وتنهض بأعباء كانت حتى في عهد غير بعيد من اختصاص الرجال وحدهم . غير ان الايام عززت شخصية المرأة وقيمتها فتفوقت احياناً على شخصية الرجل وقيمتها

« ولماذا نخشى ايجاد فرقة من النساء السياسيات ؟ فهل افضي تمتع الرجال بحق الانتخاب الى صيرورة جميع الرجال ساسة ؟ بل على الضد من ذلك ان اشتغال المرأة بالسياسة قد يساعد على ازالة بعض الظلم الذي ما برح قائماً فيما يختص بالطفل بل فيما يختص بالمرأة ذاتها

« ويعترض بعضهم على منح النساء حق الانتخاب بحجة انه يؤدي الى نشوء اضطرابات سياسية عظيمة . فهل وقعت انقلابات كالتي يخشونها في البلدان التي منحت المرأة هذا الحق الذي لم يعد في ميسور احد ان ينازعها فيه ؟ وعلى ذكر هذا نقول اننا لا نعرف بلاداً ما تأثر نظام الحكم فيها من جراء تمتع النساء بحق الانتخاب

« بل أننا نخشى أن يفضي عدم الاعتراف للمرأة الفرنسية بحقوقها في الانتخاب الى وقوع

اضطرابات لأنه ليس معقولاً أن تظل في بلاد ديمقراطية كفرنسا ، فئة مهمة من الشعب كقمة النساء مبعدة الى الابد عن الاعمال العامة من دون أن يضر ذلك بالديمقراطية ذاتها
ولا ينازع منازع في أن نظام الحكم الحالي يعوزة دم جديد وفي كل مكان يلهج الناس بضرورة تحقيق وجود من الاصلاح لا يبعد أن يساعد على تحقيقها الاعتراف للنساء بحقوقهن
» ومما هو جدير بالذكر أن الذين يعارضون في حق المرأة الفرنسية في الانتخاب هم أنفسهم الذين يعارضون في كل إصلاح وتحول في الدولة
» وعندنا أن قانون الانتخاب لا يستوفي اصلاحه الا اذا نص على حق المرأة في الانتخاب
كناخبة وكمنتخبة يجوز لها أن تجلس في البرلمان جنباً إلى جنب مع الرجال « اه مقال الطان

الحب والمغازلة

في روسيا السوفيتية

يقول كاتب اوربي عاد حديثاً من روسيا ان الحكومة السوفيتية « الفت الحب » من بلادها لانها تراه مجرد عبث واضاعة وقت فيما لا طائل تحته
وترى هذه الحكومة ان تقاليد الخطبة القديمة لم يعد ثمة ما يسوغها وانه من السخف ان يمضي المرء شهوراً وأياماً في صداقة فتاة قبل ان يجروا على طلب يدها او الاباحة لها بما يكتفه فؤاده
ويقضي النظام الجديد في روسيا على الفتى الروسي طالب الزواج ان يذهب الى الفتاة التي يريد لها زوجة له ويقول لها :

— انا عامل اعمل في مصنع النسيج (مثلاً) ورقمي كذا (ويذكر رقمه) وقد علمت انك تشتغلين في المحل الفلاني ويدكر اسمه فهل تريدن ان تنزوي وجموع اجرتي واجرتك الاسبوعية يكفيني
— هل لك غرفة خاصة تقيم فيها — كلاً ولكن لك انت غرفة فلماذا لا نسكنها
فاذا تم الاتفاق بينهما قصدا الى مكتب التسجيل حيث يوزن كل واحد منهما على انفراد ثم يكشف عليهما الطبيب ايضاً فاذا قرر سلامتهما ذهبا الى موظف خاص ووقعاً امامه ورقة يعترفان فيها بأنهما زوجان ثم يذهبان الى غرفتهما من دون ضجيج ولا احتفال

ويتعلم شباب روسيا ان الحب مضیعة للوقت والمغازلة هباء والقبلات والمواطف عبث وانه جدير بالروسي ان يستعيض من هذا كله بالبحث عن الزوجة السليمة القوية القادرة على العمل والانتاج وللزوجة في روسيا ما للزوج من الحقوق فهي تذهب معه في الصباح الى العمل وتشتغل كما يشتغل والذي ينهض منهما قبل الآخر من النوم يعد الطعام لرفيقه اي ان الزوجة فيها لا تكلف ما تكلفه الزوجات في البلدان الاخرى

مقومات الجمال

سئل جماعة من النساء المشهورات بمجاهلتهن اللواتي بلغن سن الكهولة او كدن يبلغنه : « كيف بلغت هذا السن ولم تزل جميلات الوجه معتدلات القوام ؟ » فكتبن الاجوبة التالية

قالت الاولى : — الصحة ألزم اللوازم اذا اريد الاحتفاظ بالجمال رغماً عن التقدم في السن . وقد اراني الاختبار ان راحة البال ضرورية لحفظ الصحة وان جمال المنظر احدى نتائجها فتتمتع صاحبها بالصبا الدائم

لكن هذه الراحة لا تنال بالادوية ولا بالمسكنات والفضل في ابتعادي عن الادوية لطبيبي فانه يحقرها كلها ولقد طالما قال لي انك تفكرين بنفسك فتتعبين فاجتهدي لكي تنسي نفسك بالرياضة . فاتبعت مشورته فوجدت سر السعادة في الرياضة فانها تجعل الجسم خاضعاً للعقل فلا يبقى حملاً ثقيلاً عليه بل لا يعود يشعر به بل يصير العقل يأمر والجسم يفعل ما امره به خاضعاً مطيعاً . ومتى خضع الجسم للعقل فهناك الصحة والسرور وما السرور الا راحة البال وهو ابو الجمال وامه . هناك طلاقة الوجه وحسن الحيا وبهجة الشباب ولو في سن الشيخوخة . افتكري بشيء يسرك حتى تبرق اسرئك والظري حينئذ في المرأة فتري ان قد ابرقت عيناك واحمررت وجنتاك وعاد اليك صباك

والحزن يفعل ضد ما يفعله الفرح . تغور به العينان ويمتقع الوجه وترتخي المفاصل . واذا توالى على المرأة رسخت آثاره في وجهها وقامت بها . السرور يطفح وجهه سروراً والحزن يخيم الحزن على وجهه وعلى كل ما يحيط به . السرور يسر الذين حوله والحزن يحزنهم . وطلاقة الوجه ليست من الزايا الطبيعية بل هي صفة مكتسبة ، هي جوهرة ثمينة تكتسب بالتمرين والممارسة

اذا لم يكن القوام على ما يراد فالرياضة تصلحه فاذا كان الصدر ضيقاً فالتنفس المستطيل يوسعه وقد يصحبه شيء من الدوار في اول الامر ولكن هذا الدوار يزول بالتكرار ويتسع الصدر ويبدأ رويداً ويظهر اتساعه جلياً في شهر من الزمان

لكن انماء الجسم وتجميله لا يكفيان من غير انماء العقل وتجميله بالمعارف فعلى من تريد ان تكون جميلة جسداً وعقلاً ان تطالع انفس الكتب التي وضعها اربع المؤلفين . ولا داعي للاكثار من المطالعة فان في قراءة صفحة واحدة من كتاب نفيس ما يغذي العقل ويصرفه عن الهموم والغموم . والمرأة التي تواظب على مطالعة الكتب المفيدة النفيسة لا يمضي عليها سنتان حتى تشعر كأنها صغرت عشرين سنة عمماً كانت ولو لم تقرأ الا بضع صفحات كل يوم لان العقل اسرع نمواً من الجسد . والخلاصة ان صحة العقل والجسد هي سر السعادة والشباب والجمال

وقالت الثانية : — اني على يقين تام ان الاكثار من الرياضة في الهواء لازم لحفظ الصحة والشباب والجمال . اما الوسائل التي تستعمل لتحسين الوجه فلم اعبأ بشيء منها وكل ما استعمله من هذا القبيل مادة دهنية نقيه فانها افضل ما يكون لتلين الجلد . اما لون الوجه فيتوقف على الصحة وهي شيء داخلي لا خارجي . وعندي ان قضاء ساعتين او ثلاث كل يوم في الرياضة البدنية افضل لحفظ الصحة والجمال من كل العلاجات والحسنات

والعمل الشاق لا ينهك الجسم الا اذا عمله الانسان عن اضطرار لا عن اختيار وعن كره لا عن رغبة اما الذي يحب عمله ويرغب فيه فلا ضرر عليه منه مهما كان شاقاً . وحب العمل سر من اسرار حفظ الصحة وطلاقة الوجه وجمال المنظر . لكن الاستمرار على العمل يضني الجسم اخيراً فلا بد من الراحة آونة بعد اخرى ، وابدال الشغل العقلي بالرياضة البدنية ، ولتكن في لعب يسره المرأة كالتنس فان اللعب الجسدي المسلي خير من الاقتصار على المشي ولا بد من صرف الغم عن القلب . ولقد كان الغم والههم نصيبني فكنت اغتم لكل فائت واهتم لكل آت فوجدت ان ذلك اضنى جسمي واسرع بي الى الشيخوخة فحتمت على نفسي ان لا اغتم لفائت بعد ان اكون قد بذلت جهدي فيه ولا اهتم لآت مهما كان ثم ان كثيرين من الناس تراهم مرضى خوفاً من المرض وما مرضهم الا الوهم اما انا فقد عودت نفسي الاعتقاد بان صحيحة الجسم ناعمة البال وان كل الاشياء تعمل معاً للخير واخيراً اقول انني لا استحسن ان يضع الانسان لنفسه قواعد يجري عليها وحدوداً لا يتعداها في كيف يقضي كل يوم من ايامه لان هذه القواعد والحدود تصير عبئاً ثقيلاً عليه . والعبء الثقيل شقيق الههم والههم يميث الصحة التي هي ام الشباب والجمال

وقالت الثالثة : — لا يليق بي ان اقول كيف احفظ جمالي لاني لست جميلة ولكنني اقول كيف احاول ان احفظ صباي . وعندي ان حفظ الصبا اهم من حفظ الجمال لان الصبية لا تموت مرتين كالجميلة . وسن المرأة يتوقف على شعورها واذ اني لا اشعر بالتقدم في السن فانا لا ازال في سن الصبا وزد على ذلك اني ما دمت مواظبة على عملي فانا مواظبة على صباي . وسر الصبا هو سرور العامل بعمله ومن يريد ان لا يفارقه صباه فعليه ان يواظب على العمل ما استطاع الى ذلك سبيلاً اما الطعام فيختلف باختلاف الاشخاص لان ما ينفع الواحد قد يضر الآخر لكن الاختبار الطويل قد علمني ان البساطة في المآكل تحفظ الصبا والجمال . اما حفظ الصبا الذي هو حفظ الجمال فيقوم بالرياضة الكثيرة في الخلاء حيث الهواء النقي

وخلاصة المقال ان حفظ الصبا والجمال يقوم ببساطة المآكل وانتظام الرياضة والانصباب على العمل وصرف الههم عن القلب . وقد قضت الضرورة ان استشير الطبيب احياناً ولكنني لا اعمل بمشورته

زيت كبد الحوت

للركنور عبره رزق

لا يخفى ما لزيت كبد الحوت وصفار البيض النقي والدهن المستخرج من الجوز الهندي من الخواص المفيدة ضد الحثل أو الكساح . كذلك من جهة أخرى لنور الشمس ولا سيما أشعته التي فوق البنفسجية فائدة كبيرة على ما أثبتته التجارب العلمية في السنوات الأخيرة . فهذا التشابه في التأثير حمل بعض العلماء على التساؤل هل هناك علاقة وثيقة بين زيت السمك ونور الشمس ، كعوامل من ناحية العلاج ، وهما كما ترى من عناصر مختلفة جداً

ويؤخذ من الاختبارات العديدة والبحوث المتواصلة التي يواليها العلماء من سنة ١٩٢٢ حتى الآن ان العلاقة المذكورة قائمة فعلاً بشكل يبعث على الدهشة والعجب . اذ قد لاحظ أنه اذا اخذنا مثلاً طائفة من الارانب أو الجرذان ، وأعطيناها أصنافاً معينة من طعام تسبب عادة داء الكساح ، تبقى سليمة من هذا الداء عند ما نعرضها للأشعة التي فوق البنفسجية . كذلك تبقى متمتعة بصحة تامة عند ما نضع معها في أقفاصها جرذاناً أو أرانب أخرى كانت قد تعرضت قبلاً لذات الاشعة . فهذا النوع من المناعة يحصل على ما يظهر بطريق غير مباشر ويحتمل أن يكون حدوثه بواسطة براز تلك الحيوانات بعد تعرضها للأشعة المذكورة

فهذه النتائج غير المنتظرة مهدت السبيل اذ ذاك للبحث عما يمكن أن يكون العنصر الموجود في أعضاء تلك الحيوانات ، الذي يمنع ظهور الكساح . وقد اتضح بعدئذ ان هذا الفعل لا يقتصر على الجرذان أو الأرانب التي تقتات من أصناف معينة من طعام يولد فيها الكساح ولكنها تبقى سليمة من هذا الداء متى أضفنا الى طعامها هذا الكبد أو العضلات من جرذان أخرى قد تعرضت قبلاً لتلك الاشعة ، بل انها أيضاً لا تصاب بالكساح اذا اعطيت الدقيق بعد تعرضه لنفس الاشعة فاذا أضفنا الى هذا الحادث الخطير ما هو معروف الآن عن زيت كبد الحوت جاز لنا أن نعتقد ان خواص هذا الزيت المانعة للكساح يجب أن يكون مصدرها النور الشمسي ، وأنه ممكن ولا شك إكساب تلك القوة للزيوت الأخرى بتعرضها للأشعة التي فوق البنفسجية . وفي الواقع قد عرض لها زيت الزيتون وشحم الخنزير وزيت القطن فاكسبت نفس الخواص التي اشتهر بها زيت كبد الحوت وبنفس الدرجة — على شرط أن تكون هذه المواد طازجة ومدة تعرضها للأشعة قصيرة . وعلى نقيض ذلك كانت دهشة العلماء عظيمة لما تبين لهم أن زيت كبد الحوت والدهن المستخرج من الجوز الهندي مع الزيوت الأخرى ، تفقد خواصها الطبيعية المانعة للكساح عند ما تعرض مرة ثانية للأشعة ذاتها

نخواص زيت كبد الحوت ، مع الزيوت الأخرى ، ضد الكساح ، تكتسب اذاً والحالة هذه الصفات من أول تعرض للنور الشمسي سواء أ كان ذلك بطريق مباشر وقت تحضيرها أم بطريق غير

مباشر كما هي الحال مثلاً في زيت كبد الحوت . لان الحيتان كما هو معلوم تقتات بالاسماك التي في المياه الصافية وهذه تتغذى ببعض النباتات البحرية التي تخزن نور الشمس كما تفعل النباتات على سطح الارض . والذي يؤيد هذه النظرية الصائبة هو أن دهن الجوز الهندي الذي يستخرج فور وصول هذا الجوز الى المعامل يكون دائماً عديم المفعول وليس له أي تأثير ، بعكس دهن الجوز الهندي التجاري المجفف في الشمس الشديدة . وما تقدم ذكره عن الزيوت والادهان يقال أيضاً عن كافة أنواع الاطعمة : كالحليب والزبد واللحم وأنواع الدقيق والبقول والاشجار حتى الاطعمة المركبة من هذه المواد — على شرط أن تكون نقية ، فتحوز حينئذ تلك الصفات المانعة للكساح وتزيد مقادير الفوسفور الذي في المصل الدموي وبالتالي تساعد على تكلس العظام

وعدا ذلك فهذه الاطعمة التي اختزلت الاشعة الشمسية بفضل تعريضها للاشعة التي فوق البنفسجية تبديد الجراثيم الفتاكة وتؤثر في خلايا الجسم فتزيدها مناعة وقوة فهذا الاكتشاف الذي لا يزال اليوم في مهده ، أو في أدواره الاولى من الاختبار ، سيكون على ما يظهر عظيماً بنتائجه وقد يحدث انقلاباً مهماً في علم العلاج . وعلى كل فهو يؤيد لنا مرة أخرى وجود تلك الغريزة التي تسوق الانسان منذ أبعد الأزمنة الى تجربة استعمال الادوية ، كزيت كبد الحوت ، الذي لم يكن أحد يشك في منفعه الخاصة ضد المرض الذي يستعمل لأجله

عادة شرب الشاي

كتب طبيبان انكليزيان — هما الدكتور مايل والدكتور سميكت طبيبا شرف في مستشفى فكتوريا — مقالا في جريدة اللانست الطبية قالوا فيه انهما لا يفهمان الحكمة من العادة الشائعة وهي عادة تناول الشاي في الساعة الرابعة والنصف الى الساعة الخامسة مساءً . وقد بنيا رأيهما على دراسة طول المدة التي يلبث فيها الطعام في المعدة بعد تصويرها مراراً بأشعة اكس . فقد ثبت لهما أن الطعام يبقى في المعدة بعد تناوله من ٣ ١/٢ ساعة إلى ٤ ١/٢ فالذي يتناول طعام الافطار في الساعة الثامنة والنصف صباحاً تكون معدته قد دخلت منه في الساعة الثانية عشرة والنصف الى نحو الساعة الواحدة واذن فيكون تناول طعام الغداء في الساعة الواحدة بعد الظهر عملاً معقولاً من الناحية الطبية ولكن المدة التي تنقضي بين تناول الغداء (الساعة ١ — ٢ بعد الظهر) وشرب الشاي — أو أكل الشاي كما يقول الانكليز لانهم يأكلون معه قدراً لا بأس به من الخبز والزبد والكعك — في الساعة الرابعة والنصف ، لا تكفي لهضم طعام الغداء في المعدة وخروجه منها . ولذلك يفضلان أن يقدم طعام العشاء الى الساعة السادسة أو السادسة والنصف على أن يمتنع عن اكل الشاي في الساعة الرابعة والنصف فتصيب المعدة قليلاً من الراحة قبل العشاء . وهذا يمكن الذين يسهرون من تناول شيء من الطعام حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً

سيرة الأطفال

لوجوب الاعتناء بالأطفال أسباب دينية وأدبية معلومة . وله سبب اجتماعي عظيم الشأن ، نقيم له بعض الدول الآن وزناً كبيراً ، على ما نراه في إيطاليا الفاشستية وألمانيا النازية من الحث على وجوب الزواج واختلاف النسل . ذلك أن الشعوب الكبيرة القوية تكون في عزة ومنعة واطمئنان أكثر من الشعوب الصغيرة الضعيفة . وإننا لنتألم جداً في تمكن المؤتمرات والمواثيق من ضمان الاستقلال والأمن والسلامة والراحة للشعوب الصغيرة الضعيفة مهما بذلوا في هذا السبيل من السعي والجهد ، لأن تنازع البقاء قد يتغلب على جميع الحقوق الأدبية والاجتماعية ، إذ أنه سبب طبيعي . والطبيعة قلما تقهر بمثل هذه السرعة

وسواء كان حفظ حياة الأطفال مبنياً على أساس ديني أو على أساس أدبي واجتماعي ، فالقول بوجوبه يقول به كل أحد ، وقلما يجرؤ أحد أن ينقضه عمداً إذا عرف الأسباب التي تमित الأطفال أو تجعلهم يعيشون مرضى ضعافاً والوسائل التي تقيهم من ذلك

ويمكن قسمة هذه الأسباب الى قسمين كبيرين . الاول الاسباب التي تؤثر في الطفل وهو جنين ثم في الايام الاولى بعد ولادته . والثاني الاسباب التي تؤثر فيه في السنوات الاربع الاولى من حياته

قبل الولادة وبعيدها (١)

الراسخ في الاذهان أن حياة الجنين من حيث قوته وضعفه متوقفة على صحة أمه فقط ، والحال أنها متوقفة أيضاً على صحة أبيه . فاذا كان أحد والديه مصاباً بالزهري مات جنيناً قبل أن يولد ، أو ولد ضعيفاً سقيماً . فلا يجوز للوالدين أن يزوجوا ابنتهما برجل إلا إذا كان معه شهادة من طبيب تقرر بأنه خالٍ من هذا الداء الخبيث : ومن أصيب به وعولج العلاج الواجب قبل تغلغله في الجسم فقد يشفى منه تماماً وحينئذٍ يحمل زوجته

ويظن أن حالة الحامل البدنية من حيث كونها تغتذي الغذاء الكافي أو لا تغتذي لا تؤثر في صحة جنينها . ولكن هذا الظن غير صحيح . فقد ظهر بالاحصاء . ان الحوامل اللواتي لا يغتذين الغذاء الكافي يكثر اسقاطهن لأجنهن . فان الأجنة الذين يموتون في بطون أمهاتهم أكثر بين الفقراء الذين لا يغتذي نساؤهم الغذاء الكافي ، منهم بين الاغنياء ، واذا لم يتأثر الأجنة من قلة تغذية أمهاتهم فلهي يتأثرون بعد ما يولدون من قلة لبن أمهاتهم

(١) زجوقارئات المقتطف ان يراجعن فصل العناية بالحامل الذي نشرناه في مقتطف فبراير الماضي صفحة ٢٣٠

وقد ظهر حديثاً ان بعض العناصر لا ندحة عنها في غذاء الحوامل . وفي مقدمتها اليود . وهو يوجد في بعض الاطعمة في مقادير قليلة جداً ، ولكنها مع ذلك لا ندحة عنها لسلامة الجنين . وقد جرّبت التجارب في بعض الحيوانات الولودة فتبين ان اليود عنصر ضروري لسلامة الجنين ومنع الاجهاض

وما يقال عن قلة غذاء الحوامل والمراضع يقال عن تشغيل الحوامل بأعمال عنيفة في الأشهر الاخيرة من شهور الحمل فان الاعمال العنيفة قد تقضي الى اسقاط الجنين وقد لا يموت الجنين من السببين الأولين ، بل يولد حياً ثم يموت في الأسبوع الأول بعد ولادته . اما لان احد والديه مصاب بمرض خبيث او لان بدن والدته لم يغذم الغذاء الكافي لجعل جسمه يحتمل العوارض التي تعرض له بعد ولادته

بعد الولادة

العناية بالطفل بعد الولادة من الناحية الصحية من اوجب الواجبات على الوالدة لانه قد ظهر بالاحصاء في البلاد الانكليزية ان وفيات الاطفال في الشهر الاول بعد ولادتهم تكون في المدن اكثر منها في الارياف . وفي بعض المدن اكثر منها في غيرها . وفي بعض الاحياء في المدينة الواحدة اكثر منها في احياء اخرى . ويستدل من ذلك على ان لكثرة الوفيات اسباباً يمكن منعها لانها متنوعة في بعض الأماكن . واطهر ما وضع من ذلك ان وفيات اطفال الفقراء تكون مثل وفيات اطفال الاغنياء في الأسبوع الأول بعد الولادة ثم تزيد وفيات الفقراء على وفيات الاغنياء الى اربعين في المائة في الشهر الأول . ووجد مدير الاحصاء في بلاد الانكليز سنة ١٩١١ ان وفيات الاطفال الذين سنهم اقل من شهر يختلف باختلاف اعمال الوالدين من ٣٠ في الالف اذا كان والدون موسرين الى ٤٦ في الالف اذا كانوا معسرين

وقد قابل الدكتور ستيفنسن بين ٨٤٣٢٩٣ طفلاً ولدوا في وقت واحد سنة ١٩١١ وبين وفياتهم فوجد ان الذين كانت وفياتهم في الشهر الأول بعد ولادتهم اقل من ٢٥ في الالف ، كان والدوهم تجاراً واطباءً ومصورين ونقاشين وصناعاً والذين كانت وفيات اطفالهم اكثر حتى ٤٥ في الالف كانوا ندلاً وكناسين وفعلة وحفاري ترع وغسالين وخامين . والغالب ان هؤلاء يسكرون فيهملون نساؤهم واطفالهم فلا يغذي الاطفال التغذية الكافية

وعرفت اسنان ١٠٥١٣٠ طفلاً ماتوا في انكلترا ومقاطعة ويلز قبلما اتمو السنة من العمر فاذا ٣٢٩٣٦ منهم ماتوا وعمرهم اقل من شهر و ١٩٦٤٧ ماتوا وعمرهم بين شهر وثلاثة اشهر و ٢٠٩٨٨ ماتوا وعمرهم بين ٣ اشهر وستة اشهر ، و ٣١٥٥٩ ماتوا وعمرهم بين ستة اشهر و ١٢ شهراً اي ان نحو ثلث الوفيات يقع في الشهر الاول

حَذِيقَةُ الْمُقْتَطَفِ

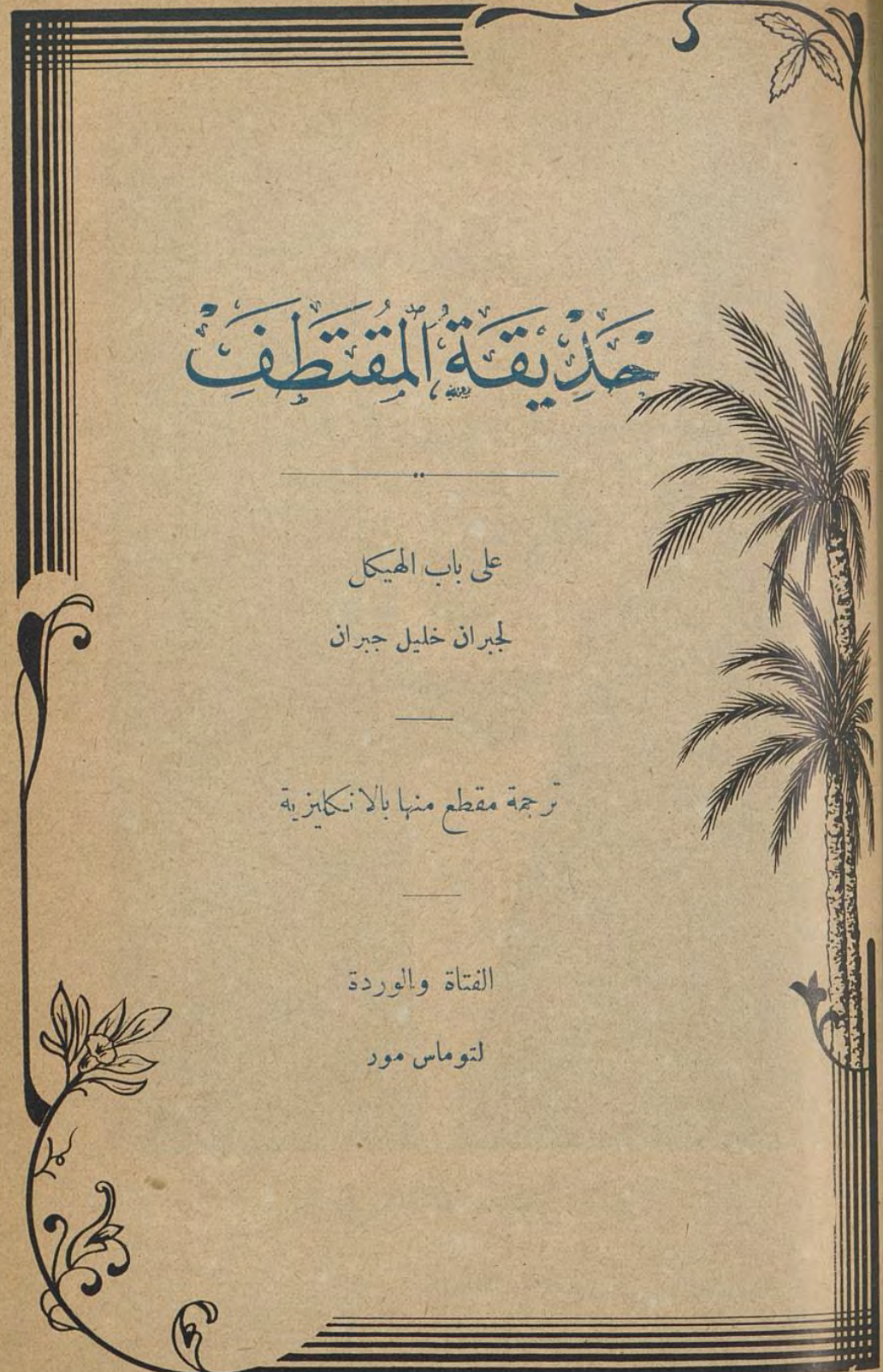
على باب الهيكل

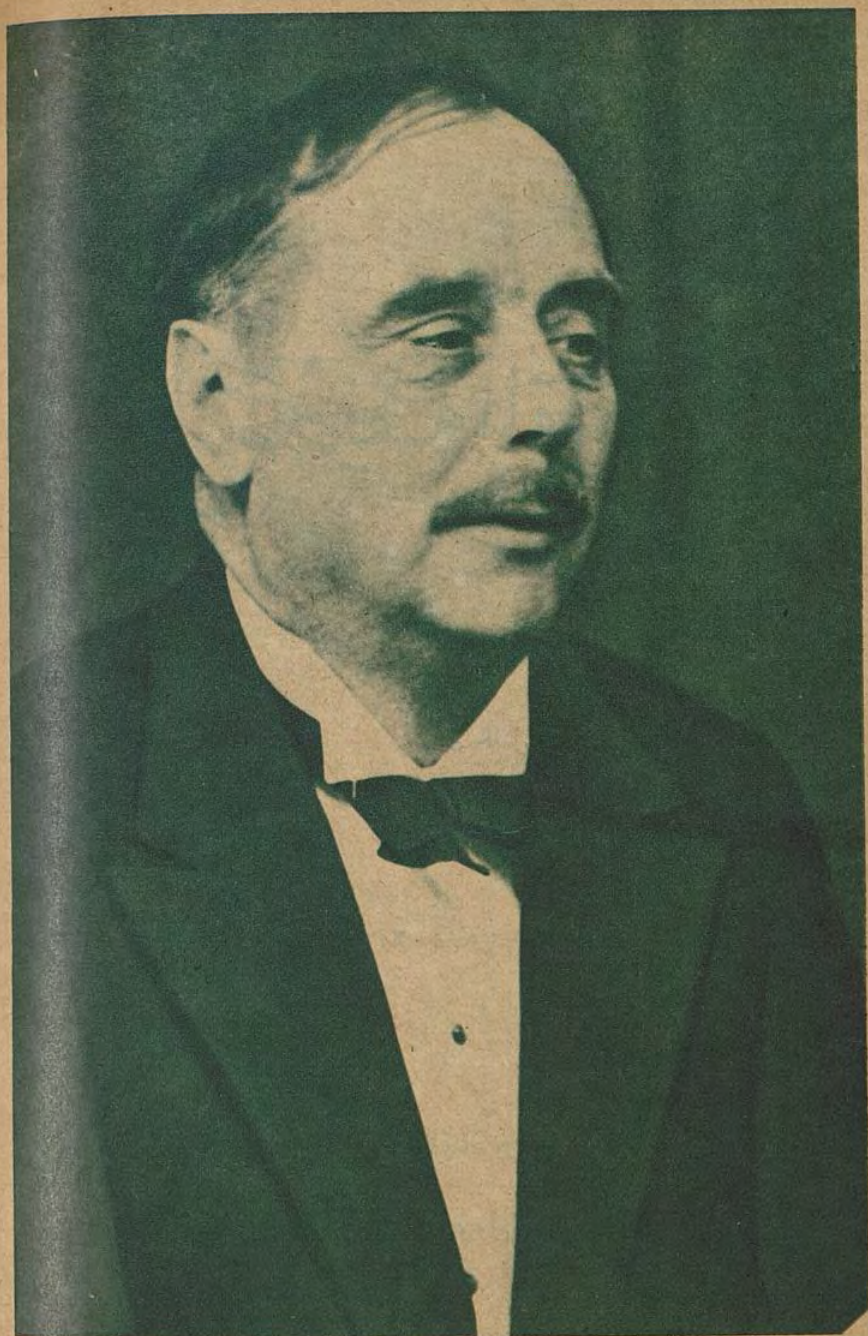
لجبران خليل جبران

ترجمة مقطع منها بالانكليزية

الفتاة والورد

لتوماس مور





ولز الطنب الانكليزى المشهور

H. G. Wells

(أنظر مقالة عنه صفحة ٣٢٠)



على باب الريكل

لجبرانه فليل جبرانه

قد طهرت شفتي بالنار المقدسة لأتكلّم عن الحب ولما فتحت شفتي للسلام
وجدتني أحرص

كنت أترنم بأغاني الحب قبل أن أعرفه ولما عرفته تحوّلت الالفاظ في فمي الى لهاتٍ
ضئيل ، والانغام في صدري الى سكينه عميقة

وكنتم أيها الناس فيما مضى تسألونني عن غرائب الحب وعجائبه ، فكنت أحدثكم
واقنعكم ، أما الآن ، وقد غمرني الحبُ بوشاحه ، جئتُ بدوري أسألكم عن مسالكه
ومزايه فهل بينكم من يجيبني ؟ جئتُ أسألكم عما بي واستخبركم عن نفسي فهل بينكم
من يستطيع أن يبين قلبي لقلبي ويوضح ذاتي لذاتي ؟

ألا فأخبروني ماهذه الشعلة التي تتقد في صدري وتلتهم قواي وتذيب عواطفي وأميالي ؟
وما هذه الايدي الخفية الناعمة الخشنة التي تقبض على روعي في ساعات الوحدة
والانفراد وتسكب في كبدي خمره ممزوجة بمرارة اللذة وحلاوة الاوجاع ؟

وما هذه الاجنحة التي ترفرف حول مضجعي في سكينه الليل فأسهر مترقباً ما لا
اعرفه ، مصغياً الى ما لا اسمعه ، محدقاً بما لا اراه ، مفكراً بما لا افهمه ، شاعراً بما لا أدركه ،
متأوهاً لأن في التأوه غصّات احب لدي من رنة الضحك والابتهاج ، مستسلماً الى قوة
غير منظورة تميّتي وتحييني ثم تميّتي وتحييني حتى يطلع الفجر ويملاً النور زوايا غرفتي
فانام اذذاك وبين اجفاني الذابلة ترتعش اشباح اليقظة وعلى فراشي الحجري تمايل
خيالات الاحلام

وما هذا الذي ندعوه حباً ؟

اخبروني ما هذا السر الخفي السامن خلف الدهور المحتبيء وراء المرئيات الساكن في
ضمير الوجود ؟

ما هذه الفكرة المطلقة التي تحمي سبباً لجميع النتائج وتأتي نتيجة لجميع الأسباب ؟

(١) نعيد نشر هذه القصيدة النثرية على ذكر الكتاب الذي ظهر حديثاً بعنوان
Prose Poems of Kahlil Gibran محتوياً على ترجمة بعض قصائده النثرية العربية باللغة الانكليزية

ما هذه البقطة التي تتناول الموت والحياة وتبتدع منهما حلاً أغرب من الحياة وأعمق من الموت

اخبروني أيها الناس — اخبروني هل بينكم من لا يستيقظ من رقدة الحياة اذا مالمس الحب روحه باطراف أصابعه ؟

هل فيكم من لا يبحر البحر ويقطع الصحاري ويمجتاز الجبال والاوادية ليلقي المرأة التي اختارتها روحه ؟

أي فتى لا يتبع قلبه الى أقاصي الارض اذا كان له في اقاصي الارض حبيبة يستطيب نكهة انفاسها ويستلطف ملامس يديها ويستعذب رنة صوتها ؟

أي بشري لا يحرق نفسه بخوراً امام إله يسمع ابتهاله ويستجيب صلواته ؟

وقفت بالامس على باب الهيكل اسأل العابرين عن خفايا الحب ومزاياه
فر امامي كهل مهزول القامة كاسف الوجه وقال متأوهاً « الحب ضعف فطري
ورثناه عن الانسان الاول »

ومرّ فتى قويّ الجسم مقتول الساعدين وقال مترنماً : « الحب عزمٌ يلزم كيانه
ويصل حاضرنا بماضي الاجيال ومستقبلها »

ومرّت امرأة كئيبة العينين وقالت متنهدة : « الحب سمٌ قتالٌ تتنفسه الافاعي
السود المتقلبة في كهوف الجحيم فيسيل منتشراً في الفضاء ثم يهبط مغلفاً بقطرات الندى
فترشفه الارواح الظامئة فتسكر دقيقة ثم تصحو طاماً ثم تموت دهرأ »

ومرّت صبية موردة الوجنتين وقالت مبتسمة : « الحب كوثرٌ تسكبهُ عرائس الفجر
في الارواح القوية فيجعلها تتعالى متمجدة امام كواكب الليل وتسبح مترنمة امام شمس
النهار »

ومرّ رجل ذو ملابس سود ولحية مسترسلة وقال طابساً : « الحب جهالةٌ عمياء
تبتدىء ببهاء الشباب وتنتهي بنهايته »

ومرّ رجل ذو وجه صبيح وملامح منفرجة وقال فرحاً : « الحب معرفةٌ علوية تنير
بصائرنا فنرى الاشياء كما يراها الآلهة »

ومرّ اعمى يحسُّ الارض بعكازه وقال منتحباً : « الحب ضبابٌ كثيفٌ يكتنف النفس

من كل ناحية ويحجب عنها رسوم الوجود ويجعلها لا ترى سوى اشباح اميالها مرتعشة بين
 الصخور ولا تسمع غير صدي صراخها آتياً من خلایا الوادي «
 ومر شابٌ يحمل قيثارة وقال منغماً : الحبُّ شعاعٌ سحريٌّ ينبثق من اعماق الذات
 الحساسة وينير جنباتها فتري العالم موكباً سائراً في مروج خضرٍ والحياة حلماً جميلاً منتصباً
 بين اليقظة واليقظة «
 ومرَّ هرمٌ منحني الظهر يحرق قدميه كأنهما خرقتان وقال مرتعشاً : « الحبُّ راحةٌ
 الجسم في سكينة القبر وسلامة النفس في اعماق الابدية «
 ومرَّ طفلٌ ابنُ خمسٍ وهتف ضاحكاً : « الحبُّ أبي والحبُّ امي ولا يعرف الحبُّ
 سوى أبي وأمي «

وانقضى النهار والناس يمرون امام الهيكل وكل يصور نفسه متكلماً عن الحب ويبوح
 بأمانيه معلناً سرَّ الحياة
 ولما جاء المساء وسكنت حركة العابرین سمعت صوتاً آتياً من داخل الهيكل يقول :
 « الحياة نصفان نصف متجلد ونصف ملتهب فالحبُّ هو النصفُ الملتهب «
 فدخلت الهيكل اذ ذاك وسجدت راكعاً مبتهلاً مصلياً هاتفاً « اجعلني يا رب
 طعاماً للهب — اجعلني ايها الاله مأكلًا للنار المقدسة . آمين «
 ترجمة المقطع الاول

I purified my lips with the sacred fire to speak of love,
 But when I opened my lips I found myself speechless.
 Before I knew love, I was wont to chant the songs of love,
 But when I learnt to know, the words in my mouth became naught
 save breath,
 And the tunes within my breast fell into deep silence.
 In the past when you would question me concerning the secrets and the
 mysteries of love,
 I would speak and answer with assurance.
 But now that love has adorned me with vestments,
 I come in my turn, to question you of all the ways of love, and all its wonders.
 Who among you can answer me ?

الفتاة والوردة

لنوماس مور

أيها الزهرة الشاحبة الذابلة

أي فن يستطيع أن يعيد إليك ما فقدته من لون وزهو وحياة !

أي فن يستطيع ذلك وقد فصلت عن العنق الذي غذى نفسك الطاهرة !
عشباً تسكب الشمس اشعتها لتدفع الحرارة في خدك البارد والقوة في عنقك الملتوي

فقطرات الندى التي كانت تتقطر عليك نضرةً وأريجاً

غدت الآن دموعاً تصبها السماء لوعةً على موتك الباكر

كذلك تذوي الفتاة التي عبت بها مناط أملها وموضع ثقتها

يدفعها من ذراعيه فتهم في فيافي الحياة ورياضها منبوذة مهجورة .

عشباً يبسم لها الأهل والأصدقاء ، وعشباً يجربون أن يخففوا من لوعتها القاسية .

أي عطف يعيد إلى قلبها الكسير سلامه الداخلي !

أي بسمه ترجع إلى نفسها المسحوقة اجنحتها الخفاقة !

والبسمه الوحيدة التي تستطيع أن تبعثها من غيبوبة الموت وترفعها قليلاً لرؤية

نور الحياة — أجل هذه البسمه السموية ، تنثني بها الآن أخريات

بَابُ الْمَرْاسِلَةِ وَالْمُنَاطَةِ

إرشاد لغوى

في كل جزء كلمة

لرسالة عمر الرميم بن محمود

« الأُطِبَاءُ »

(١) الطَّبُّ — علاج الجسم والنفس يقال رجل طَبٌّ وطبيب أى علم بصناعة الطَّبِّ وكذلك يقال امرأة طَبَّةٌ وطبيبة — ومن آيات التقدم فى هذا العصر أن الفتيات قد أقبلن على تعلم الطب وأحرزن الإجازات العالية فى التطبُّ من الجامعات ومدارس الطب فى أوربة وأمريكا واليابان وتركيا ومصر — ولا أريد بالطبيبات المولّدات اللاتى حصلن ويحصلن على إجازات فى التوليد ويلقهن العامة بالحكيماوات أو الطبيبات ولكنى أريد من قطعن ويقطعن مراحل التعلم الأولى والابتدائى والثانوى والعالى وفيه توقرن على تعلم الطب فى نوع منه ولا سيما علاج الأمراض النسوية (١) أكثر الله منهن لربات الخدور حتى يتوفر الأطباء على علاج الذكور والطبيبات على علاج الاناث

فيما تنوع الأمراض

(٢) والمتطبب هو الذى يتعلم صناعة الطب ويتعاطاها وكذلك المتطبعة أى التى تتعلم وتتعاطى صناعتها (٣) وطبَّ الطبيبُ المريضَ يطبُّه طبًّا داواه فالاسم الطب والعامل يقال له طبيب أو طَبٌّ إن كان رجلاً وجمع الأول أطباء وأطبة وجمع الثانى طبوب كنفوس جمع نفس وبكثرة الاستعمال نستأنس أذاننا بالطبوب كما استأنست بالنفوس. وإلى القراء أنواع الأطباء

(١) النـقـريـس هو الطبيب الماهر النظار المدقق وهو أليق بالمتوفر على الطب فى حذق من النطاسى الذى شاع استعماله فى هذا العصر لأن معناه الحاذق بالطب وغيره. والنطاس بضم النون والطاء الأطباء الحذاق

(ب) الكحّال هو (طبيب العيون) والكحل كل ما وضع فى العين يستشفى به فالكحّال هو الذى يداوى العيون وإذا أذعنا الكحّال فقد غينا بهذا اللفظ العربى الصميم عن لفظتين عربيتين مضافة أولاهما إلى ثانيتهما أى (طبيب العيون)

(١) ينسب إلى كل من النساء والنسوان والنسوة نسوى لا غير كما فى لسان العرب — ومن الخطأ الذائع بأسنة الخاصة وأقلامهم نسائى نسبة إلى نساء كما هو المتبادر للذهن من حيث القياس ولكن المسموع قد هدمه — قال صاحب مختار الصحاح فى مقدمته (والسمع مقدم على القياس فلا يصار إلى القياس الا عند عدم السماع) انظر إلى الصفحة الثامنة من الكتاب المطبوع بالمطبعة الاميرية سنة ١٩٠٥م — والمواد القوية فى الملاغى مظاهر السماع من العرب

(ج) المجبر هو الذى يجبر العظام وهو من الأطباء

(د) الجراح أو الآسى هو الذى يداوى الجراحات يقال أسا الآسى الجرح يأسوه أسوا داواه وجمع الآسى أساة كقضاة جمع قاض وقد يطلق الآسى أيضاً على كل طبيب سواء أكان جراحاً أم غير جراح

وأبصر بإسماعيل صبرى باشا المصرى فى هذا المقام إذ أنه فطن الى ما ذهبنا إليه من قبل وإن تأخرت إذاعته فقال :

يا آسى الحى هل فتشت فى كبدى وهل تبينت داء فى زواياها

فقد اختار للطبيب الجراح لفظة (الآسى) فانه هو الذى يفتش فى الكبد فيتعرف الداء فى زواياها والاستفهام فى البيت خرج عن معناه الاصلى الى معنى آخر هو الامر فكأنه قال يا جراح الحى فتش فى كبدى — وتبين داء فى زواياها — ولا غرو فان اسماعيل صبرى باشا من نوابغ الشعراء البغلاء العلماء الذين تأخذ عنهم اللغة فى طرائف آدابهم فانهم افهم لآسرار الضاد من سواهم . فخذوا لغتكم عن نوابغ أدبائكم فقد حذقوها فهماً فأحسنوا تطبيقاً

(هـ) البسيطار أو البسيطر هو معالج الدواب — والبيطرة صناعته فن الخطأ الشائع (طبيب بيطرى) والصواب طبيب بيطرى على أننا فى غنى عن الصفة والموصوف بلفظ مفرد وهو بيطر أو بيطر واستعمل العرب الفعل بيطر والمصدر بيطرة^(١) ولا يألّم حضرات الأطباء البيطريين من اطلاق البسيطار أو البسيطر على كل منهم إذا كان سبقهم بهذا اللقب كل من كان يحدو الخيل والحير فى مصر أيضاً فانهم يلقبون بالحدائين جمع حداء على أنهم كانوا قبل إنشاء مدرسة البيطرة العالية يعالجون الخيل والحير على قدر علمهم وتجاربهم كما كانوا يحدونها — والحرف تتشرف بالمحترفين فهم الذين يشرفونها كالمسارده أى المحامين فقد شرفوا حرفتهم فى هذا العصر بمعلوماتهم وبراعتهم وأخلاقهم وقد كانوا غير محترمين فى مصر منذ خمسين سنة كما قال المرحوم سعد زغلول باشا فى حفل نقابة المداره سنة ١٩١٠م عقيب تأليفها وأعاد المرحوم هذا المقال فى فجر إعادة الحياة النيابية الى مصر فى عهد الملك فؤاد . على ان الحدائين والبيطرة لهم الاجلال عندى فانهم من أصحاب الحرف الشريفة مع التفاوت فى المعلومات والمؤهلات وإذا كان أطباء النفوس وهم المهدبون وأطباء الأجسام البشرية والحيوانية يؤدون ما يجب عليهم للمجتمع الانسانى والحيوانى فلا تفاضل بينهم — إنما الأطباء إخوة . ومن مظاهر المساواة أن يحمل الطوائف بعضها بعضاً على أن العمال الآن هم السائدون غيرهم فى كثير من ممالك أوروبا وسيسودون العالم كله مد الزمن إن شاء الله فن يحصل على قوته بالعمل خير ممن يحصل عليه بالمسألة وغيرها مما يخمش وجه الأدب وفى هذه الاشارة بلاغ والسلام

(١) أليس الاجدر بالحكومة ان تسمى مدرسة الطب البيطرى بمدرسة البيطرة لان لفظاً واحداً يغنى عن لفظين للدلول واحد وليست التسمية الاولى بخطأ

مكتبة المقتطف

تأليف المستشرقين

صرتُ هذا الصيف الى بلاد الشمال ، واتفق لي أن أقيم بفنلندا أربعين يوماً . فاجتمعت هناك بمستشرقين^(١) أحدهما الأستاذ (ا . ج تالجرين — توليو) والآخر الأستاذ (آيلي سارسيلو) فعجبت للامر كل العجب . وقد دفع كل منهما تأليفه اليّ

١ — فنلندا وسائر البلدان البلطية الشرقية

مستخرج من جغرافية الادريسي

Idrisi—La Finlande et les autres pays baltiques d'Orient (Géographie, VII,4)

Edition critique par O. Y. Tallgren—Tuulio et O. M. Tallgren

هذا الكتاب على باين : أما الأول فيعرض للناحية اللغوية ، وأما الثاني فيبحث في الناحية التاريخية . والكتاب يشمل النص العربي مرسوماً بالحروف اللاتينية مع تصوير جميع المخطوطات المعروفة ، وترجمة ذلك النص وبمخاط في الخطط ، ونظرة تاريخية ، وخرائط ولواحق وهذا الكتاب مشحون بالفوائد مشبع الفصول . ثم انه غاية في التدقيق العلمي ، الاّ أنّي استأذن الأستاذ (تالجرين — توليو) في أن أتبع بعض أوهام وردت في النص العربي المرسوم بالحروف اللاتينية . فمن هذه الالهام : اسقاط عين «عرض» في حاشية الصفحة الاولى — واغفال رسم الهمزة (صفحة ٣٠ سطر ١٥ و ص ٣٤ س ٨) — ورسم همزة الوصل بصورة همزة القطع (ص ٣٥ س ٥) — ثم اني اظن أن الوجه في ص ٣٤ س ٨ ان يقرأ : والجزيرة الثانية فيها «النساء» (لا «النساء» كما ورد) ولا رجل «معين» (لا «معهم» كما ورد) هذا وان تمنيت شيئاً سألت الأستاذ (تالجرين — توليو) أن ينشر النص العربي من تأليفه المستقبل بالحروف العربية فلا يرسم بالحروف اللاتينية ، وليس هذا عليه بمتعذر

(١) أشكر للمسيو سورافو Soravuo — الملتحق بالوزارة الخارجية الفنلندية — حسن لقائه لي حين هبطت فنلندا . ولا يفوتني ان أقول انه الذي أرشدني الى اولئك المستشرقين

٢- أغاني الدروز

Songs of the Druzes with an Arabic Appendix by Aapeli Saarisalo

هذه مجموعة أغاني الدروز أصابها الاستاذ (سارسلو) في أثناء رحلته الى سيناء طلباً للآثار والعيادات . وهؤلاء الدروز ممن يقيم بالبقاع والبصرة . وتلك الاغاني بين «عتابة» و «مواويل» و «قصائد» و «مطالع» و «تناويح» و «رناني» . وهي مدونة بالحروف العربية واللاتينية جميعاً ، منقولة الى الانجليزية نقلاً صحيحاً في الغالب . ثم لها لواحق في اللغة وفهرست شامل ومما لا بد أن اصرح به هنا أن جمع مثل هذه الاغاني عمل جليل الشأن من ناحية ما تسميه folklore أي فخص عادات الامم . وعسى أن ينهض رجالنا الى جمع الاغاني المصرية والشامية والعراقية وما اليها جمعاً علمياً ، فها هي ذي تحتضر على حين ان بعلماء الاجتماع حاجة ماسة اليها

٣- صك في الوقف

A Waqf— Document from Sinai

ومما عثر عليه الاستاذ (سارسلو) — فوق هاتيك الاغاني الدروزية — صك وقف « حرر » في سيناء سنة ثمان وثمانين وتسعمائة . وقد نشر الاستاذ (سارسلو) هذا الصك مصوراً بالفتوغرافية ومطبوعاً بالحروف العربية ثم نقله الى اللغة الانجليزية وعمل له مقدمة وعلق عليه فهل أدل الاستاذ (سارسلو) على ما أخذ هذا النص :

ورد ص ٢ س ٨ « المعلوم ذلك لمياً العلم الشرعي » ، واطن الوجه « المعلوم ذلك لها (اي المشتري والبائع) ... » — ص ٢ س ١٠ « بتقابل قima على ذلك » ، واطن الوجه « بتقابل فيهما (اي المشتري والبائع) ... » — ص ٢ س ١٣ « وببده (اي البائع) وحوزة وتصرفه » ، واطن الوجه « .. وحوزم ... » — ص ٤ س ١٠ « مويد شريعة سيد المرسلين » والصواب « مؤيد ... » — ص ٧ س ٩ « يتول من قابل بالزوم » والصواب « يتولى ... » (قارن ص ١٦ حاشية ١) « على ان هذه الهفوات التي اذنت لنفسي ان ابنه عليها هيات ان تغض من نفاسة كتب المستشرقين الفنلنديين ، وعسى ان يقبها على ميلهما الى فخص احوال العرب والمسلمين ورفع شأن اللغة العربية والحضارة الاسلامية في جامعة هلسنكي (عاصمة فنلندا) »

٤- فن التصوير الاسلامي

١٢٤ ص و ٢٠٠ صورة ، من القطع الكبير

Musulman Painting by E. Blochet translated from the French by Cicely M. Binyon with an introduction by Sir E. Denison Ross, C. I. E. Methuen & Cie, London

اعرف الاستاذ (بلوشيه) صاحب هذا الكتاب لست سنوات خلت ، اي منذ العهد الذي فيه كتب الله لي ان اختلف الى دار الكتب الفرنسية (قسم المخطوطات) . ولم يتفق لي ان احادث الرجل

على انه « حافظ » المخطوطات العربية . ثم مضت السنون وهأنذا ألقى الاستاذ بلوشيه كل يوم فنفيض في اخبار العرب والفرس فيأبى شيطانه وشيطاني الا ان يعدلا بنا عن القراءة الى المحادثة زمنياً ان الاستاذ بلوشيه ملّم باللغات السامية واللغة الفارسية واللغة التركية ، فضلاً عن تضامه من اليونانية واللاتينية . ثم ان له مؤلفات عدة منها هذا الكتاب الذي اصفه لك هذا الكتاب يبحث في تاريخ فن التصوير الاسلامي وتحوله ويفحص عن ظواهره وخصائصه . وتاريخ هذا الفن ينبسط فيه من مستهل القرن السادس للهجرة حتى القرن الثاني عشر ومما يزيد في نفاسه ان صاحبه نشر مائتي صورة ارادة ان يزين بها بحمته وخصه ، وهذه الصور مستخرجة من خزانات دار الكتب الفرنسية والمتحف البريطاني والجمعية الآسيوية البريطانية وجامعة ادنبره ومجموعة المستر (تشستر بيتي)

وميزة الكتاب ان صاحبه انحرف عما يذهب اليه المستشرقون عامة . فلم يقل قولهم بأن الفن الاسلامي مقتبس من الفن الصيني ، بل دلّ على ان هذا الفن كان منشؤه في بغداد ، فان رجعت مصادره الى فن معين فانما ترجع بعض الشيء الى الفن البيزنطي ولا سبيل لمن يقرأ الكتاب عن ان يشعر بطرافة آراء صاحبه ، وقد عطف على ذلك السر ديسنر رُس في مقدمته . غير ان صاحب الكتاب يميل الى الاستطرادات ميلاً شديداً ، والحق انه من ذوي البسطة في العلم من ادب وفن وتاريخ ودين

وصفوة القول ان الكتاب ذو شأن وان جالت بين سطوره طائفة من الآراء المعارضة ، ولكن الفن الاسلامي — على شتى الوانه — ما يزال موضع نظر ومجال جدل والحكم الفاصل فيما يأتي من الزمان

٥ - مصادر الاخبار الاسلامية

في القرآن وسير الانبياء ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط

Les Origines des Légendes Musulmanes dans le Coran et dans les vies
des Prophètes par D. Sidersky, Editions Geuthner, Paris

يزعم الاستاذ سيدرسكي ان جانباً عظيماً مما ورد في القرآن والتفاسير والسير من الاخبار يرجع الى « الاجادة اليهودية » والانجيل والتوراة الموضوعة
يورد المؤلف النص القرآني او نص التفسير الى ما يلي ذلك ثم يعارضه بنصوص مستخرجة من الكتب التي تقدم ذكرها . واعتماده في الكتب الاسلامية على تأليف الطبري والزمخشري وابن الاثير والكسائي . وتعليقه في كتب العهد القديم والحديث الموضوع على كتاب « هتوخ » وكتاب « الوبيل » و « حكاية يوسف النجار » و « انجيل الطفولة » و « انجيل توما » الى ما يجري مجرى ذلك عند نقاد تاريخ الاديان . وأما « الاجادة اليهودية » فاعتماده فيها على النوادر المبنوثة في التلمود البابلي والتلمود « الهيوروزلمي » ثم على التأليف « المدرسية »

وبعد فهذا الكتاب منحدر من رأي قال به المستشرق الفرنسي (كليمان هُوار) لثلاثين سنة خلت أو تزيد . والمستشرقين من بعده ومن قبله مؤلفات عدة في هذا الباب ، بل ازيد على ذلك ان من مبتدعي هذا الرأي Marraci و Sale (في القرن السابع عشر والثامن عشر)

والتحقيق ان هذا الكتاب لا يثبت على النقد ، ذلك ان بين النصوص الاسلامية والنصوص اليهودية والمسيحية مسافات وان اتفق لبعضهن ان تتقارب فهل غاب عن المؤلف ان النصوص الاسلامية واليهودية والمسيحية الاوّل انزلت او كتبت لقوم ساميين ، والساميون يعتمدون على وجه واحد من القبول الذهني ويستقيمون على عمود واحد من التفكير

بقي ان اسأل المؤلف لماذا اردف نصوص التلمود بترجمة فرنسية قديمة ثم لم يردف نصوص التوراة ولا نصوص «موضوعات» جوزيف بالترجمات المتداولة . ثم اني آخذ عليه استناده الى ترجمة القرآن للمستشرق السويسري Montet فالمعلوم ان ترجمة الرجل لم ترق حظها من التثبت والتدبر

٦ — ابن السعود ، ملك الجزيرة

٢٤٨ ص ١٩٠ صورة فوتوغرافية ، من القطع المتوسط

Ibn Séoud roi de l'Arabie par Antoine Zischka, Editions Payot, Paris

هذا كتاب رحالة فرنسي انطلق الى الجزيرة فاجتمع فيها بابن السعود ثم جاءنا يسوق قصة الملك الوهابي ، فبسط منشأ ابن السعود ونضاله ونصره راوياً ما دار بين الرجل والانكليز وما وقع له من امير اليمن . ولا حاجة بي ان افصل هذا لقراء المقتطف . الا ان في الكتاب ثلاثة فصول بحسن بي ان اشير اليهما . اما الاول فحكاية ابن السعود مع (جوهرة) تلك المرأة الشاعرة الفطنة التي شدت من ازر الملك وما فتئت حياتها تنصح له وترشده وتعينه على قضاء اوطاره وتستميله وتتجلب اليه حتى انه حزن لموتها حزناً شديداً . والفصل الثاني سيرة ابن السعود بما هي عليه من التقشف والبساطة والدعة مقرونة جميعاً بالغليان القومي والتحمس الديني . واما الفصل الثالث فوصف رقي الجزيرة على يد ابن السعود اجتماعياً واقتصادياً وعمرانياً ، ولهذا الفصل ذيل ينسبه الى المكاة التي وصل اليها ابن السعود عند الدول الاوربية امثال روسيا وتركيا واليابان فضلاً عن انكلترا وفرنسا وايطاليا

وبالجملة ان هذا الكتاب يكاد يكون موقوفاً على الناحية السياسية . فما ضر المؤلف لو حدثنا عن العادات الوهابية وشرح لنا انتقال الذهنية الحجازية من حال الى حال دينياً وخلقياً . بقي ان في مقدمة الكتاب (ص ١١) عبارة لا يخفى محلها على السمع . ودونكها : « ان فرنسا — وهي ملكة الاسلام Reine de l'Islam — لا تستطيع ان تعرض عن الاضطرابات الاسلامية مهما كانت » . فان رضي المغاربة لفرنسا بذلك اللقب فما اظن جماعة المسلمين وبالتالى جماعة العرب ينشطون له

الجزء الاول من مدخل فن الجرائم

تأليف الطبيب الجرائمي احمد حدي الحياط من تلاميذ معهد باستور في باريس
 واستاذ فن الجرائم وعلم الصحة في المعهد الطبي العربي بدمشق — طبع في مطبعة الترقى بدمشق

انه يتعذر على الناقد أن ينقد كتاباً علمياً مثل هذا الكتاب في صفحات قليلة . فالكتاب علمي
 بحث جعل لتلاميذ المعهد الطبي العربي في دمشق فلا شأن فيه لعامة القراء وانما سأكتب فيه شيئاً
 اجعلهم يهتمون بمثله لاننا في بدء نهضة علمية تهملنا كثيراً فكتب الطب التي تبحث في علم الجرائم
 كثيرة ولكن الكتب العربية قليلة جداً ومنها هذا الكتاب . فهل وفق المؤلف في الغاية التي
 ألف كتابه لاجلها : أقول لقد وفق كثيراً لذلك سيكون نقدي لهذا الكتاب في كونه كتاباً عربياً
 في علم الجرائم اي انقذه من هذه الوجهة دون غيرها

بدأ المؤلف قوله كما يرى في ما نقلته عنه انه طبيب جرائمي بلا زيادة ولا نقصان فانه لم يقل
 انه حل في كتابه جميع المسائل المختلف فيها او انه فاق الاوائل والاواخر او انه مستعد لمناقشة
 علماء الجرائم في ما قالوه او انه تحدى باستور أو تلامذة تلاميذ باستور فانه لم يقل شيئاً من هذا
 بل جعل كتابه مثال التواضع شأن العلماء الحقيقيين . ذكرت ذلك ليكون هذا الامر دستوراً نسير
 جميعاً عليه في ما نكتبه . فالكتب العلمية وغير العلمية ينبغي ان تكون خالية من مدح النفس وهو
 ما رآه في كثير من مؤلفات هذا العصر . فقد حان الاوان لان نرى انفسنا كما يرانا غيرنا

ثم ان الكتاب خال من تقديمه الى رئيس الجمهورية أو الى المندوب السامي أو الى رئيس الجامعة
 أو الى أحد الاعيان او الاغنياء فما شأن هؤلاء على شدة احترامنا لهم في كتاب علمي مثل هذا
 الكتاب . فالذي يحترم نفسه ينبغي ان يترفع عن جميع هذه الامور . وقد ذكرت ذلك لعل المؤلفين في المستقبل
 يحجمون عن هذه العادة السيئة . أما الآن وبعد هذه المقدمة الوجيزة فلنبحث في جوهر الكتاب
 البس المؤلف كتابه لباساً عربياً بحثاً فلا شيء فيه من العجمة مع أن معظم المصطلحات العلمية
 التي فيه اعجمية الاصل وقد احسن في قوله في مقدمة الكتاب « تأييداً لقول من يقول بأن اللغة
 التي تساعد على أن يخرج أبلغ الاقوال فصاحة (القرآن) لا تضيق عن أن تحتوي بعض كلمات
 تليق بإيضاح بعض مصطلحات علمية حديثة وان انكر ذلك المتنطعون في التجدد » . واليك مثالا
 من لغة الكتاب فقد قال في الجرائم : الجرثوم والجرثومة لغة أصل الشيء واصطلاحاً هي تلك
 الاحياء الدنيا التي تكون سبب بعض الامراض وهي التي يسميها علماء الافرنج بالاحياء الدقيقة .
 ثم أخذ يشرح الجرائم ويقسمها ولا ابالغ في قولي ان جميع الالفاظ التي ذكرها عربية الاصل ولو
 جئت لاضررب الامثال على ذلك لضاقت بي هذه الاسطر القليلة ولكنني اقول ان المؤلف نجح كل
 النجاح في بلاغة مؤلفه وفصاحته وسهولة تعبيره . ولا بأس هنا من ذكر بعض المصطلحات التي
 اوردها وهي كثيرة جداً فمنها ما يأتي :

المكورات البنية والمكورات السنانية والمكورات العنقودية والضّمات والانوبيات والراجبيات وانتاش البزيرة والعصيات المتألقة والعصيات المحبّة للحرارة والتألق وذيفان الجرائم والذيفان المنتشر والراطمين وحمة الجرثوم وضمخ الدم والبلعمة والبلعمت وغيرها وهي كثيرة جميعها مفسرة بما يقابلها بالافرنجية حتى يرسخ في ذهن القارئ ما يراى تماماً فلا يمضي زمن حتى تصير المصطلحات العربية ملكة في النفس . وقد وعد المؤلف انه عند انجاز كتابه يضم اليه معجماً يذكر فيه جميع هذه الالفاظ وهي همة يشكر عليها

على اني اؤاخذه في الفاظ قليلة جداً منها قوله فن الجرائم واظن الصواب علم الجرائم فالن خلاف العلم وقولهم في استانبول دار الفنون خطأ والصواب دار العلوم . اما وقد أخذ الترك ينظفون لغتهم من الالفاظ العربية فأولى بنا أن ننظف لغتنا من الفاظ تركية أو عربية الاصل استعمالها الترك في غير معناها العربي . ومثله كتابة « نه رلخ » على الطريقة التركية وأفضل كتابتها رلخ . هذا وقد بقيت هفوات قليلة جداً مثل قوله السكريات البيضاء والسكريات الحمراء والصواب بيض وجر ولا يجوز غيرها . وقد ذكرت هذه الهفوات لكي يكون ما يخرج له لنا في المستقبل خالياً من جميع ذلك وجل من لا يخطئ

وصفوة القول ان هذا الكتاب نفيس جداً فعسى ان يتحفنا اساتذة المعهد ولا سيما المؤلف بكثير مثله . هذا وان مرضي حال دون قيامي بنقد هذا الكتاب وهو عندي منذ شهرين فالأخير مني لا من رئيس تحرير المقتطف
امين المعلوف

ضحايانا الاطفال

تأليف اجنس دي ليا وترجمة الاستاذ محمد عبد الواحد خلاف

قدمت للقراء كتاب الاستاذ محمد حسين الخرنجني في طرق التربية الحديثة لاني مؤمن بانه من خير ما ظهر في اللغة العربية في موضوع التعليم والآن ابادر الى تقديم كتاب آخر عظيم الشأن في نفس الموضوع . واني لاشعر بعد ظهور هذين الكتابين اننا على ابواب انقلاب كبير في نظم الدراسة عندنا وعلى وشك خلق رأي عام يولي اطفالنا العناية الواجبة ويطالب بتوفير اسباب نوع من الحياة يتمشى مع طبيعتهم ويكون من شأنه أن يمهّد لهم اسباب النماء الصحيح وكتاب الاستاذ خلاف هو الاول من سلسلة تنوي ان تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر في التربية والتعليم ويشرف على اصدارها الاستاذ اسماعيل محمود القباني . هذا الكتاب يتناول بالشرح والوصف كثيراً من النظم الدراسية في الولايات المتحدة الاميركية من قديمة وحديثة ، ما يتمشى منها مع قوانين السيكولوجية التعليمية الحديثة ، وما لا يتمشى مع هذه القواعد ، فبعضها يبدأ بطبيعة الاطفال وبميلهم الغريزي الى التطلع والمعرفة ، ومنها ما يساير سنة الحياة من معالجة البيئة

القريبة جداً للطفل ، والبعض الآخر يسير على التقاليد الموروثة من قديم الزمان كما نعرفها نحن حق المعرفة في هذه البلاد

والنزاع بين انواع المدارس في هذا الكتاب — كما هو في معظم الحالات في حياة الطفل المدرسية — هو نزاع بين الطفل والمادة ، وبين الدرس والحفظ والاستذكار من جهة وبين الحياة من جهة اخرى . هل الوظيفة الاساسية للمدرسة هي تعليم الاطفال طائفة معينة من الحقائق ، ام هي توفير اسباب الحياة والنشاط لهم ، ثم توجيه هذا النشاط الى ما يفيد الاطفال في حياتهم الراهنة . بالطبع تتفاوت درجات هذا النزاع ، من الدعوة الى جعل المدرسة سجناً او ما هو اشبه بالسجن ، الى جعلها فوضى لا ضابط لها . ولست اعرف بين ارباب التربية من يدعو الى جعلها سجناً بأدق معاني الكلمة ، ولا من يدعو الى الفوضى ، وانما ترى وأنت تقرأ كتاب الاستاذ خلاف ان هذين الطرفين موجودان الى حد ما ، وان النزاع فيه يدور حول اطلاق حرية الطفل وتقييده بأثقل القيود لا يستطيع في هذه الكلمة الموجزة ان اشرح ما تناوله هذا الكتاب من الفروق والاختلافات بين هذه النظم جميعاً ، فعلى من يريد زيادة الايضاح ان يقرأ هذا الكتاب الذي لا يمكن ان يغفله المعلمون من دون ان يتعرضوا للوم وانما أوجه نظر القراء خاصة الى مطالعة الفصل الثاني منه فان هذا الفصل علاوة على انه قطعة فنية جميلة ، فانه ايضاً وصف دقيق للمدرسة التقليدية مع تغيير يسير لتدعيه الاختلافات في البيئة الاقليمية والاجتماعية ويستطيع القارئ ان يقرأ هذا الفصل على انه وصف لأحسن المدارس عندنا

لا يملك من يقرأ هذا الفصل الا ان يشعر بأن هذه المدرسة التي يصفها عبارة عن مصنع (فابريكة) تتحرك الآلات فيها بالضغط على بعض الازرار الكهربائية ، يقف العامل على مكان مرتفع وأمامه لوحة عليها بعض الازرار ، وأمامه طائفة من الآلات مرصوفة رصاً محكماً على قواعد هندسية محكمة ، كل منها تتحرك لتؤدي نوعاً معيناً من الاعمال دون غيره ، لا دخل لها بما يحيط بها من الآلات بل يحرم عليها ان تتصل بشؤون جارتها ، والا فسد النظام واختل العمل وكانت الطامة الكبرى ، لان كلاً منها تتصل بالعامل وحده فتتحرك متى اراد وتسكن متى شاء

هذه هي المدرسة ، وهذا هو المعلم ، وهؤلاء هم الاطفال . يقف المعلم على منبره فتتجه اليه ستون عيناً ، ترقبه وتلاحظ حركاته وتنتظر اوامره ، يطلب فتح الادراج ، فتتحرك ستون بدأ ، وينفتح ثلاثون درجاً ، ويخرج منها ثلاثون كتاباً ، ثم تقفل الادراج وتوضع الكتب ، وتتجه الستون عيناً الى المعلم

يصف الكتاب هذا الضرب من المدارس ، ويصف النوع الآخر ، ثم يشير الى الفلسفة التي ينبني عليها هذان النوعان ، ثم يتناول أثرهما في حياة الاطفال بعد ان يغادروا المدرسة الابتدائية الى المدارس الثانوية والعليا ، ويبين بالارقام مبلغ النجاح في هذين النوعين

والحق اني لا استطيع ان اوفي هذا الكتاب حقه من التعليق والنقد فكل هذا لا يغني عن قراءته مرات وتدبّر معاني كل ما ورد فيه ، ولا أملك الا ان أشكر لجنة التأليف والترجمة والنشر ثم الاستاذ اسماعيل محمود القباني المشرف على طبع هذه السلسلة . وأما الاستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، فقد حق له شكر المعلمين والآباء جميعاً ، ولا يكون هذا الشكر على أتمه الا اذا اطاروا عمله هذا ما يستحقه من العناية الواجبة له

يعقوب فام

الطرق الاوربية المتبعة

في تحسين المزروعات وانتاج التقاوي

تقرير أصدرته الجمعية الزراعية الملكية بقلم الدكتور محمد عزيز فكري والمسيو . ا . سباجيناتي من موظفيها عن نتيجة درسهما في بعض البلدان الاوربية التي تنتج القمح وطرائقها في تحسين انتاجه وتقاويه في ٨٦ ص

عانت بعض البلدان الاوربية أثناء الحرب العظمى وما تلاها من الانقلابات الاقتصادية وغيرها صعوبات ومخاطر في استيرادها من خارج بلادها لما ينفعها من بعض المواد الغذائية الرئيسية وأهمها القمح فنهضت بما فيها من عزم وقوة وحسن استعداد للاستكثار من انتاجها وتحسينها باستخدام افضل الوسائل الزراعية والتعاونية والميكانيكية والاقتصادية التي هدتها اليها حقائق العلم ونتائج التجارب كما تراه مذكوراً في هذا التقرير الذي وضعه مؤلفاه عقب درسهما ما صنعته ايطاليا والمجر وفرنسا في هذا الموضوع الخطير ببيان موجز مفيد

واننا نحن الذين الفنا البطء في اعمالنا الحكومية المشمرة ندهش اذ نقرأ ان ايطاليا في مدى ١٢ سنة أحسيت من اراضيها الموات ٥,٨٠٠,٠٠٠ فداناً أنفقت عليها ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ من الجنيهات وزاد ما تغله مزارع قمحها ٨٦٪ . فبعد ان كان ٢٩ مليوناً من الارادب في سنة ١٩٢٢ صار ٥٤ مليوناً في سنة ١٩٣٣ وبعد ان كان متوسط ناتج الفدان ٣,١٧ اردب صار ٤,٣ اردب بما في هذا متوسط ناتج الفدان من الارض المستجدة فضلاً عن تحسين نوع القمح عما كان عليه

اما الوسائل التي اتبعت للوصول الى هذه النتائج فهي (١) اصلاح الارض الموات (٢) الحماية الجركية (٣) انشاء جمعيات التعاون الزراعي ورتقيتها (٤) تأسيس معاهد انتخاب الحبوب وجمعيات انتخاب التقاوي ورتقيتها (٥) نشر التعليم الزراعي والدعاية اليه بالمنابر المتنقلة واللجان المحلية وبمدرسة عملية للميكانيكا الزراعية (٦) وسائل التشجيع باعانة جمعيات التعاون والمسابقات الزراعية وجوائزها وباقامة المعارض والاسواق الزراعية والصناعية

ومما جاء في التقرير ص ١٥ — ١٧ عن معاهد الانتخاب وجمعيات انتاج التقاوي ما يأتي :

ولما كانت التقاوي وهي العمدة في الزراعة لا يمكن تحسينها مقداراً ونوعاً الا باستخدام تقاوي منتخبة تناسب الحالة الخاصة بالبلاد فان الحكومة الايطالية لم تغفل قط هذا الاعتبار فانبرى رئيسها بنفسه

في الجلسة الاولى من جلسات لجنة القمح يطرح على بساط البحث مسألة نوع التقاوي التي يراها مقدمة على سواها . ومن اهم معاهد الانتخاب في ايطاليا نذكر : —

(١) المعهد الاهلي للوراثة خاص بزراعة الحبوب ومقره في روما وله فرع في ريتي

(٢) معهد للوراثة خاص بزراعة الحبوب في بولونا Bologna

وهذه بعض توضيحات عن المعهد الاول

كان مبتداه في ريتي سنة ١٩٠١ تحت ادارة البروفسور استرامبلي ولما نشطت حركة ترقية الزراعة صار اول معهد في ايطاليا ويديره مجلس ادارة مؤلف من سبعة اعضاء تحت رئاسة مندوب من الحكومة ويبلغ مقدار الاعانة التي يتناولها من الحكومة ٨٠٠٠٠ من الجنيهات المصرية ويغطي هذا المبلغ بضريبة مقدارها من ٣٥ — ٥٠ ملياً مفروضة على كل ١٠٠ كيلو من القمح تشتريه الدولة وقد تمكن المعهد بفضل هذه الميزانية الضخمة من انشاء ثلاث محطات للتجارب وتعهدها ولكل منها قلمها الخاص بالتجارب ، اما الاعمال التي تمت في هذه الحقول لتوليد التقاوي واستكثارها على يد المعهد الاهلي للوراثة في روما فقد ادت الى ايجاد انواع جديدة تفوق الانواع القديمة بمراحل

ولهذا المعهد علاقات مستمرة بمحطات التجارب الاخرى وبمنتجي التقاوي وبمجموعات التعاون الزراعي وبهذا تمكن من ان يراقب عن كثب انتخاب التقاوي ومضاعفها ويقوم بهذه الرقابة موظفون فنيون . (الى ان يقول التقرير) وعند ما تسلم الجمعية للزراع البذور التي ثبتت جودتها بالامتحان تأخذ من كل (لوط) مقداره ٢٠ كيساً على الاقل اربع عينات يرسل احداها الى معهد التربية في بولونا واخرى الى معملها والثالثة الى حقولها لزرع فيها وتكون كشهادة عند حصول اي شكوى او انتقاد من جهة الزراع الذين زرعوا هذا النموذج وتوضع العينة الرابعة في مجموعة العينات بمتحف الجمعية الخ وفي ص ٦٦، ٦٧ من التقرير جاء تحت عنوان التنظيف والانتخاب الآليان لحبوب القمح بمصر ما يأتي : — اما في مصر فان هذا المجال المهم موكول الى مشيئة التجار والزراع ويتأني من ذلك ان الحبوب تعالج في اغلب الاحيان علاجاً مختصراً ساذجاً وتطرح في السوق فوضى وهي اخلاط من انواع واصناف شتى . واذا كان حقاً ان وزارة الزراعة اهتمت بأن تنشئ لها مؤسسات للتنظيف والانتخاب فان هذه المنشآت لم تتخذ الا لانتاج صغير محدود او لمقاصد تجريبية . ومما يذكر منها

معمل التنظيف في قسم البساتين بالجيزة ومنشآت الدومين والاقواف الملكية

اما الجمعية الزراعية الملكية فقد اقامت على ارضها بالجيزة معملاً مجهزته بالآلات البالغة الاتقان لتنتج التقاوي المنتجة انتاجاً واسع النطاق . ويستطيع هذا المعمل نظراً لكبر مقطوعيته ان ينتج ٢٦ اردباً في الساعة او نحو ٣٠٠ اردب في اليوم واذا قوبل بامثاله في البلدان التي زرناها صح القول بأنه من خيرة المؤسسات المتقدمة التجهيز لا لتنظيف الحب فقط بل لانتخاب التقاوي على وجه خاص وقد يبلغ محصول هذا المعمل في موسم لا يعدو خمسة اشهر من اول يونيو الى ١٣١ أكتوبر

٥٠,٠٠٠ اردب وتقسّم اعمال المعمل الى ثلاثة اقسام رئيسية (١) التنظيف (٢) التقسيم اي تقسيم الحبوب بحسب احجامها (٣) الانتخاب وقد شرح كل قسم شرحاً واضحاً. الخ الخ. والتقرير جدير بأن يقرأه كل مزارع للانتفاع بمعلوماته وارشاداته

احمد الالفي

قصائد جبران المنثورة

Prose Poems of Kahlil Gibran. Translated by Andrew Ghareeb. Published by Alfred A. Knopf, Inc. Price \$ 2:50

هذا هو الكتاب الثاني الذي نشر بالانكليزية بعد وفاة جبران. واذا كنّا لم نشر الى الاول فلأنّ الناشر نسي على ما يظهر ان جبران كان يحرصنا بنسخة من كل كتاب جديد يخرج من الكتاب الذي بين ايدينا يحتوي على مجموعة مختارة من قصائده العربية المنثورة ، نقالها الى الانكليزية الاديب اللبناني الاميركي اندرو غريب ووضعت مقدمته الشاعرة الاميركية بربارة ينغ وهي الوصية على تركّة جبران الادبية

اما القصائد المترجمة فعظمها مشهور متداول بين قراء العربية ومنها « وعظمتي نفسي » و « يوم مولدي » و « اسكن يا قلبي » و « مدينة الاموات » و « الشاعر » و « الارض » الخ مما نشر قبلاً في مجموعة « العواصف » او « دمة » وابتسامة » او بعض المجلات

ولا يخفى ان الترجمة من اشق الاعمال ، وبوجه خاص اذا كانت ترجمة لآثر ادبي ، لا يمكن ان يفصل فيه بين الاسلوب والمعنى . وقد اشار جبران الى ذلك في عبارة افتتحت بها المس ينغ مقدمتها قال : « الترجمة فن قائم بذاته . هي عمل الابداع الثاني في تحويل سحر لغة الى سحر لغة اخرى » . وقد قالت المس ينغ كذلك ان جبران على تفوقه في الكتابة باللغة الانكليزية حتى كان يحسب احد اراء البيان فيها ، كان يقول لها : « لست الاً ضيفاً على لغتكم فعلياً ان اعالجها باحترام ، ولا يجوز لي ان انصرف في استعمالها تصرف ابنائها » : وعندها ان هذا الاحترام الذي كان رائد جبران عند كتابته باللغة الانكليزية يجب ان يكون رائداً كذلك لكل من يحاول ان ينقل قصائد جبران من العربية الى الانكليزية . بل هي تعترف ان ترجمة اي كان لا يمكن ان تبلغ من الدقة والصفاء ما كانت تبلغه ترجمة جبران نفسه لو استطاع ان يقوم بها . ولكن تشبّع اندرو غريب بروح جبران وامتلاكه لخاصية اللغة الانكليزية وقيام المس ينغ على تنقيح ما نُقِلَ — بعد ما سمعت جبران مراراً يترجمه عفواً — يجعل صفحات هذا الكتاب تنبض بروح جبران وتسم بسمه من اسلوبه

فنشكر للاديب الناقل وللمس ينغ عنايتهما بعرض صفحة مجيدة من الادب العربي الحديث على ابناء اللغة الانكليزية . وحبذا الحال لو عني احد الناشرين في البلدان العربية باخراج مجموعة كاملة من آثار جبران ، ما كُتِبَ منها بالعربية وما نقل عن الانكليزية ، على ان يتولى الاشراف على اخراجها الاستاذ ميخائيل نعيمة . وقد نشرنا في باب حديقة المقتطف احدى قصائد جبران العربية التي عنوانها « على باب الهيكل » ومعها ترجمة مقطع منها نموذجاً لاسلوب الكتاب

نهضة الشعر الحديث

١ - الشاطيء المجهول - لسيد قطب ٢ - ديوان صالح جودت

٣ - أغاني الكوخ - لمحمود حسن اسماعيل

من الحق عليّ أن ارحب بالفرصة التي مهّدت لي النظر في هذه الكتب دفعة واحدة . فهذا الثالث يمثل نهضة الشعر الأخيرة في اعتدالها وتطرفها في ضعفها وقوتها ، أصدق تمثيل والواقع أن استعراض هذه الكتب هو استعراض اجمالي وتقاس ضمني لأنهم المبادئ التي يتفق عليها ويختلف فيها النقاد في نهضة الشعر الحديث

يتفق النقاد على أن النهضة الشعرية تسير في اتجاهها الصحيح وأن الروح التقليدي اختفى أو كاد ولكن هؤلاء النقاد مختلفون جد الخلف في مسألة خطيرة كل الخطورة هي مسألة من هو الشاعر الصحيح فالفرق الاول من الأدباء يقول ان الشعر يجب أن يكون من قوة التأدية بحيث لا تقل ديباجته اشراقاً وجرساً عن ديباجة الشعراء من أمثال المتنبي والبحتري وأبي تمام وشوقي . كما يجب في الوقت ذاته أن يكون هذا الشعر من قوة المعاني بحيث يكون محيطاً باتجاهات المألوم الحديثة والفلسفة ومن أخص خصائص هذا الفريق أنه لا يتسامح في نبوة لفظية ولا يعفو عن كبوة معنوية ولا يغني عن نشرة موسيقية ولكنهم بهذه الدقة يقيسون الشعر وبتلك العين ينظرون الى الشاعر كما يجب أن يكون . فإذا خلق شاعر الى موضوع ما وقصرت به خوافيه أو قواديه عما ينبغي للشاعر أن يعطو له في جو هذا الموضوع فهو ليس بشاعر صحيح في نظر هؤلاء

أما الفريق الثاني فيقول لسان حالهم ان الشعر فن يجب أن يكون له من قوة ذاتيته ما يجعله في غنى عن ملازمة أو معاونة أي فن آخر حتى الموسيقى . أجل حتى الموسيقى ! فهي لا تلزم لمعاونة الشعر وإذن فن باب أولى عند أصحاب هذا الرأي أن الشعر مستغن عن بقية علوم اللغة وأدواتها من معان وبيان وبديع واشتقاق وغير ذلك . فالشاعر في نظر هؤلاء لا يعيب شاعريته جهله أو عدم مبالاته بالموسيقى الشعرية . كذلك لا يغض من شاعريته حطؤه في الاعراب أو غلطه في الاشتقاق أو كبوه في استعمال الكلمات والجلل بعضها في مواضع بعض . فإذا أصيب واحد من شعراء هذا الفريق بضعف في ملكته الموسيقية فخطأ هزج الشعر بخمسه وبسبطه بخفيفه فلا بأس عليه من ذلك لأنه قد خلق شاعراً ولم يخلق موسيقياً وإذا كانت موسيقية أحدهم ثقيلة الظل مضطربة الجرس فلا بأس عليه أيضاً فن هذا الضعف علامة القوة في الشاعرية وهو آية مناعها لا رخاوتها أو مياعها أو كما يقولون

هكذا يختلف هذان الفريقان المتنافعان في هذه النهضة ولعلك قد لمست ان خلفهما على مسألة من هو الشاعر الصحيح راجع في الحقيقة الى خلفهما على مسألة الأداء الشعري فهذا الفريق الثاني

يرى أن الشعر هو الطلاقة الفنية كائناً ما كان حظها وقدرتها على التعبير عكس الفريق الأول الذي يرى أن هذه الطلاقة الفنية لا يمكن استغناؤها عن أدوات التعبير ونحن هنا لا نقصد إلى ترجيح أحد هذين الفريقين . وكل ما نقصد إليه هنا هو استجلاء آثار هذين الفريقين كليهما بمقدار ما تعطينا هذه الكتب الثلاثة من نماذج فنية تتمثل فيها ضعفاً وقوة نهضة الشعر الحديث

١ - الشاطيء المجهول

فأنت ترى في ديوان الشاطيء المجهول محاولات طيبة تقربك إلى حد كبير من نظر الفريق الأول إلى الشاعر الصحيح . أجل أقول محاولات وقد يغضب صديقنا الشاعر سيد قطب من هذا التعبير ولست أبالي أن يغضب . فصديقنا الناقد سيد قطب^(١) زعيم بإنصافنا من صاحبه الشاعر فهو يقول أن له من مصاحبته زهاء عشر سنوات وإذن فهو أدري بمواطن ضعف شمشون . ومهما يكن من مناصرة صديقنا الناقد سيد قطب لنا على صديقنا الشاعر سيد قطب واخذنا عليه بعض أنواع الضعف والخطأ أو ما يشبه الضعف والخطأ فإن في ديوان الشاطيء المجهول قصيدة السر - وناهيك من قصيدة هي ديوان في ديوان . فأنت في هذه القصيدة تنظر إلى الطلاقة الفنية كيف تخدمها علوم الادب واللون من الثقافة العامة كما يخدمها فن الموسيقى والتصوير والرسم . وليس ذلك وحسب بل فن القصة وفن التخييل الروائي أيضاً . كل هذه الفنون والعناصر في هذه القصيدة قد جمعت بعضها إلى بعض بنسب موزونة بمنتهى الدقة . فليس ثمة لعنصر أن يطغى على الآخر ولا لفن أن يتناول على أخيه . ولم يكن أحب لنفسه من نقل هذه القصيدة كلها إذ لا سبيل لنقل بعضها ليستمتع بها القراء معي لولا ضيق هذه الصفحات . ومن الغريب أن يلاحظ على الروح الموسيقي في ديوان الشاطيء المجهول الشحوب العام حتى في أعظم مواطن الفرح للشاعر فيجني هذا اللون من الضعف مساعداً كبيراً على زيادة التوفيق في هذه القصيدة بالذات حيث لا يليق فيما بين المقابر إلا هذا اللون الشاحب من التلحين . ويصرح الشاعر أن موضوع هذه القصيدة اختمر في عقله الباطن ست سنوات ولا شك أن هذا التصريح يكشف عن سر يظهرنا على هذه الاجادة المقطوعة النظير - ومع اعجابي بهذه القصيدة معنى ومبنى ولفظاً فليس في وسعي أن أمر عليها دون أن أقف فيها على هذا البيت حيث يقول :

وغشاه روع الموت والموت روعة تغشى فيعنو كل نكس وقادر

فقد وددت أن يكون شطره الثاني هكذا (تغشى فيعنو عاجز مثل قادر) إذا سمح الناقد سيد قطب أن يسترعي ذوق الشاعر سيد قطب لجمال هذه المقابلة . وكذلك أود أن استرعي ذوق الصديقين معاً الشاعر والناقد إلى قولهما في قصيدة الشاطيء المجهول

(١) انظر ما يقوله الناقد سيد قطب في تقديمه للشاعر سيد قطب في مقدمة الشاطيء المجهول

لقد حجب العقل الذي نستشير به حقائق جلت عن حقائقنا الصغرى
 فالأفضل ان يقال حقائقنا الكبرى بدل حقائقنا الصغرى لانك اذا قلت ان الكبير يحل عن
 الصغير فما في هذا غرابة امتياز في التعبير. ولست اجهل النكتة في تعبيره بالصغرى بدل الكبرى فهو يريد
 ان يقول انه لا يرى في هذه الحياة الدنيا حقيقة واحدة يصح ان توصف بالكبرى وهذا اعتبار
 فاسفي بليغ حقاً ولكني ألاحظ ان هذا البيت من حقه ان يجري مجرى المثل ومن حق الامثال
 ان لا تقف في الأذان بطلب الاستئذان فهي من اجل هذا تفضل القول الفصيح على القول البليغ.
 وايضاً وددت لو ان الشاعر في هذا البيت نفسه أراحنا من لفظ (نستشير) وقال نقتدي به او
 نهتدي او غير ذلك مما يحلو له فان السين والشين بينهما تاء في لفظ (نستشير) هذا تذكرنا بمثلها في
 قول بعضهم: غداؤه مستشزرات الى العلى. وهذه هي الكلمة التي ضربتها كتب البلاغة مثلاً في
 تنافر الحروف

٢ - ديوان صالح جودت

اما ديوان صالح جودت ففيه من خفاقة الظل ما يحجب القارئ في صاحبه ولا سيما حين يرى
 جودت يعتمد على طبعه المصري ووجداناته الظرفية فهو حينئذ زعيم ان يعيد الينا نكتة خفيفة
 الروح من مصر الشاعرة في زمن ابن معتوق وابن مطروح وأمثالهما من شعراء عصر الظرفاء فاسمع
 اليه وهو يخاطب حبيبته فيقول :

ايها القاتل اني مشفق لك ان تلقى الردى من مملوكيك
 فوصم الحبيب بالقاتل وتحذيره حين يلتقى الردى من مملوكيه كل هذا هو من اسلوب شعراء
 ذلك العصر وليس جودت هو الذي يقول بسؤال المملكين وانما هذا هو شعاع من غلبة حب
 النكتة على طبعه المصري الظريف. وانما جودت ابن عصرنا هذا هو الذي يقول في المهزلة الكبرى :

والذي اودى بسكان الجحيم هو ما امسى ثواباً في النعيم
 حكمة قد حيرت عقل الحكيم غمرت بالشك اذهاب الملا

ايكون الذنب في الاخرى ثواب

لاشك ان صاحب هذا مستحيل ان يكون من القائلين بسؤال المملكين. ثم اصخ اليه حين يقول :

يا شقيق الزهر والطير اما ساءلت نفسك عني اخويك
 انا في روضك ارويه بما فاض من عطفي مدى العمر عليك
 أزرع الآمال في روض هواك وارويها بدمعي ودمي

او في قوله في جسم فتاته صاحبة الهيكل المستباح

جعلت منه الليالي سلعة مالىيالي غير تجار الرقيق

فهذه الاستعارات والتشبيهات التي تجعل الحبيب شقيقاً للزهر وللطير وتجعل الهوى روضاً يزرع

فيه الآمال كل هذا هو الخيال المصري الذي تحس فيه نكهة قوية من انفاس شعراء مصر من عصر الشاب الظريف . ثم ألا ترى في قوله : (مالليالي غير تجار الرقيق) قرينة تصدق ما نذهب اليه من ان خيال جودت يستوحى الروح المصري الذي لم ينس بعد عصور الرقيق وتجار الرقيق وها هو مجارة لابن معنوق واشباهه يأنى الأ أن يفتخر دموغاً لها ثغور وهذه الثغور تقبل خدي حبيبته زينب فهو يقول :
فاني رأيت ثغور الدموع تقبل خديك يا زينب

تأمل . فلعله في مرة ثانية سيخلق لدموع زينب اسناناً تأكل بها او تعض ! وجملة ما في صاحبنا أنه عذب سائغ ما استمد من طبعه فاذا استمد من مطامعته ولا سيما الغربية ورغب في محاكاة شعرائها فهناك يشعر بالحاجة الى ما يعينه على التعبير فاذا استخف بذلك فهو لا محالة شاعر بالكلال فن امثلة ذلك قوله في المهزلة الكبرى :

غني الشودة الوادي الوسيح (هكذا) حيث لا اسمع للدنيا رجيع (هكذا)
ثم جفف ساعة جفني الدميع وارد نوق الحزن واهتف حيها
يا كراز السحر يا كاس الشراب

فلنفظ (ساعة) في قوله ثم جفف ساعة هو في علم صناعة النظم حشو ناهيك بالاشتقاق في قوله جفني الدميع . أما ضعف التعبير في قوله وارد نوق الحزن الخ فما لا يحتاج الى بيان . واليك ايضاً قوله في احد مطالع قصائده في الرثاء

هل رأيتم فجيعة الآفاق كيف اودت بأدمع الآماق

لا جرم ان هذا البيت يذكر الادباء ببيت ابي العتاهية : مات الخليفة ايها الثفلان . الخ على ان قول جودت كيف اودت بأدمع الآماق فيه تفوق عظيم على ابي العتاهية . ومن هذا القبيل بيت لحافظ عند ما شبه ثوران البحر في عاصفة عاتية بثوران القدور
ومن هذا القبيل قول جودت في رثاء شوقي

انا في مصر سامع لوعة الشرق ودار بهجتيه الدويا
فهذا تعبير عامي تقريباً . وقوله في رسالة الحب :

حكمت قلبك بيني وبينك لكن حكمت فلم تنصف

فصناعة البيان العربي تمكر مثل هذا الاستدراك في قوله لكن حكمت الخ . كذلك يقول :

حرك الحسنة في صمت الدجي همسات رددت في صومعه

وكان خيراً له ولهذا النظم الجميل لو قال آنس الحسنة بدلاً من قوله حرك لانه تعبير سقيم والديوان بهذه الامثلة التي يدل على روح الاحتياج الى الثروة البيانية العربية وان حفل برغم هذا روح يتوثب ضمير بالاعتماد على نفسه محاولاً التخلص من كل ألوان المحاكاة . ويتجلى لك هذا الروح كثيراً في المقاطيع ذات البيتين او الثلاثة الى الخمسة ومن أحسنها قوله يخاطب آهته

مارونق البدر الآ اشعة من عيونك
هَدَيْتَنِي لاهي فنوره في جبينك
وحيرني فيه بعض من حيرني في شؤونك

هذا روح يحاول ان يكشف عن نفسه بدون شك وفي امكانه بقليل من العناية ان يصل الى ما يصبو اليه

٣ - اغاني الكوخ

واخيراً نقدم على كتاب اغاني الكوخ وانت حين تمسك نفسك على قراءته ستلتاقك الوان كثيرة من اخيلة الطلاقة الفنية معتدة بحشد لا بأس به من الثروة اللفظية التي تساعد على التألق في تأليف الجمل ولكن بجانب ما يستهويك من ذلك ومن عناوين قصائد القيثارة الخزينة وثورة الضفادع الخ وبجانب ما يسترعيك من اناقة طبع الكتاب لا تكاد تمضي في قراءته حتى تصطدم بأغاليط شتى في النحو او في اللغة او في العروض بله الاخطاء في الاسلوب المنطقي في التفكير وسوء استعمال وصايا علم البيان . فمن اخطائه النحوية قوله في قصيدة القرية الهاجعة

وسدتها الاضواء من لمحها الضافي وساد الطبيعة العبقري
بهرة للعقول تملي على الكون نشيد الهناءة السحري
ناح في جنة يلقي شاديها نداء الطبيعة العسوي

فهو في هذه الابيات الثلاثة خضوعاً واذعاناً لحكم القافية يجر ما حقه ان ينصب وجوباً بحكم الاعراب. ويشهد الله انا حاولنا ان نقرأ قصيدته بالسكون في رويها وفي العروض متمتع ولكننا وجدنا المؤلف ذاته عمد الى قوافي القصيدة وضبطها بكسر الروي . ومن أغلاطه اللغوية قوله يشير الى ثورة الساقية وسائقه

يتلو على آذانه سورة من قسوة السيد على عبده

باسكان الياء في السيد ليستقيم له وزن البيت وهذا غلط شنيع لا يمكن قبوله الا في الازجال ومن افواه العوام ومن خطئه اللغوي ايضاً قوله :

وقد ود النخيل قامات غيد ساكرات من خمرة الطل ميد

فاستعمل ساكرات من الخمر غلط لغوي وساكرات بهذا الاشتقاق انما تستعمل بمعنى ساكنه لا غير فاستعملها في سياق هذا البيت غلط واضح لاقول المتأملين

وقوله : فاذا الهوى يرخي ذوائبه كأن العفاف لبابة في الطهر

فكلمة لبابة هنا لا معنى لها لغوياً باي حال ولعله اراد نفاية فوهم . اما اغلاطه العروضية فنراها قوله

ورنا الدوم للشعاع كملهوف صبا الى نهره الفضي

والشر الثاني من البيت مكسور لانه من الخفيف ووزنه معروف . وقوله من قصيدة بعنوان في الحراب

الطهر في لآلئها والسحر في اضوائها والنور في صهبائها والنار في اعصابها

في هذا البيت قد زاد وزنه العروضي تفعليلتين لأنه من الكامل (وهو وزن باقي القصيدة) وهو متفاعلن ست مرات ولكنه في هذا البيت ثمانية. وهناك قصيدة بعنوان تبسمي لم اعرف لها وزناً مطلقاً ولعلي لم اعرف لها طعماً ايضاً وانا اتحدى انساناً ما ان يضبطها على ميزان عروض معروف او غير معروف. ومن اغلاطه في السياق المنطقي للافكار قوله يشير الى الريف هنا خبايا النفس مطمورة غشى عليها الزمن الجائر
لو لان سينا خطرة بينها ما قال نفس لغزها قاهر

فلم ادر من الذي قال ان الريف وحده هو موطن النفس المطمورة واي مانع يمنع من وجود الانفس المطمورة في الحضر كما هي في الريف واي قيمة اذن لكلام يصح ان يقال هنا كما يصح ان يقال هناك وادهى من البيت الاول قوله في البيت الثاني لو لان سينا خطرة بينها الخ فلست افهم لماذا كان ابن سينا يمتنع عن قوله في النفس انها لغز قاهر لمجرد خطراته في الريف اكان لغز النفس الانسانية المعقدة يحل لابن سينا اذا رأى الانفس المطمورات في الريف ؟ ما شاء الله على هذا التفكير وعلى هذا المنطق. أما سوء استعماله لوصايا علم البيان فالكتاب طافح بالاستعارات الغامضة وبوجوه الشبه المعيبة عند البيانين فمن هذه الاستعارات الغامضة قوله يصف زهرة القطن

ذات كاس اترعت شمس الضحى ريقها من خمرة النور المشاع

فهذه الاستعارات الكثيرة في بيت واحد تحتاج الى (رمال) ليكشف لنا ما فيها من غموض ومع كل ما ذكرنا من تلك الامثلة للتنبيه لا اكثر ولا اقل على انك برغم هذه الاغاليط ستقع في هذا الكتاب على ابيات تستحسن. فمن ذلك قوله في سنبلة تغني

من له في الارض ملك مثل مملوكي في الكتيب

موردي النيل وزادي من رى النيل الخصب

الخ هذه الاغنية التي يعجبني على الاخص قوله في آخرها

وتحطمت فأحيا الناس عيش من رفاي

انا في غرسي وحصدي وحياتي ومماتي

مثل أعلى ورمز خالص للتضحيات

ومن امثلة لباقة في التوليد قوله في قصيدة (النعش)

هذا الذي ضاقت الدنيا بمطعمه نصيبه كان منها عشر اشبار

فهذا النظم مؤلف من قول بعضهم

فالشرق نحو الغرب اقرب شقة من بعد تلك الخمسة الاشبار

وهذا البيت هو من قصيدة هي بعض محفوظات المدارس ومطلعا: حكم المنية في البرية جار وجملة القول انه شاعر يحاول الاندماج في المدرسة الحديثة ومحاكاة اتجاهاتها الفكرية الحديثة

الاستعراب دون الملم باللغة التي تتيح له ذلك وهذا مستغرب من شاعر يتلقى العلم في دار العلوم وهي معقل اللغة والادب الحصين . فأعراض الضعف التي نراها في أغاني الكوخ لا نلاحظ لها أثرًا في ديوان جودت فهو وإن كانت ثروته اللفظية أقل من صاحبه إلا أنه يعتاض عن ذلك ويعتصم بلغة أجنبية تفه به على أفكار مدرسته وتسهل عليه الاندماج فيها مباشرة ولهذا كان أكثر من زميله اندماجاً في موضوعاته واتجاهها نحو الاستقلال . أما ديوان الشاطيء المجهول فهو متأثر بالقائلين أن الطلاقة الفنية لا تكفي وحدها في تكوين الشاعر فهي لا بد لها في تكوينه وانضاجه من استخدام ألوان شتى من سائر الثقافات والعلوم والفنون وعندني أن هذا الرأي الأخير هو أفضل المذاهب لتخريج الشعر الصحيح واطن أن هذا هو أيضاً مذهب الحياة

محمود أبو الوفا

قصص جغرافية للأطفال

تكون سعادة الأمة موفورة كاملة على قدر وفرة عناصر السعادة فيها وأهم تلك العناصر هي انتشار العلم الصحيح بها والنقافة التي تكفل لأبنائها التربية الحسنة ثم كمال الصحة وكثرة المال والنشاط والدأب في العمل ، هذه هي أهم وسائل السعادة ، وإذا كان المال لا يحقق للأمة سعادة إلا بالعمل الذي لا يستقيم ولا ينتظم إلا بالعلم الصحيح والتربية الحسنة فخير بكل أمة أن تطرب سروراً وتغبط أنساً وجوراً عندما يبرز فيها أديب كامل أو عالم فاضل ينفعان الأمة بعلمهما وادبهما . فما أجدرنا والحالة هذه أن نقدر الاستاذ كامل كيلاني حق قدره ونعرف له إياديه البيض وما آثره الغر على العلم والادب معاً فالاستاذ الكيلاني لم يقتصر في علمه وادبه على تهذيب الشبان والكهول بمأهلهم وعلمهم به من تلكم الموارد العذبة الصافية التي درتها عليهم سحب فكرته الوقادة (شرح ديوان ابن الرومي وابن زيدون ورسالة الغفران) . وناهيكم بتلكم الكتب دلالة على ما بذل من مجهود وتبحر من مصاعب

قلنا أن الاستاذ لم يقتصر مواهبه على إصلاح الفكرة الشابة والمكتهلة بل غني عناية لم يسبق إليها فوضع مدرسة للأطفال تسيرهم من أبان تكوين الفكرة إلى حين نضوجها وأنها لمدرسة فوق كونها متنقلة يحوزها الطفل في بيته ويتلقى دروسه فيها فوق سريره وحيث يرتاض وحيث يسرح فهي فوق ذلك شائقة طريفة لا يكاد طلابها يشعرون بملل أو يحسون بنصب وما بالكم رجل يعرض دروس الجغرافية الطبيعية على أذهان الأطفال بصورة قصصية تنقشها في أذهانهم نقشاً أثبت وأروع مما ينقش القلم على القرطاس . ولنا بصدد استقصاء ما آثر هذا الأديب فهي فوق وسعنا وإنما نغني فقط أن نبرز لا عجبنا به صورة تتفق ومجهوداته النادرة الغربية التي برهنت على أن الرجل قد ضحى بمواهبه وصحته ووقته في سبيل خدمة المصريين خاصة والأمم الشرقية عامة

علي طاهر

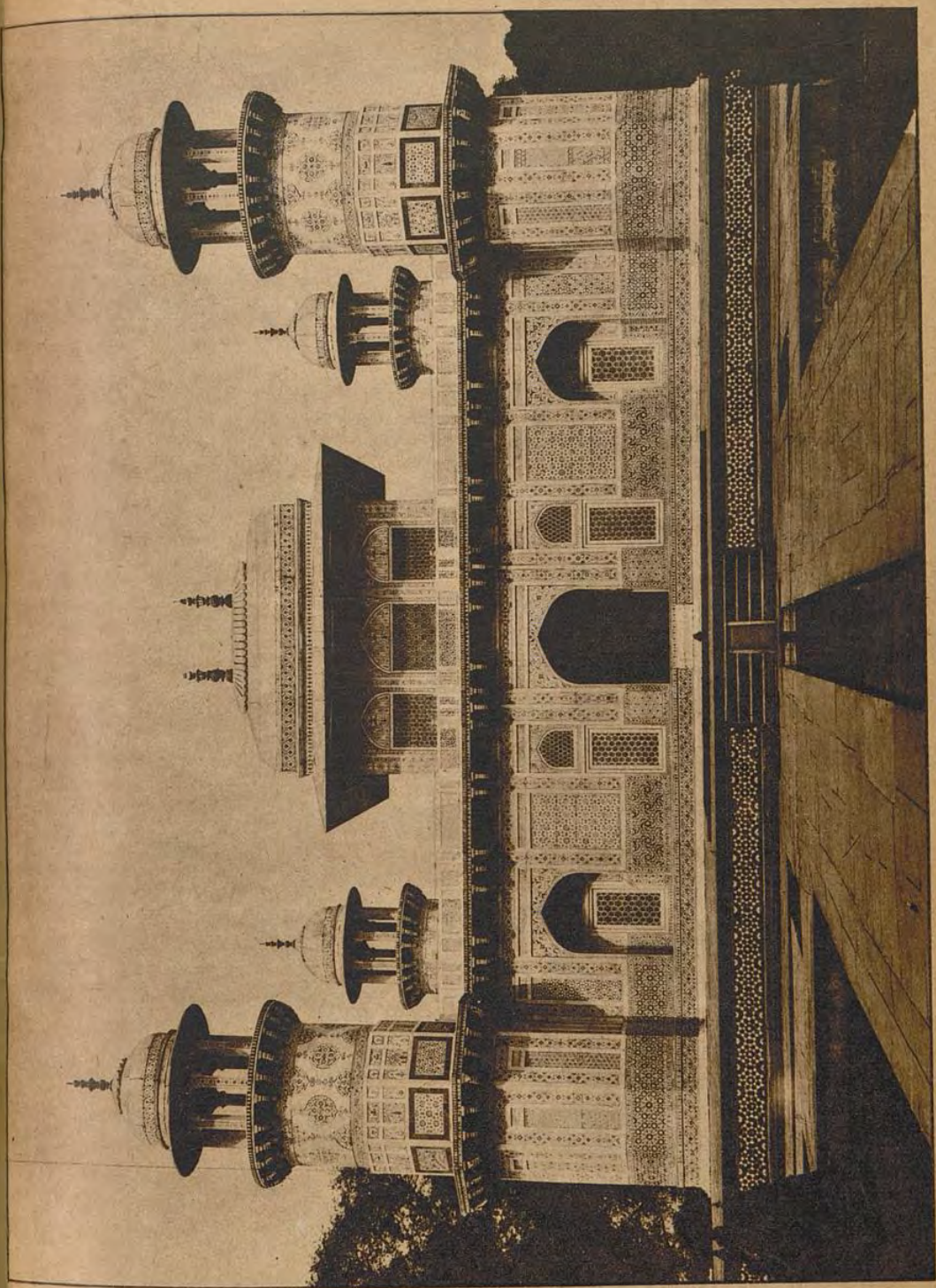
فهرس الجزء الثالث من المجلد السادس والثمانين

صفحة	
٢٥٣	السيارات : أجواؤها والحياة عليها
٢٥٩	حركة الرواد : لآحمد محمد حسنين بك
٢٧١	ألف ليلة وليلة : للدكتور آحمد ضيف
٢٦٩	ليون دوديه : للآسة «مي»
٢٧٧	موطن النباتات الزراعية : للامير مصطفى الشهابي
٢٨٢	الشعبية والشعبوية : بقلم تقولا حداد
٢٨٨	الى موسيقية عمياء (قصيدة) : لعلي محمود طه
٢٩٠	الطرائق المتبعة في الاشباب : للدكتور شوكت موفق الشطي
٢٩٥	الفارابي : لآديب عباسي
٣٠١	مرئ النواة
٣٠٥	موت فنآن (قصيدة) : لآحسن كامل الصيرفي
٣٠٧	فصلآن عراقيآن : لآمين الريحاني
٣١٥	أيقال اآكتشف الشيء : للآب انستاس الكرملي
٣٢٠	سيرة ولز بقله : ليعقوب فام
٣٢٤	مسجد المنصور ببغداد : بقلم الكبتن كرسويل (مصورة)
٣٣٠	روح الرواد
٣٣٥	سير الزمان : الثورة للدكتور عبد الرحمن شهبندر : الرئيس ماساريك : الحالة
	الاوربية للجنرال سمطس
٣٤٧	مملكة المرأة : المعادن في اللبن : العبقرية : المرأة الفرنسية وحق الانتخاب : الحب
	والمغازلة في روسيا : مقومات الجمال : زيت كبد الحوت للدكتور عبده رزق : عادة
	شرب الشاي : سلامة الاطفال
٣٥٧	حديثا المقتطف : على باب الهيكل لجبران خليل جبران : الفتاة والوردة : لتوماس مور

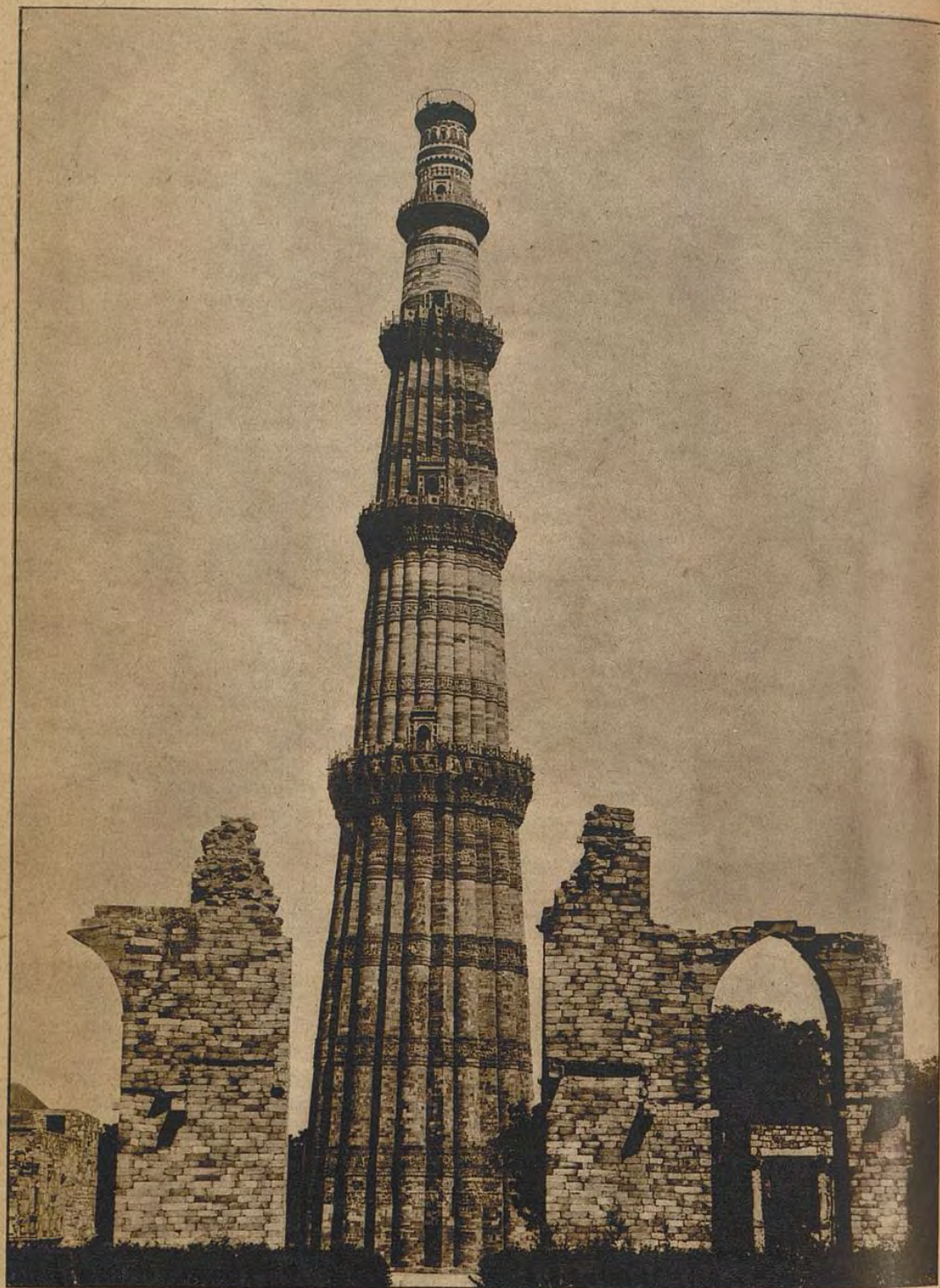
٣٦١	المراسلة والمناظرة * ارشاد لغوي . للاستاذ عبد الرحيم بن محمود
٣٦٣	مكتبة المقتطف * فنلندة وسائر البلدان الباطية الشرقية : آغاني الدروز : صك في الوقف : فن التصوير الاسلامي : مصادر الاخبار الاسلامية : ابن السعود ملك الجزيرة : (للدكتور بشر فارس) : مدخل فن الجرائم : للدكتور امين المعلوف : ضحاياانا الاطفال ليعقوب فام : قصائد جبران المنتورة : نهضة الشعر الحديث : لآحمود أبو الوفا : قصص جغرافية للاطفال : لعلي طاهر



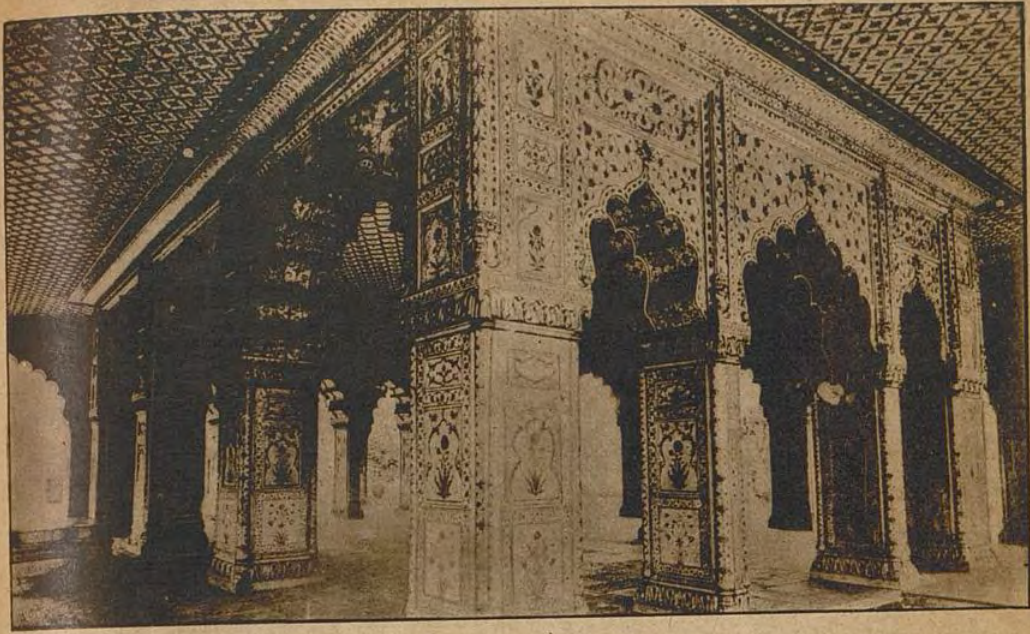
ثلاث صور اهداها اليها الخواجة حنا يافت
وقد صورها عند زيارته لاغرا في رحلته
حول العالم ويظهر في احداها مع قرينته
امام « تاج محال »



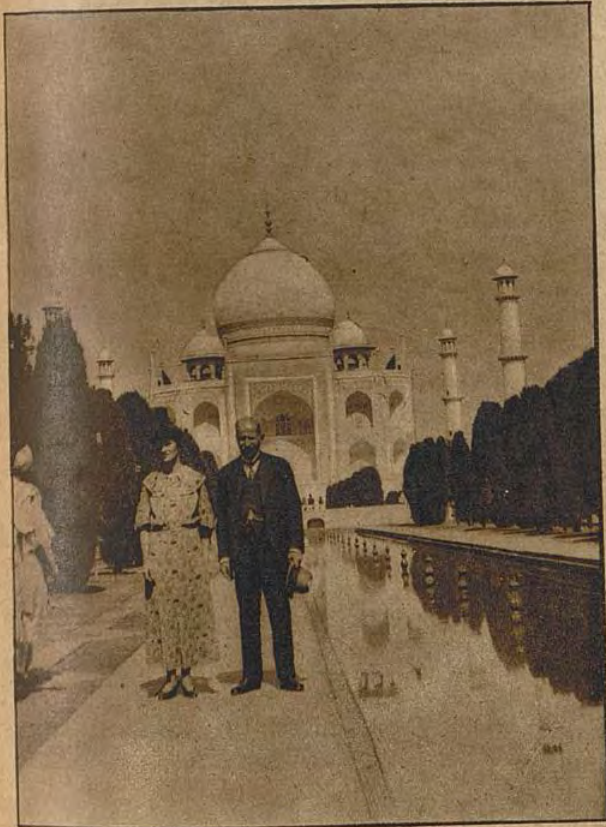
مقبرة « اعتماد الدولة » في اغرا بالهند . وقد كان كبير وزراء جاهاانپير



مأذنة على ١١ ميلا من دهلي علوها ٢٣٨ قدماً وبوصة واحدة وقطرها عند قاعدتها
 ٤٧ قدماً و٣ بوصات ، وعند قمته ٩ اقدام



داخل الديوان الخاص في دلهي
وهو معروف بردهة « عرش
الطاووس » لان وراء العرش
فيها كان يوجد طاووسان من
الذهب وقد رصع ذيلاهما بالالاس
والياقوت الاحمر والياقوت
الازرق والزمرد واللؤلؤ وغيرها
من الحجارة الكريمة تقليداً
لالوان الطاووس الطبيعية



الى اليسار — امام « تاج محل »





الشمس في كبد السماء
وقد وقع ظلها عمودياً على الارض تحت الاشجار